الحياة الطيّبة

أو

(قاموس السعادة)

في الإسلام

في الإسلام

تصنيف

عبد المحسن بن علي المطلق

ح مكتبة التوبة، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المطلق، عبدالمحسن علي

الحياة الطيبة./ عبدالمحسن علي المطلق .- الرياض، ١٤٢٩هـ

٢٨٨ص ١٧×٢٤سم

ردمك: ٣-٨٨-٧٠٤-٩٩٦٠-٩٧٨

١- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٢٩/٦٣٣٩

رقم الإيداع: ٦٣٣٩/ ١٤٢٩
ردمك: ٣-٨٨-٧٠٤-٩٩٦٠-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

مكتبة التوبة

الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ شارع جرير

هاتف: ٤٧٦٣٤٢١ فاكس: ٤٧٧٤٨٦٢ ص. ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

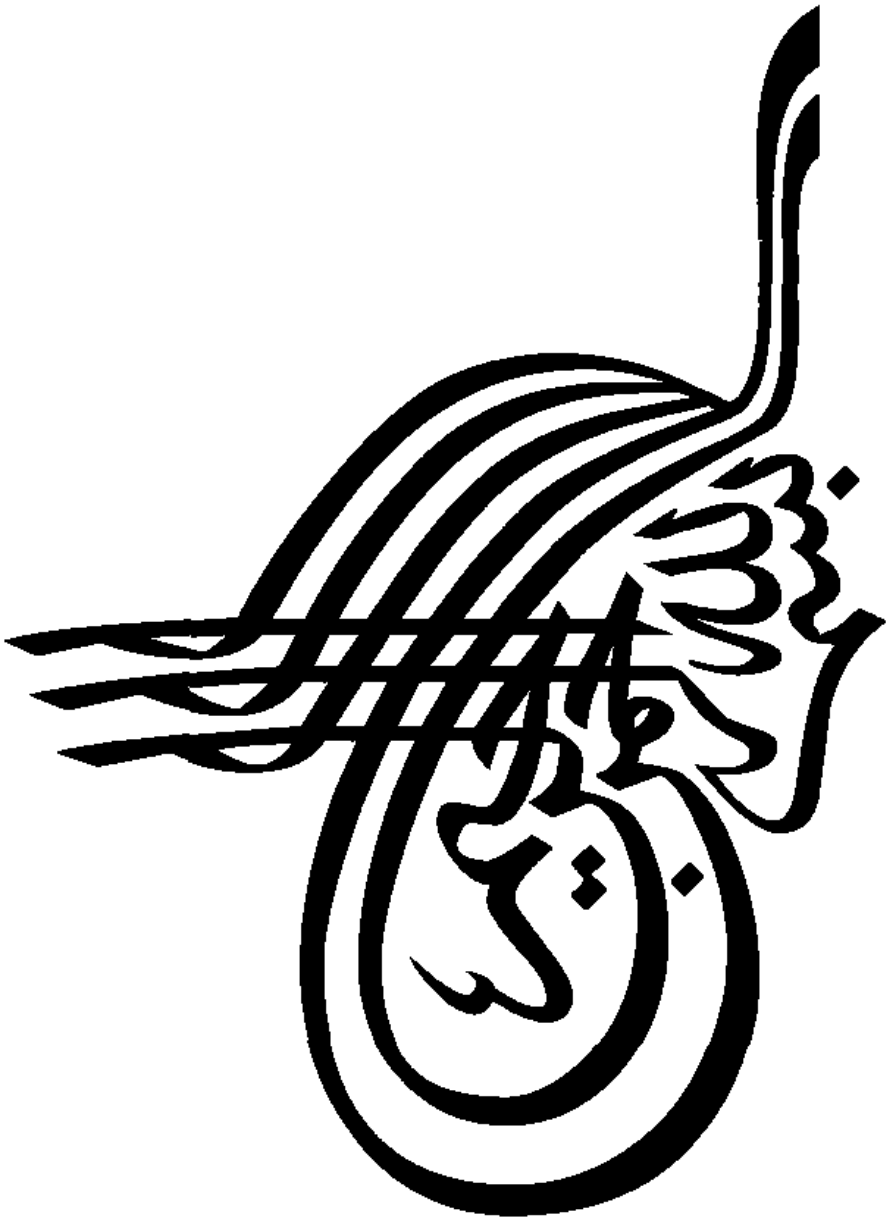

.. قال عز اسمه وجلَّ ثناؤه:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ

حَيَاةً طَيِّبَةً

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل ٩٧]

الإهـــداء

إلى الأم الرؤوم التي لم تلد.. (لم تُرزَق الولد)، لكنها وهبت الأمومـة عـلى كـلِّ من عرفت .. حين حضنت ودللت ولاطفت ورعت وربّت (حتى ربَت أعوادنـا)، ثـم أدّبت وعلمت .. وكانت نعم (المثال) في كل ما وجَّهت..

مقام الوالدة:

(رُقيــّةَ بنــت مُحمــد بــن سُليمــان التويجـــري)

المتوفاة في ١٠/ ١٠/ ١٤١٠هـ

غفر الله لها ورحمها رحمةً واسعة

ولا غرو إذا ما قلت إنّا أخذنا منها أبجديات السماحة والرضا، فقد تمثل في تعاملها.. النموذج المحتذى!

بل لا أخفي (القارئ) أن جُلَّ سمات ما بهذا .. كانت تتمثل في شخصيتها (تطبيقاً)، عليها شآبيب الرحمة ووالديها وكل غالٍ عليها.

..ولنردّ بهكذا إهداء (وتذكير) بها.. ولو بالقليل، الذي هو خيرٌ من العدم.

ألا فما أعظم مصابنا بها على تطاول غيابها، لكن المولى أمرنا بالصبر ووعدنا بالأجر:

ولا خير فيمن لا يوطّن نفسه ... على نائبات الدهر.. حين تنوب

مُقدِّمتي

الحمد لله القائل: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ [الحديد: ٢٠]

والصلاة والسلام عن المُنبىء أن: {هذه الدنيا حلوةٌ خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون}. رواه مسلم.

فـ.. يسرني بين يدي تقديم إصداري (الخامس) "الحياة الطيبة":

لمن ينشدون السعادة بخاصة، وإلى عموم القراء، أن يجد -بعد رضا الله تعالى- لديهم ما أتمنى.. به.. وله.

إذ عني كثيرٌ من أهل العلم والاختصاص في التأليف عن (السعادة) أو الكتابة عنها، وما ذاك إلا لأنها مطلب رئيس في الحياة..

و..كان بدء فكرة هذا (العطاء) جملة أسباب دفعتني سابقاً إلى تأليفه.

فطفقت على جمع شواهده مما يقع عليه نظري مما أقرأ، أو مما أدركته من عموم

تجارب سمعتها أو علمت بها، وأخضعتها إلى أُطرٍ.. كي توافق نهجي -وديني.. من قبل- لتكسب (أو أكسب) إيرادها (هنا)[1].

وقد يسّر الله لي الإطلاع على ما أظنه يقوم بركنه الواهي -أي هذا المؤلَّف.. حتى خمّنت أنه حان جمع قطافها في باقة – أكليل- أو أضمها لبعضها في هذا (الكتيب)

(١) مع ذكري وشكري (إحسان من أحسنتُ شاهده)، إذ إن كل نعمة لا يمنّها صاحبها نشكرها له، ولا نكفرها.

أ - لماذا (هذا الكتاب):

لا يخفى على جلنا أنّا نعيش بعصر مُتخم بالمشاكل والضغوط، ومليء بالكآبة و.. أوقات عصيبة، وأنفاس ضيقة، وآهات حرّى، وخُلقٍ -منها- متحجر..

وتبعا لما تقدم/ تراكمات الحياة -التي حوّلت معظم الكماليات إلى ضروريات- وتراكبها، والزخم المصاحب.. مما يجعل المرء يتنفس الصُّعداء في كثيراً مما يلاقيه.

وقد مدح الله من آمن به.. وصبر على قضائه، وارتضى حُكمه -وسلّم به- واستوعب حكمته التي أتت في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد : ٤]

.. إذاً، هذا لعله الدافع الأكبر لوضع هذا (الطرح) بين يدي القارئ عساه يُعين على الإبحار – في الحياة- ويبلغ جادتها بأقل الخسائر قدر المستطاع!

.. وهذا، وبعد اطّراح.. ما دون الإربة من (الفائدة) [1] التي لا يُعوّل كثيراً على فقدها وكذا البعد عن التكرار، أو ما سُبقت إليه.. سواءً بتجديد الخطاب وطريقة توجيهه، أو أسلوب العرض.. والبعد به عن المباشرة..

وإنه كما قيل: لا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير إلى مبناك .. وإلى الهدف الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نزعت .

لأقدم.. لكل من ينشد السعادة (الأبدية) -دنيا وآخرة- ولا غرو.. فهي مطلب الأسوياء، ومناط العقلاء، ومبتغى الكبراء، وحلم الضعفاء.. ومنى الفقراء....

---

(١) فإن الكثير مما يعرض: إما لا يؤبه برأي صاحبه، أو حتى شبهة تتبع مرماه، بخاصة إن لم يكن من الموثوق بعلمه.. أو به (شخصياً).

.. سؤال عن:

ب - (السعادة) أهي : وسيلة، أم غاية، أم كلاهما معاً!؟

والحق أنها كلاهما، فهي وسيلة (الحياة) وغاية للأخرى، ويصعد على درجاتها.. كلما زاد إيمانه وتمسكه بمنهج خالقه..

إذاً (المؤمن) يصل إلى السعادة بإذن الله دنيا وآخرة..، من خلال التزامه بمنهج ربه كما وعده في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً[1] وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]

ولا أظن المرء المسلم - المُسلِّم بما أعطاه ربه، أو حرمه منه لحكمته- ينشد أكثر من سعادة الدارين، وهي الغاية التي تسمو لها النفس (السوية).

لكن السؤال الذي يتلو ما تقدم هو: (الكيف) في حوزها- أو بلوغها؟.

وهو ليس صعباً، عندما تستعد النفس للصعود إلى ربوته، من خلال أربع درجاتٍ سوف ترتبط كل واحدة منها بالأُخرى.. ارتباطاً يمكن تسميته ب: (التكميلي) له.

وقد نخلت -من خلال بحثي وإعدادي إياها- حتى حصرتها أو أجملتها تحت

أربع ركائز أو (أركان) -رئيسية لقوامها- ويتخلل كل ركن، أو يتبعه سلسلة نقاط..

فيما حاولت بعدها الإيجاز قدر الإمكان، والأخذ بمجمع المعاني مدى الاستطاعة- أي بمبدأ:

وإذا مررت بأشجارٍ لها ثمر فقطفْ، وخلِّ العود للنار -

---

(١) وضدها: ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤] -.. العجيب أنه لم يقل (إنه في) معيشة.. الخ.
بل (له) أي -والله أعلم- كأنه امتلك هذا المقام من المعيشة، بضلالة وإعراضه عن النور الذي جاءه-

ح- **المسمّى** : .. وكنت قد زورت في نفسي أن أو سمه بـ: ركائز السعادة ، حين أوقفتها (أي السعادة) على أربع أركان.. أو شروط لكي تتحقق، ثم جذبني أو دغدغتني بل أحسبها أطربتني ترنيمة (قاموس[1] السعادة) فعلقتها (للكتاب) حينا.. لكني أثرت بعدها أو عدلت إلى مفضولٍ.. وأولى لمرامي- من هذا المصنف- في تسميته بـ : (**الحياة الطيبة**)[2] ..

تلك.. التي يحيها المؤمن، حين يُسلّم نفسه لأقدار خالقها فيقبلها (خيراً كانت أم شرّاً) بنفس مؤمنة .. وراضية، للقاعدة التي وضعها لنا رسولنا ﷺ : { إرض بما قسم الله لك.. تكن أسعد الناس}[3].

فيُحبّ ما يأتيه من ربه – لأنه: خير خفي { أمر المؤمن كله له خير .. }[4]، ثم يعمل ما بوسعه إما على تفادي تماديها بالجد والنشاط والحيوية، أو .. ينهض بعد ما يصيبه من تلك الأقدار.. فيعاود العدو وراء الحياة تحقيقاً لأمر سبحانه: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ﴾[التوبة : ١٠٥] .

.. وهنا لن يجد الباحثِ عن سعادة ما – بهذه الحياة- بسوى هذا الفهم، بل

كيف تأتي .. والله يقسم بـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ[٥]﴾ [البلد : ٤]!

لكن يمكننا القول بطيب الحياة لذلك المؤمن المسلّم الراضي القانع.. الخ.

فالإيمان هو :

الـ (سرتون) الحقيقي للسعادة – لا السرتون الطبّي المفرز لهرمون السعادة–

---

(١) القاموس في اللغة أي : البحر.

(٢) إقتباساً من الآية ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل : ٩٧]

(٣) رواه الترمذي: ٤/ ٥٥١ .

(٤) .. كما في الحديث الصحيح.

(٥) كما أكّد الشاعر – هذا – (مطلع ص٢٩).

جـ - أما قبل:

كنت قد بنيت منهجي في هذا الطرح أو أثبتّه على أسس أربعة[1]..شكّلتها للتقريب على هذا الرسم:

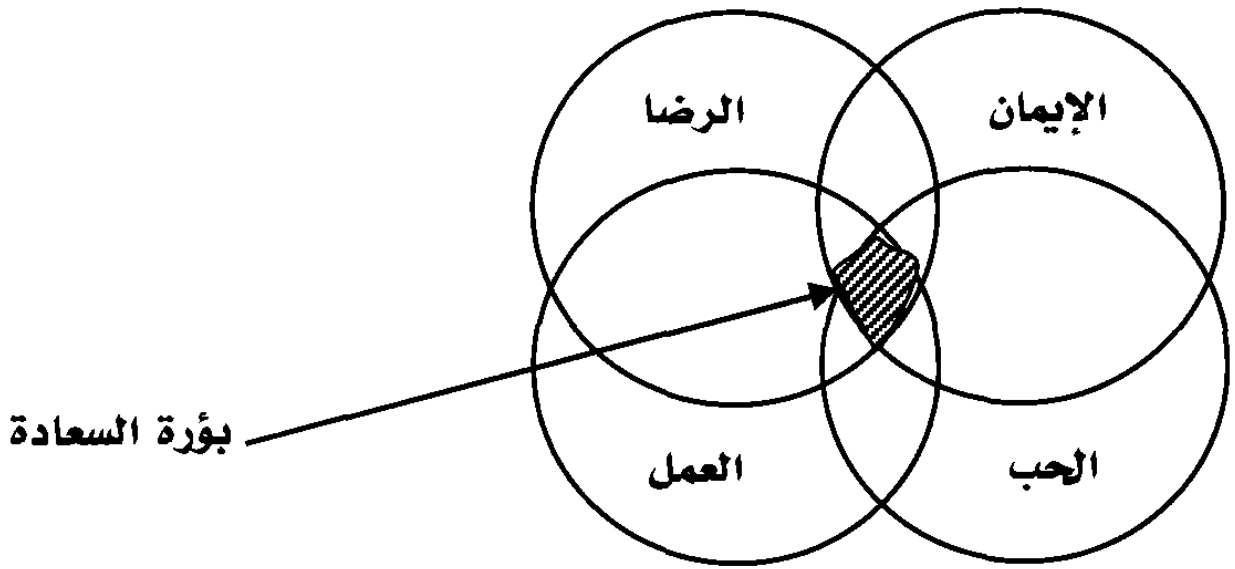

والمنطقة : [ ] أو ببلوغها تتكامل لديك عناصر السعادة.

- أي كل من حاز كامل هذه الركائز الأربعة، فقد بلغ بإذن الله السعادة الحقة-

لكنّي ومع انقضاء وقت ليس باليسير فيه، ثم عودتي إليه، وجدت قلمي يسترسل بالنقاط .. هكذا كما خرج في (المصنف)- إلى القارئ- فلم أسّطع أن أثنِ

مدادي عن معانٍ ما فتىء عبيري يعيد عليها ويُكرّ بتلقائية حسبته بلغ مرماي منها.. دون دراية، أو حتى إرادة مني.

فلعل المقصد قد بلغ ..، وأكرر بـ: لعل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

.. فما دوري (هنا) أو هذا الذي أورده – بعد كل ركيزة- هو في ما يحضرني[٢] .. من النقاط، أو تلك التي أحسبها تُعين على إمتلاك هذه الركيزة.

---

(١) أوقفها على هذه (الركائز) الأربع، لأني وجدت – وبعد التمحيص – أن كل مسربٍ للسعادة، إما مؤدي إلى إحداها مباشرة، أو كلٌ عليها.. حتماً.

(٢) أي: أحصرها على مقدار إطّلاعي.

ء - **محاور السعادة:**

١ - الإيمان، والتسليم بما أعطى الله وما منع، بل حتى إنه.. من كمال فهم الحياة:

الإدراك أن (الكبد) من متع الدنيا، قال الشاعر مقربا:

وكنت مللتك لا عن قلى[1] ولا عن فساد جرى بضميري

كمثل ملال الفتى للنعيم إذا دام فيه وحال السرور

٢- الرضا، وهو القناعة .. مع الشكر والاعتراف بالنِّعم التي قد أسبغ الله على عبده - قلَّت أو كثرت- وثم التكيف.. مع الأحوال والمقدرات.. فإن في ذلك راحة للبال.

٣- الحب وهو من التكامل العاطفي ..أو التكافل الاجتماعي

٤- العمل.. وفيه: تحقيق الذات، والسعي الطموح لكل نجاح، وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: (أرى الرجل فيعجبني. فإذا علمت أن ليس له عمل سقط من عيني)!

.. ثم ننتقل من عموم الإجمال إلى محاور التفصيل والإيضاح:

وأرجو (من قبل هذا) أن لا يغيب على المطلع أن كل -أو معظم هذا المؤلَّف[٢] - هي شواهد، وأشدّد على كلمة (شواهد)، فلا يعدو بنظر القارئ أن يكون تجميعاً!

كما.. قد يجد المطالع أقولاً لغير المسلمين[٣] ثم يسأل: ألم يجد المؤلف ما يوازي هذا من أئمة الإسلام، أم قلة مراجع؟، أو دافعه: مرض ثقافِيِّ عصرنا؟.

---

(١) القلى : أي البغض.

(٢) بل إن مرام كلمة تأليف هو : الجمع.

(٣) هذه مسألة أبحرت بها في كتابي (أفكار تستحق الإبحار) لكني هنا أوجز المرام.

وللإجابة التالي[١]:

أولاً: التماس الحق.. أو الحكمة التي هي ضالة المؤمن { أنى وجدها -كما في الحديث- فهو أحق بها }[٢]. رواه الترمذي.

ثانياً: المعارف الإنسانية حق مشاع، فلا تختص به أمة عن غيرها.

ثالثاً: ما استحسنه أهل الحكمة والعقل والفهم وصحة المنهج هو: إحسان لكل بني آدم.

رابعاً : مع إيماءة جميلة للعقاد :

"أن الذي يقرأ ليكتب وكفى، هو موصل رسائل ليس إلا.

ثم يقول: فلو لم يسبقه كُتّاب آخرون.. لما كان كاتباً على الإطلاق، ولو لم يكن أحدٌ من قبله قال شيئاً.. لما كان عنده شيء يقوله للقراء."

وهناك من يراها ميزة قال د. عبد الله الغذامي : « من حسن حظ أي باحث أن يكون مسبوقاً إلى موضوعه، خاصة إذا كان سابقوك من ذوي الشأن والعلم.. حتى ليبدو الأمر وكأن لاشيء يمكنك أن تقوله بعدما قيل من قبلك... ».

من هنا يكون عملنا مدخلاً (للسعادة..).. ولطالبيها، مما يعتبر عُرفاً.. أو يُقاس بـ: (الدراسة المقارنة)، ونقصد بالمقارنة[3] هنا: أي تغليب لتعاليم الإسلام، وإبراز علو (كعب) قدرها وأنّها سباقة لكل ما فيه صلاح وإصلاح حياة كافة الخلق، لأنها

(١) وأحسبني جلّيت كثيراً عن هذه (كمنقبة) في كتابي: "وفاء لمن وفى" ص٢١.
(٢) وأخرجه أبن ماجة ٤١٦٩.
(٣) يرى أهل اللغة القول (بالموازنة) بدلاً من المقارنة.
لأن القرن هو: الجمع بين شئين كما قال تعالى: ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩]

الأساس، لكي يسمو علم النفس الإسلامي، المستمدة أصوله وتقعيداته من قاعدته المكينة: (الكتاب والسنة)، وعدم ترك نظريات علم النفس[1]، وعلم الاجتماع لتطفو

وتعلو.

وهـذا الكتـاب فيـه -بـإذن الله- تنـشيط لـذهن العاقـل الـسوي، مـع تعريـفٌ بالصالحين السعداء[٢] -جعلنا الله وإياكم منهم-، لأننا (للأسف): في عصرٍ مـادي عـم وطمّ أثره وتأثيره .. فأصبح الغالب عليها - إلا ما شاء الله-: الماديات الصِرفة!

قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يدعو الله وهو يقول:

«هربت إليك بنفسي -يا ملجأ الهاربين- بأثقال الذنوب أحملهـا عـلى ظهـري، لا أجد شافعاً إليك إلا معرفتي بأنك أكرم من قصد إليـه المـضطرون[٣]، وأَمِـلَ فـيما لديـه الراغبون، يا من فتق العقول بمعرفته، وأطلق الألسن بحمده، وجعل ما امـتنّ بـه مـن ذلك على من خلقه كفاء لتأدية حقه، لا تجعل للهوى على عقلي سبيلاً، ولا للباطل عـلى عملي دليلاً[٤]»-آملاً بعدها من المولى: أن يكون (هذا) خالصاً لوجهه الكريم-

.. فهذا (جُهدي)، فإن أخطأت فمن نفسي والشيطان – أن أذكره–، وإن أصبت فبتوفيق من الله وفضله: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]

---

(١) .. انظر ثنايا (الذكر) ص ٤٩ وما بعدها.

(٢) والمشهور قول العابد إبراهيم بن أدهم– رحمه الله– : (إننا في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها).

(٣) وهنا معنى.. قاله أحد الوعاظ: (في الشدائد يختار القلة سلامة المنهج، بينما يختار الكثرة منهج السلامة).

(٤) (الأمالي) لأبي علي القالي.. الفقرة ٢٧ .

هـ - ومضة:

قـــد يـــشرف المـــرء بآدابـــه فينـــا.. وإن كـــان وضـــيع الحـــسب

إن (الأدب) مهمٌ لأنه يمتع الذائقة، أو تتفيء النفس من ترانيمه، بل – وهذا الأهم الذي فيه -: يُهذّب الإنسان ويرفع من مستواه العلمي والثقافي، ويسلك به طريق النجاح والتوفيق، ويجنبه الأخلاق الرذيلة السيئة.. وقد قال -فيه- الحكماء: نعم العون لمن لا عون له (الأدب)[1].

-ألم يقولوا: لا زين أحسن من زينة الأدب، ولا حسب لمن لا مروءة له، ومن كان من أهل الأدب ممن لا حسب له فقد يبلغ به مراتب ذوي الإحسان-

وأنشد الحجاج – حين عفى عن أحدهم.. لحُسن أدبه- :

كـن ابـن مـن شـئت واكتـسب أدبـا يغنيـك محمـوده عـن النـسب

و.. كما قال "شبيب بن شيبة": (اطلب الأدب فإنه عون على المروءة، وزيادة في العقل، وصاحبٌ في الغربة).

وقيل: لكل شيء عروة، وعروة العز الأدب، ولكل شيء ذؤابة، وذؤابة الشرف والعقل/ الأدب.

وقيل أيضاً : «عليكم بالأدب فإن احتجتم إليه كان مالاً، وإن استغنيتم عنه كان جمالاً».

(١) حتى إن في المثل قولهم : إن من (أدبيات) أو أبجديات كيت وكيت... إلخ

.. أشدُّ على عضد هذا ، لأن طرحي هنا (مع دافعه في : التعاون والبر..)، فإن غالبه: الشفقة بإخواني والرحمة.. مع الإعلام، كما قال ابن تيميه: « رحمة بلا علم لا

تنفع وعلم بدون رحمة كذلك لا ينفع[1] » -تعليقاً على قوله تعالى عن (الخضر): ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف : ٦٥]

ثم.. إن هذا (لعطاء): يتكلم عن السعادة العامة، لا السعادة الخاصة التي قد تجدها بذلك الكتاب المخصص للسعادة الزوجية، أو ذاك الذي عن العمل... إلخ.

وهي بالغالب لغة من أحسن المطالعة، أو لدى ذاك الأديب.. الذي (يأخذ من كل فن بطرف)، إذ لا عجب أن أَعجب – كغيري- بالمعلومة.. وآتيها فرحاً وجلاً.. بخاصة حين أُقابل ذلك العالم البحر الذي بالفقه فقيه، وفي اللغة ضليع، وفي الدنيا (خبير)، وفي السياسة عليم، وفي عموم الدنيا جهبذ، لا تكاد تذكر عنده شيء إلا زادك، ولا تقول بعلمٍ إلا أفاض فيه، ولا تورد عنده مسألة إلا أتم نقصك فيها، وقد ذُكر عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله مثل هذه المنقبة.. ومن قبل أمنّا عائشة بنت أبي بكر وحبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهم جميعاً.

وهكذا يحبّذ على المؤمن.. وما يجدر به أن ينحى منحاه ويسلك مجراه، وأذكر ممن أعرف (أو يحضرني) – من أهل عصرنا- على سبيل المثال لا الحصر:

أبو عبد الرحمن بن عقيل، و د.صالح اللحيدان، ود. عائض القرني، والأديب سعد البواردي، ود. سعد الشويعر، و د. عبد الله ابن عثيمين وابن خميس وغيرهم كثير..

(١) أي : لا تكفي الرحمة : أن تجد مريضاً يصارع الألم.. فتعالجه،وأنت لست متخصصاً في الطب! فقط بدافع الرحمة والشفقة عليه من ألمه – وقد أنكر بل عنّف ﷺ على من أمر باغتسال المجنب (في ليلة شاتئه).. ومات!-

وأذكرهم كنماذج لأذكر –بهم-: (إن العلم رحمٌ بين أهله) في استدارك الأخطاء وتصويبها، فهو كذلك (رحم) في التسديد والمقاربة، وتبادله بينهم بالنقل كلٌّ من الآخر.. فيما يظهر به فائدة، ويغلب عليه الصواب، أو قريب إلى صحة شاهده –وإن تكرَّر بينهما وتقلَّب بين يدي مؤلفاتهم (شخصي..)- لأن ﴿فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾

[يوسف: ٧٦]، وقد علق ﷺ على قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر -رحمه الله-: {رحم الله أخي موسى لو صبر لتعلمنا أكثر..}[1] أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

و.. الكتابة عن شيء (ما) تتولّد من فكرة لها بعث..، أو سبب .. فـ (الحاجة أم الاختراع) مما يتجاذب حوله الذهن ليكوّن عنه تصوّراً يتم سرده عن أبعاده.. خلال الطرح -الكتابة- فتظل تجول في الخاطر حتى تُفرغها في إملاءٍ عنها.

فإن غالب هذه النقول -خواطر- تتوارد ويعدو سابقٌ لاحق، فإن كثيراً مما تطَّلع[2] عليه يجري في نفسك ويحاكي خاطرك.. حتى تجده على لسان من هو أبلغ منك، أو من اقتفيتها منه.. أقول بأسلوبه.. لا غير.

وهنا أذكر لافتة لـ (د. سعد الحميدين) العمل الإبداعي له مقياس في نظري وهو (التقبل النفسي للعمل) بالقراءة اللاهثة... إلخ وهذا يعود على من لديه همّة القراءة أو نفسٌ طويل في لُجِّها.

.. ومع أن هناك من يكرر على مسامعنا أن (الكتابة ربعها فكرة والثلاثة الأرباع الأُخرى أسلوب)، وهذا يعني أن الأسلوب أهم من الفكرة، لأن الكاتب هو الأسلوب -كما يقول الفرنسيون -، وليحسبُ عليّ إيراد هذه الشواهد بـ: " اسلوبي".

المؤلِّف

مطلع العام/ ١٤٢٥هـ

(١) أخرجه بنحوه الإمام أحمد في المسند (٥/ ١٢١).
(٢) .. أي : بعد تحصيلك العلمي (الكافي).

مدخـــل:

قال جلّ في علاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠: ٣٢]

إذاً.. هي تلكم الحياة التي ينشدها ويصبو إلى بلوغها كل من على البسيطة وليس المؤمن فقط، الذي يرجو مع ذلك ثواب الآخرة ونعيمها.

هي تلك الحياة التي يسكن إليها، ويطمئن بها، ويسير على ما يوافق فطرة الله التي فطر خلقه عليها، وهي القائمة على السكينة أو الرضا بما قسم الخالق له، فيسلم لقدره فيه (تسليماً)..

مثلاً: إذا كان أسود سلّم بسواد لونه، لا يرى أن البياض مجلبة للسعادة فيعمل المستحيل لتبييض بشرته، ويهتم.. وينهمّ -إذا لم يستطع لذلك سبيلاً، أو إن كان فقيراً سعى بيديه وقدميه ليغنى..! وإن لم يُقسم له بلوغ ذلك، انطوى على نفسه، مؤنباً حظه العاثر وأمله الغابر!..

تقضي على الإنسان آماله إن لم يجاهد نفسه أولا!

ولذا يقول (أرثر بنسيان) في كتابه/ سنوات شبابي:

"إن معظم الناس ينظرون إلى السعادة نظرة غير واقعية..!

فهم يستخدمون (إذا) كشرط للشعور بالسعادة التي يبحثون عنها، فأنت

تسمعهم يقولون: سأكون سعيداً إذا كنت غنياً، أو سأكون سعيداً إذا أحبتني الفتاة التي

أريدها زوجتي، أو سأكون سعيداً (إذا).. أصبحت مشهوراً، وهم في معظم الحالات يحققون هدفهم، ولكنهم لا يجدون السعادة، لأنهم يبحثون عن أشياء أُخرى.

أنا.. شخصياً أحيا الحياة التي أحبها بحلوها ومرها".

فلماذا لا يعيش كل سنة في سنتها؟ ففي الشباب يتمنى الطفولة وعذْبها، وفي الرجولة يتمنى الشباب ومرحه أو قلة همه، وفي الشيب يتمنى الرجولة والنشاط..إلخ. هذا الندب والنوح على كل مرحلة يتخطّاها فلا مفرّ له من ذاته عن بوح آلام عهده، ويتمنى ما سلف..! لأنه يراه (فقط) من خلال جم همٍّ يحاصر حاضره، لا غير!

حتى قال الشاعر القباني: (**فمن يعيد لي العمر الذي ذهبا!**)

نخلص من ذلك إلا أننا لا نستطيع أن نغيّر[1]، لكن الذي نستطيعه هو: تهيئة المناخ الملائم للتغيير أي المساعدة وأيضاً.. تكمن قيمتها في قدرتي على إقناعكم بأهميتها وهكذا، ومن هذا التالي:

هل أنت سعيد؟ وهل أنت راضٍ عما وصلت إليه؟ .. ثم هل يمكن أن تكون أفضل من هذا؟ وهل هذا أعلى مستوى تستطيع بلوغه، وأخيراً: ما هي الإنجازات التي تود أن تتركها وراءك؟ بمعنى: ما المشاريع التي عشت من أجلها، وهل أثمرت؟ .

بعدها.. ماذا تعني لك السعادة؟

الحق أن كل إنسان -كما تقدم- يرى السعادة فيما ينقصه فحسب!، أي: ذلك أن

---

(١) التغيير: هو التحول من واقع نعيشه، إلى حال مأمول.. أي: نسعى إليه.

المرء يجدها بما لا يملك، أو يحسبها فيما ينقصه.

.. وقد قرأت استفتاء تم على (١٦) ألف شخص سُئلوا: ماذا تعني لهم السعادة؟، فكانت نسب الإجابة على النحو التالي:

٣٨٪ قالوا السعادة تعني (الحب).

٢٨٪ قالوا السعادة تعني (الرضا).

١٧٪ قالوا السعادة تعني (الصحة).

..وفي أقل من ١٠٪ قالوا.. في (الزواج) أو(المال) أو (السفر).

قال المنفلوطي - رحمه الله- :

«حسبك من السعادة في الدنيا ضمير نقي، ونفس هادئة، قلب شريف، وأن تعمل بيدك فترى بعينك ثمرات أعمالك تنمو بين يديك وتترعرع فتغتبط بمرآها، اغتباط الزارع بمنظر الخضرة والنماء في الأرض التي فلحها بيده، وتعهدها بنفسه وسقاها.. من عرق جبينه».

و..**من أهم أسرار السعادة** لـ(أحمد أمين):

(إن أهم سبب في الابتهاج بالحياة هو أن يكون للإنسان ذوق سليم مهذب يعرف كيف يستمتع بالحياة وكيف يحترم شعور الناس ولا ينغّص عليهم بل ويدخل السرور على أنفسهم، فالذوق السليم قادر على استجلاء القلوب وإدخال السرور على نفس صاحبه ونفس من حوله).

و.. ذكر أن البشر يكدون ويسعون في صحراء الحياة وهدفهم يكمن في ثلاثة

كواكب: الحقيقة، والخير، والجمال.. وكوكب الجمال أزهاها وأبهاها، فلولا جمال الحقيقة ما طلبها العلماء، ولولا جمال الخير ما دعا إليه المصلحون، وهل ينازع في تفضيل الجمال إنسان؟! هل في الدنيا من يُؤْثِر الدِّمنة المقفرة على الجنة المزهرة؟ والعجوز الشوهاء على الصبية الحسناء؟؟! والأسمال البالية على الحلل الغالية؟

ويحدّث صاحب (كتاب الأمالي):

أن أبان بن تغلب - وكان عابداً من عباد أهل البصرة- قال: شهدت أعرابية وهي توصي ولداً يريد سفراً، وهي تقول له:

« أي بني.. اجلس أمنحك وصيتي، وبالله توفيقك، فإن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك.

قال أبان: فجلست مستمعاً لكلامها، مستحسناً لوصيتها، فإذا هي تقول:

أي بُنيَّ.. إياك والنميمة، فإنها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين..

وإياك والتعرض للعيوب.. فتتخذ غرضاً، وخليق أن لا يثبت الغرض على كثرة السهام.

وإياك والجود بدينك والبخل بمالك.

وإذا هَزَزت.. فاهزز كريماً يلين لهزتك، ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها.

ومثِّل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه.. » إلخ.

وقـال أحـد العلـماء يـوصي ولـده: « غـض عـن الفكاهـات مـن الـضاحك والحكايات، ولا تحدث أحداً إعجابك بولدك، (وزوجك)، ولا إعجابـك بـسيفك ولا فرسك، وإياك وأحاديث الرؤيا، فإنهـا تطمـع فيـك الـسفهاء فيولّـدوا لـك الأحـلام، ويفسدوا في عقلك، ولا تلبس في الثياب مشهوراً، ولا تتخـذ في الـدواب مبطـوراً، ولا تتـصنع تـصنع المـرأة، ولا تتبـذل تبـذل العبـد، ولا تلـحّ في الحاجـات، ولا تخـضع في الطلبات، وإياك أن تعلّم أهلك وولدك كثرة مالك أو قلته، فإنهم إذا علموا قلتـه هِنـت عليهم، وإن علموا كثرته لن تبلغ رضاهم.. يا بني أخف أهلـك وولـدك بغـير عنـف، وارفق بهم في غير ضعف، ولا تر (زوجك) حـب الإفـراط فتتجـبر عليـك، ولا تريهـا بغضاً فتنفر منك، وأحبب ولدك وأحسن أدبه، ولا تهازل أمتك ولا عبدك.

يا بُنيّ إذا خاصـمت فـدع الحـدة، وفكـر في الحجـة، ولا تغـضب فتـذهل عـن

حجتك، وأرِ الحاكم بينكما حلمك، ولا تكثر الإشارة بيدك.. وأقلل الكلام على الطعام، إلا بالحمد، كذلك عند الخلاء، يا بني اتق الله يكفك ما تخافه وتتقيه، واحذر أن تعصيه فإنه ليس لك من وراءه وزر، ولا من دونه معتصم، وإياك والفجور بجرم الناس، فإنه ما انتهك امرؤ حرمة إلا ابتلي في حرمه مثله » من لطائف المعارف.

.. ولعل في نصح (الأشعث بن قيس).. وهو يوصي أولاده أجمل إجمال.. بقوله: (يا بني: ذلوا في أعراضكم، وانخدعوا في أموالكم، ولتخف بطونكم من أموال الناس، وظهوركم من دمائهم، فإن لكل امرئ منكم تبعة، وإياكم وما يُعتَذَر منه، ويُستحى، فإنما يعتذر من ذنب، ويُستحى من قبيح، وأصلحوا أحوالكم عند جفوة السلطان وتغير الزمان، وكفوا عن حاجة أو مسألة، فإنه كفى بالرد منعاً، وأجملوا في الطلب حتى

يوافق الرزق قدراً).

وهنا تعليق (أحببت الاتكاء عليه) للعلامة عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- بقوله:

«فإن راحة القلب وسروره وزوال همومه وغمومه، هو المطلب لكل أحد، وبه تحصل الحياة الطيبة، ويتم السرور والابتهاج، ولذلك أسباب دينية، وأسباب طبيعية، وأسباب عملية، ولا يمكن اجتماعها كلها إلا للمؤمنين، وأما من سواهم.. فإنها وإن حصلت لهم من وجهٍ وسببٍ يُجاهد عقلاؤهم عليه، فاتتهم من وجوه أنفع وأثبت وأحسن حالاً ومآلاً».

الحياة.. أو (سلمها):

حلوة.. ومُرّة في آن:

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (هكذا حياتنا، إنها تسرّ قليلاً، وتجرّ هماً كثيراً).

فعلاً (الحياة) هي هكذا.. لكن كيف تكون حلـوة أبـداً؟، أو مُـرّة.. أبـداً؟ فهـي حلوة مثلاً في الصحة والشباب..، في لقاء الأحباب، والأنس بالأصحاب.. الخ.

ديدن الحياة:

قال (حُميد بن ثور) مختصراً:

أرى بـــصري رابـــني بعـــد صـــحة وحـــسبك داءً أن تـــصح وتـــسقما

هذه مُسلَّمة..

وأُخرى نقول: إن أيامنا هي عمرنا، كما قال (أبو الدرداء) ﷺ : «**يا بن آدم إنما أنت أيام، كلما يذهب يوم ذهب شيء منك**» أخرجه البيهقي.

وثالثة: أنه جل وعلا: ﴿ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم: ٤٣-٤٤]- صدق الحق.. سبحانه!

ورابعة../ قال عبد الله الجعيثن- بإجمال:

«ورسول الله ﷺ قدّم لنا في الأحاديث الشريفة أركاناً هامة لسعادتنا في هذه الحياة، أهمها

طبعاً الإيمان والعمل الصالح، ثم الصحة والأمن والعلم والمال الحلال، والمرأة الصالحة والدار الواسعة والمركب والجار الصالح وغير ذلك، مما جاء بها نصوصٌ من الأحاديث الشريفة حوله..

ويبقى الكثير من التوجيهات النبوية الكريمة لا يحيط بها مقالات محدودة، وإن

فيها لنظرة شاملة.. تجعل الإنسان -إذا ما طبقها- يعيش حياة طيبة في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى».

وخامسة:يقول عالم النفس الأمريكي (د. ديكس): الحياة السعيدة فن جميل له عشرة أبعاد هي:

١- أن تمارس عملاً محبوباً عندك.. فإذا لم يتيسر لك ذلك العمل، فمارِس الهواية التي تحبها في أوقات فراغك وعمِّقها.

٢- العناية بالصحة فهي روح السعادة.. وذلك بالاعتدال في الطعام والشراب وممارسة الرياضة والبعد عن العادات الضارة[١].

٣- وجود هدف في حياة الإنسان، فإن ذلك يمنحه الإثارة والنشاط.

٤- أن يأخذ الإنسان الحياة على ما هي عليه ويقبلها بحلوها ومرها.

٥- أن يعيش الإنسان في حاضره فلا يندم على ماض تولى، ولا يتوجس من غد لم يأت.

٦- أن يفكر الإنسان في أي عمل أو قرار قبل أن يتخذه، ولا يلوم غيره على قراراته وما قد يصيبه.

٧- أن ينظر الإنسان إلى من هو دونه.

٨- أن يعتاد الإنسان على الابتسام وروح المرح وصحبة المتفائلين.

٩- أن يعمل الإنسان على إسعاد الآخرين ليصيبه عطر السعادة.

١٠- اغتنام فرص الابتهاج الجميلة واعتبارها محطات ضرورية للسعادة.

وسادسة.. وسابعة و..إلخ.

..وقال (أرسطو): إن السعادة هي الحكمة، ولا سعيد في الدنيا إلا العاقل الحكيم!

وصدق أبو الحسن التهامي القائل في وصفها :

---

(١) كالدخان مثلاً، أو الإكثار من المنبهات- هذا فضلاً عن أم الكبائر الخمر، أو المخدرات حفظنا الله- .

طُبعت على كدر وأنت تريدها ... صفواً من الآفات والأقذار

و مكلف الأيام ضدّ طباعها ... متطلبٌ في الماء جذوة نار

السهل الممتنع:

يصف أهل الحكمة (الماء) أنه: أرخص موجود وأغلى مفقود.

ولو تمعنا قليلاً في هذه الحكمة لوجدناها تنطبق على (السعادة) المنشودة فإنك تحوزها بلا مقابل مادي، لكنك تفقد كل معنى إذا ما توارت عن أُفق حياتك. وهذا دليلٌ لا يحتاج لبسطه في الإفضاء لشرحه.. قال (جوته):

«بعض الناس يحولون الحياة إلى (حديقة).. ويمشون في طرقاتها».

ويؤطر لهذا د. فهد بن حمد المغلوث[1] بقوله:

«الحياة جميلة وتستحق أن نعيش من أجلها ونستمتع بكل لحظة فيها، خاصة حينما ندرك أننا وُجدنا لغاية سامية أرادها الله سبحانه وتعالى لنا، ثم حينما نشعر أننا وفّقنا في الحصول على ما نريد بعد رحلة طويلة من البحث عمن يفهمنا ويشعر بنا ويشاطرنا أحاسيسنا ومشاعرنا، وخاصة حينما نشعر أن ما بين أيدينا تحفة نادرة لا

تعوّض.. تشعرنا أننا مع الدلال الذي نحلم به ونتوق إليه ومع الحنان الذي طالما تمنينا أن نشبع منه ونستمتع به».

و من هنا ينوه الشيخ (د. صالح السدلان):

---

(١) أستاذ الخدمة الاجتماعية المشارك بكلية الآداب جامعة الملك سعود

«وإننا إذ نقول: إن في الإسلام من الروابط والصلات ما يجعل الأسرة والفرد والمجتمع جمعاء على أحسن حال وفي غاية من السعادة..

إننا إذ نقول ذلك فإننا نرى هذا ونلمسه ونقرأه ونتعامل معه من خلال

التكاليف الشرعية أمراً ونهيا، ومن أَخَذَ بالتكاليف الشرعية وجوباً ولبّى، ومن امتنع عن النواهي الشرعية تحريماً وكراهية، ومن استعمل ما أباح الله له وتورّع عن بعض المباحات، ولم يتوسع في شهوات النفس ورغباتها، ولم يُتبع نفسه (هواها).. ونظر في ذلك إلى الشرع الحكيم.. فإنه يحقق لنفسه والآخرين السعادة، سعادة لا تماثلها سعادة أبداً).

مفردات:

و.. قال (بنيامين فرانكلين):

"من هو الحكيم؟ هو الذي يتعلم من كل ما يصادفه[1].

من هو القوي؟ هو الذي يتحكم في عواطفه[2]!.

ومن هو الغني؟ هو الذي يقنع بما عنده".

وقال سندير:

"هل أنت غير سعيد ولا مرتاح في حياتك؟! إن الحياة يا صديقي كـالفراش، إذا

(١) وكما مر معنا (إن السعيد من وعظ بغيره.. الخ).

(٢) وأفضل من هذا حديث: {ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يمسك نفسه عند الغضب}.

أحسست أنه غير مريح، فخير ما تفعله هو أن تنهض وتعيد ترتيبه من جديد".

ويقول (إبراهام لنكولن):

«التعساء الوحيدون هم وحدهم الذين يكتبون عن السعادة.. أمـا الـسعداء فـإنهم ينشغلون بالسعادة!!».

ويقول الأديب توفيق الحكيم في (نائب في الأرياف) :

"معظم الناس سعداء، بقدر ما يُقررون أن يكونوا كذلك".

(الوسائل):

١- الإيمان والعمل الصالح.

٢- الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل وأنواع المعروف.

٣- الاشتغال بعمل من الأعمال، أو علم من العلوم النافعة.

٤- الاهتمام بعمل اليوم الحاضر، وقطعه عن الاهتمام في وقت المستقبل.

٥- الإكثار من ذكر الله تعالى.

٦- التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة.

٧- النظر إلى من هو أسفل منك في متع الحياة.

٨- السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم، بنسيان ما مضى من المكاره.

٩- الدعاء بصلاح الدين والدنيا والآخرة.

١٠- السعي في تخفيف النكبات بتقدير أسوأ الاحتمالات التي تنتهي إليها (وقد ذكر كارينجي هذه الوسيلة[1] في كتابه المشار إليه).

١١- قوة القلب، وعدم انزعاجه وانفعاله للأوهام.

١٢- التوكل على الله والاعتماد عليه، وتأمّل ملياً في هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] ألا يكفيك حين تتوكّل عليه سبحانه.. صدق التوكل/ أن يكون ربك حسيبك وكفيلك.. في كل حالٍ وأمرٍ!

---

(١) كما سيأتي – ثنايا هامش (١) ص٩٣- ولكن (لعل) التعقيب الوارد.. في ختام ص ٩٣ ما يكفي.

.. ثم للعلم أن " كارنجي" مات (منتحراً) عياذاً بالله من النكوص على أعقاب الفهم والعقل والفهم الشامل والمسدّد: للحياة.

١٣- مقابلة الإساءة بالإحسان.

١٤- مقابلة المكاره بالنِعم.

١٥- عدم طلب الشكر إلا من الله.

١٦- حسم الأعمال في الحال، والتفرغ للمستقبل.

..وتردِف -متسائلة- (هناء المخلف) عن: (كيف ترى السعادة؟) فيرويها إيمانها من ينابيع السعادة التي في قلبها:

١- الإيمان - الذي يملأ القلب حلاوة ولذة.

٢- القناعة[1] - التي من لا يعرف كنهها.. لن يعرف السعادة ولو ملك كنوز الأرض-.

٣- التوكل على الله - فهنا لن تؤثر عليه الأوهام، ولا تزعجه الحوادث.

٤- تلاوة القرآن.. ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦]

٥- اليقين .. بأن كل نعيم زائل.

ثم.. ولله درّها حين تُعلّق: (السعادة ليست حالة دائمة.. فلا تعلق الآمال على مستحيل؟ فتُفجع إذا طرأ عليك ما يكدّر صفو حياتك، والمؤمن حينما يدرك طبيعة

(١) وصدق من قال: (اقنع تشبع).

الحياة ينظر في حال من هم دونه في أمر الدنيا، فلا يزدري نعمة الله عليه. ويحس بأنه يملك كنوزاً من النعم، ومن ثم ينفي عن نفسه الحسد والغيرة.. ويوفر لها طمأنينة القلب.. والشعور بالرضا.. وراحة البال.. فيهنأ بلقمته ويأنس بحياته بشكل دائم..) -بتصرف-

ثم.. نتم بـ:

٦- الكفاح - وهو ما سوف يأتي معنا في باب (العمل) أي: إلى بلوغ هدف أو أمرٍ معين.

٧- التكيف مع الأحوال.

وقال علماء النفس: إن مقدار السعادة.. يأتي قدر الاستطاعة بقُدرة الإنسان التكيف مع المعطيات المتاحة لديه..

فلو دققنا التأمل في طريقتنا الحياتية لوجدنا أن ثلاثة أرباع سعينا في غير موضعه الحقيقي، بل يكاد يكون غير مُجدٍ، بالإضافة إلى أنه سعي دنيوي فحسب، إلا أنه أيضاً سعي يكاد يتركز في الجانب المادي وينحصر في توافه الأمور -إلا ما شاء ربي-

..سُئل حكيم ذات مرة.. « بماذا تتعزى في هذه الحياة عندما يصيبك مكروه؟ قال: أتعزى بثلاث ثم بعدها أنام قريراً.

قيل ما هذه الثلاث؟ قال:

الأولى: إيماني أن كل شيء في الدنيا يجري بقضاء الله وحكمه.

والثانية: قولي لنفسي: إن لم أحتمل فماذا أصنع؟

أما الثالثة: فترادادي: لعل الفرج قريب وأنا لا أعلم!؟ ».

قال محمد بن وهيب:

ألا ربمـــا ضـــاق الفـــضاء بأهلـــه وأمكـــن مـــن بـــين الأســـنة مخـــرج

٨- التعرف على أنفسنا، ثم نسبر هذا المنحى بقول أحد الحكماء:

«فنعرف ما يناسبها من الأعمال.. ولا نحملّها ما لا نُطيق.. لأن لكل نفس قدرة[1] كالجسور تماماً.. فمن الجسور ما يحمل عشرة أطنان.. ولو حمل عليه أكثر من ذلك لتصدع وانهار.. ومنها ما يحمل آلاف الأطنان دون أن يتأثر، فالمؤمن يثق بأن سعادته

بحجم قدرته.. وأن ربه حكم.. عدل.. رحيم».

بؤرة السعادة

وإذا ما أصابك شيء من هم الدنيا ونكدها.. وكدرها- أو كدها وكبدها الذي كتب الله على خلقه في ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]؛ فإن عليك الذهاب إلى (بؤرة) السعادة، وهي:

تقوم على ثمان عناصر:

الأول: أجمل مكان في حياتك.

الثاني: أجمل زمان في عمرك.

الثالث: أجمل رائحة تحبها.

الرابع: أجمل لون تميل إليه.

(١) .. ويُوظف لهذا المعنى، قوله ﷺ {كلٌّ مُيسّر لما خُلق له}.

الخامس: أقرب شخص إلى قلبك.

السادس: أجمل جو تنتعش به.

السابع: أجمل ديكور تحبه.

الثامن: أطعم وجبة تحب أكلها.

ثم تضع كل هذه في بقعة بخيالك.. فتولي وِجهتك إليها.. إن علاك هم، أو غشيك حزن أو كدر.

كما أن هناك أحلاماً قد تعيق وصول السعادة للقلب، منها ما هو مستحيل على الذات بلوغه لبُعدها، أو عظمها عن قدرات الذات (المتواضعة) - أو سمو مقامها عن المعتاد لمثل حال المرء.

الإيمان

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

[الرعد : ٢٨]

الإيمان (المطلق)[1] بالله رب العالمين:

وثمرته: الاطمئنان، والتسليم لله، والتوكل عليه، وبقراءة القرآن، وكذا الدعاء -فإنه مما يفرج هم صاحبه- وكذا اليقين وهو من أعظم نِعم الله، وقد رمز إليها أحد الصالحين بقوله أحسبه إبراهيم بن أدهم: "إن بين جنبي من اللذة، ما لو علمها الحكام لقاتلوني عليها بالسيوف".

والإيمان.. يُذهب القلق- فإن حياة إنسان لا تخلو من قلق أو مخاوف، وهو أي الإيمان أكبر طارد للهم وأعظم مواجه أمامه.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله[٢]:

الإيمان إذا باشر القلب وخالطته بشاشته.. فإن له من الحلاوة واللذة والسرور والبهجة ما لا يمكن التعبير عنه لمن لم يذقه..

واللذة تتبع المحبة، فمن أحب شيئاً ونال ما أحبه.. وجد اللذة به..

وليس للخلق محبة أعظم ولا أكمل ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم، وكل ما يُحَبُّ سواه فمحبته تبعٌ لحبه».

.. وهذا معنى حديث: {لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به }.

إذاً (الإيمان) هو الأصل، والكفر أمر حادث، والإيمان أقدم، كما قال تعالى:

(١) وهو: الإيمان الذي لا تشوبه شائبة شك ولا يتقهقر أمام النكبات فيضعف، أو باختصار: هو التسليم لصاحب القضاء – سبحانه – بقضائه؛ خيره و(شرّه).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٤٨).

﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]

ولذا، فإنه يجب علينا دائماً تجديده، فكم نحن بحاجة إلى ذلك، بمراجعة النفس، ووعظها.. من فينة لأُخرى بالذكر، والشكر، والصبر.

ذلك أن عقيدة المسلم في القضاء والقدر تمنعه من الحزن الشديد ليقينه بأن

الأمور كلها مفروغٌ منها ومكتوبة ومقدّرة، وكذلك حين تسمو نفسه إلى تدبر سنن الكون عامة دون حصر فكرة في محيط ذاته الصغيرة.

فالمسلم يدرك معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]

ويدرك معنى قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]

من هنا جاء في الكتاب العزيز تحديد طرق السعادة والفلاح، تارة باتباع هُدى الله ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]

وتارة بالإيمان وعمل الصالحات ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]

وأُخرى بكثرة الأعمال الصالحة ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة ٦-٧]

وكذا بالقيام بالواجبات والانتهاء عن المحرمات ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١]

ومرة بتزكية النفوس وتحلّيها بالصفات الحميدة وإبعادها عن الصفات المذمومة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]

فإذا كانت هذه أغزر سُبل السعادة..، فمُحالٌ أن يجد السعادة أصحاب الفِتن والخنا، وأهل الريب والرذيلة والمعاصي، -مهما أُوتوا من حظوظ في الدنيا- إن لم يهتدوا ويتوبوا، ذلك لأن ذل المعصية يحيط بهم ويقعد بهم عن السعادة الحقيقية..

وهنا تعليق (أحببت الاتكاء عليه) للعلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله

بقوله:

« فإن راحة القلب وسروره وزوال همومه وغمومه، هو المطلوب لكل أحد، وبه تحصل الحياة الطيبة، ويتم السرور والابتهاج، ولذلك أسباب دينية، وأسباب طبيعية، وأسباب عملية، ولا يمكن اجتماعها كلها إلا للمؤمنين، وأما من سواهم.. فإنها وإن حصلت لهم من وجهٍ وسببٍ يُجاهد عقلاؤهم عليه، فاتتهم من وجوه أنفع وأثبت وأحسن حالاً ومالاً »...، وذاك طلباً للأنس في الحياة الذي ندع به طلب أو تمني الموت!

.. وقد أوضح الإمام ابن القيم رحمه الله:

« إن في القلب شعثا.. لا يلمّه إلا الإقبال على الله، وإن فيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وإن فيه حزناً لا يُذهبه إلا السرور بمعرفة الله.. وصدق معاملته.

وإن فيه قلقاً لا يسكنه إلا الفرار إليه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته.. والإنابة

إليه، ودوام ذكره.. وصدق الإخلاص له، وفيه حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره

ونهيه، والصبر على قضائه إلى يوم لقائه ».

و..(المصائب) قد تكون علامة على محبة الله للعبد لقول الرسول ﷺ: { أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل}[1]. وكذا قوله: {إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم}[2]، كما أنه يؤمن بأن الابتلاء يكون على قدر الإيمان.

وبعد: فالشدة لا دوام لها.. أو استقرار، فمهما عظمت وامتدت حيناً من الزمن لا تخلد على مصابها، بل إنها أقوى ما تكون اشتداداً وامتداداً واسوداداً.. أقرب ما

تكـون انقـشاعاً وانفراجـاً وانبلاجـاً[٣]، فيـأتي العـون والإحـسان عنـد ذروة الـشدة والامتحان.

وكـــل الحادثـــات إذا تناهـــت فموصـــول بهـــا فـــرجٌ قريـــبُ

وهكذا نهاية كل ليل غاسق فجر صادق، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦] ولن يغلب عسرٌ يُسرين كما في الحديث.

أقول هذا إسراراً لكل من عاش ضائقة، أو ألمّ به همّ، أو أقضّ مـضجعه أرق، أو سهَّر عينه مرض، أو طاف به طائف من فجيعة، وأنَّى يخلو بشر من ذلك؟

فيا أيها المريض المكروب: خفف من حزنك، وكفكف من دمعك، فتلك سنّة الله في الدنيا ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: ٤٣] ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح: ٢٣]

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٩٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٩٦، وأبو داوود ٤٤٥٦.

(٣) ولك أن تتصورها في المرأة الحُبلى، فهي كل ما يثقل حالها، كلما دنت ولادتها أي: قرب فَرَجُهـا.. وهكـذا، قـال

الشاعر:

ضاقت.. فلما استحكمت حلقاتها فُرجت، وكنت أظنها لا تُفــرج

وهذا ناموسها في جميع بني آدم، سواء في ذلك ساكن القصر أو ساكن الكوخ، ومن يطأ بنعليه هام الجوزاء ومن ينام على الغبراء.

ولا يحــسبون الخــير لا شــر بعــده ولا يحــسبون الــشر ضــربة لازب

وأختم هذا بقولٍ للداعية (عبد العزيز المقبل) : من أهم ما يتميز به المسلم والمسلمة اللذان تعلق قلباهما بالله وطبقا في حياتهما شرعه، وامتثلا أمره، تلك الراحة النفسية والاطمئنان القلبي، فلا تراهما إلا مبتسمين حتى في أحلك الظروف وأقسى الحالات، فهما يدركان أن ما أصابهما لم يكن ليخطأهما ، وأن ما أخطأهما لم يكن

ليصيبهما[1]، فلا يتحسران لفوت محبوب، ولا يتجهمان لحلول مكروه، فربما كان وراء المحبوب مكروهاً، ووراء المكروه محبوباً ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] فاصبر -يا رعاك الله- وما مصابك بالبدعة الفريدة في نشرة المصائب والأحزان.

فسبحان مَن.. إذا توكّل عليه عبده كفاه، ومن اتقاه وقاه، ومن رضي به.. أرضاه.

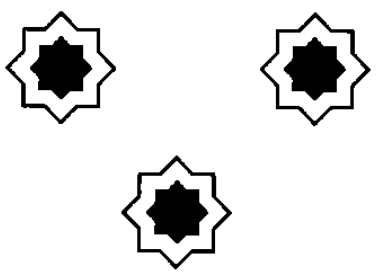

(١) من حديث عظيم .. { واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك} .

التقـــوى

وأنصع تعريف لها: أن يجدك الله حيث أمرك.. وأن يفقدك حيث نهاك.

ومنن تعاريفها:

(الصراط المستقيم..) و(الإيمان والعمل الصالح)، أو هي (العلم النافع والعمل الصالح..)، وهي (العمل بالمأمور وترك المحظور..).

وهي (الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل..) -كما ذُكر هذا.. عن علي رضي الله عنه-

أو (ترك الذنوب أجمع..)، وقيل هي: أن يكون الله نصب عينيك..

وإجمالاً: (أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية)، .. فـ:

خـــل الـــذنوب كبيرهـــا وصـــغيرها ذاك التقـــى

واصـــنع كمـــاشٍ فـــوق أر ض الـــشوك يحـــذر مـــا يـــرى

لا تحقـــرن صـــغيرة إن الجبـــال مـــن الحـــصى

بل لو حمل أحدنا إناء حاراً لاتخذ له وقاية تقيه من حرارة هذا الإناء، وإذا لم يفعل، لقلنا: هذا جنون وسفه.

وكذا لو طلب من أحدنا المشي على أرض ذات شوك لشمّر واجتهد في المشي..،

فلو تهاون في ذلك خسر قدميه، ولو وقف قصر دون حاجته..، ولو لبس واقياً من حذاء ونحوه.. لبلغ غايته وما قصَّر، ولجاوز الشوك، وما تأثر..

- الحيـــاة الطيبـــة..

..وكذا التعلق بالدنيا والشغف بها، والاسترواح إليها، فيتعلق قلب ضعيف الإيمان بالدنيا، ويحس أيضاً بألم وانقباض أعظم إذا رأى أخاه المسلم قد نال بعضاً مما فاته هو ..من حظوظ الدنيا.

ومن الأسباب كما قال (أحمد الجردان): (الابتعاد عن القدوة الصالحة، وكذلك الابتعاد عن طلب العلم الشرعي، ووجود المسلم في وسط يعج بالمعاصي).

ومنها: الإغراق في الاشتغال بالدنيا حتى يصبح القلب أسيراً لها والرسول ﷺ يقول: {تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم}[1].

وكذا الانصراف للدنيا.. - كلياً -

..بعدها لا نعجب -وقد تكالبت ظروف الحياة على الإنسان- أن بُعده عن ربه وانشغاله الصرف بحياته يسبب له (كمداً) لا يُحسّسه بلذة!.

كما قالت الأديبة نجوى هاشم:

«لئن قلّت ساعات النوم تحت وطأة ظروف أوجدها الإنسان لنفسه دون أن يسببها أحد.. فالليل والنهار لم يتبدلا..! ولكن اهتمامات الإنسان هي التي تبدلت، ورغباته هي التي تعددت..، واهتماماته.. هي التي تزايدت..».

ويدرك أن:

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٠).. وفي حديث آخر: {تعس عبد الدنيا تعس عبد الدرهم إن أُعطي شكر وإن لم يُعط سخط}، وأيضاً عن الطمع.. { لو كان لابن آدم وادياً من ذهب لتمنى أن يكون له واديان ولن يملأ فم ابن آدم إلا التراب}. رواه البخاري في صحيحه برقم ٦٠٧٥ .

دقـات قلـب المـرء قائلـة لـه: إن الحيـاة دقـائق وثـواني [١]

وأختم بذكر سبب مهم من تلك الأسباب وإلا فالأسباب كثيرة وهو طول الأمل: قال الله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٣]

-فالمبادءة.. والمبادرة:

إن لم يـكُ اليـوم فلاحـي.. فمتـى؟ هـل بعـدك يـا عُمـريَ عمـرٌ ثـان!-

قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذُخرا وعند الله للأتقى مزيد

وقال الأعشى:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

الذكر..(التوحيد):

وهو: ذاك الترديد الدائم، .. الذي يداوم عليه المسلم لتطهير قلبه، وتعطير فمه.. وشرح صدره.

إن الغفلة موت محقق، والقلوب المقفلة كالبيوت الخربة لا ترى فيها إلا ما يسوء العين وُيمضُّ القلب.

(١) أحمد شوقي.

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]، إنك ترى في حياتك أصنافاً من البشر متعلمين وغير متعلمين، يسيرون كالأنعام، يأكلون ويشربون، وتلهيهم آمالهم الكاذبة[1]، وتغرهم أموالهم ومناصبهم، أولئك محرومون من نعمة التفكر والتذكر، ويا له من حرمان فظيع لا يعدله حرمان في هذه الحياة.

لقد كان صمت رسول الله ﷺ فكراً.. يتفكر ويتدبر فيرى بعين بصيرته أسرار هذا الكون التي أودعت فيه قدرة الله عز وجل حق قدرة فيقدِّره.

..ومن هنا أتى (الذكر) ليشرح الصدر ويُطمئن القلب بذكر الله، فبذكر الله

تطمئن القلوب... وبالتسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار ب: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» -كما في الحديث- والدعاء بـ يا ذا الجلال والإكرام.

فعليك بالذكر في الخلوة والجلوة، وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله :

(العمل لأجل الناس رياء، وترك العمل لأجل الناس شرك).

ولعلي أجلي الرد على من يتمسحون .. وفي يدنا المنهج الرباني المخلص، من شوائب الدنيا بنظريات عقيمة الجدوى، ما عقب به (د. عبد الرحمن العشماوي)حين استمع إلى هذا الحوار الذي دار بين أحد المتصلين من المستمعين وبين الطبيب النفسي الذي يستضيفه ذلك البرنامج على النحو التالي:

- يا دكتور أنا أعاني من القلق والأرق، فأنا لا أستطيع النوم أبداً إلا ببعض العقاقير

---

(١) .. أو سكرة الدنيا كما يقول بعض الفضلاء .. حتى إن بعضهم لا يفيق إلا وهو في قبره عياذاً بالله .

المنومة.

- لا تقلق يا أخي؛ فعلماء النفس يُعرِّفون القلق بأنه.....
- يا دكتور أنا لم أسأل عن تعريف القلق، أنا لست طالباً تشرح لي ذلك، أنـا يـا دكتـور مريض بالقلق، يكاد القلق يقتلني.
- لا عليك؛ فالأمر سهل، يمكنك أن تهدأ، وأنصحك بالاستماع إلى موسيقى هادئة قبل النوم، وعدم كبت مشاعرك بسبب الضغوط الدينية ممن حولك.
- يا دكتور أنا في وادٍ وأنت في واد آخر، أنـا لا أعـاني مـن أي مـشكلة اجتماعيـة، ولا أتعرض لأي ضغوط دينية، بل أنا مقصرّ في الأمور الدينية كثيراً، ولقد استمعت إلى

عشرات الأنواع من الموسيقى الهادئة فما أفادتني.

- هذا غير صحيح؛ فخبراء الفن وعلماء النفس يؤكدون تأثير الموسيقى في إزالة القلق.

قال المتصل: أنا أتحدث إليك يا دكتور عن واقع أعيشه، أنا أعاني من قلق نفسي لا تزيده الموسيقى التي تتحدث عنها إلا التهاباً وقوة فماذا أصنع؟

وهنا تدخّل المذيع الذي أدرك أن ضيف برنامجه يدور في فلك ضيق فقال: جرِّب يا أخي الاتصال ببعض العلماء المتخصصين في حلِّ المشكلات النفسية والاجتماعية فلعلك تجد عندهم ما يزيل القلق عنك.

ثم علق../ هذا الحوار أصابني بالضيق الشديد؛ فالطبيب لم يلتفت أبداً إلى ما ورد في كلام المتصل من الاعتراف بالتقصير في الأمور الدينية، ولو التفت إلى ذلك لأدرك أن العلاج الناجع هو في التخلص من هذا التقصير.

الصلاة الخاشعة، قراءة القرآن، الدعاء، التسبيح، الذكر، صلة الرحم، الوفاء، الصدق، الخُلق الحسن، المودة، الحب الصافي الصادق، عمل الخير، مساعدة المحتاجين، إجادة العمل دنيوياً أو أخروياً... كل هذه الأعمال توصل بإذن الله إلى الراحة والهدوء والاستقرار فلماذا يتغافل عنها بعض الدكاترة الكرام؟... أه

ثم بعدها يتساءل ذلك المقصر أو المسرف على نفسه بـ ما لبصري، أعراه العمى؟

اطمئن، لم يصبه شيء بل فترت صلته بكتاب الله. اقرأ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] وهو أي: الذكر من التعود.. كما قال الشاعر جرير:

عـوّد لـسانك قـول الحـق تحـظ بـه إن اللـــسان لمـــا عـــوَّدت معتـــاد

ثـم يجـلي عـن مقـام الـذكر قـول عمـير بـن حبيـب الخطمـي ﷺ وغـيره مـن الصحابة:«الإيمان يزيد وينقص، فقيل له ومـا زيادتـه ونقـصانه؟ فقـال: إذا ذكرنـا الله وحمدناه وسبّحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فتلـك نقـصانه»، وعـنهم في هذا الباب كثير، وعمن بعدهم أكثر.

والدعاء المأثور من كتب السلف الـصادر عـن الـشرع ممـا جـرت عليـه الـسيرة العملية، التسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار والإكثار من: {يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك} -كما في الحديث- والدعاء بـ: (يا ذا الجلال والإكرام...).

والشهادة بعد الوضوء: { من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا

الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبـده ورسـوله، اللهـم اجعلنـي مـن التـوابين واجعلني من المتطهرين، فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء} مسلم (٢٣٤).

وحديث « من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مئـة مـرة، حطـت خطايـاه وإن كانت مثل زبد البحر » رواه البخاري. وماذا يضير المرء المؤمن أن يقول بلسانه.. ذلك .

ومن أمثلة ذلك -لدى ذاك الرعيل.. الرباني-:

١- أن عمر بن الخطاب ﷺ كان ربما يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصـحابه فيقـول: «قم بنا نزدد إيماناً».

٢- وكان معاذ يقول لرجل: «اجلس بنا نؤمن ساعة»، أي نزدد إيماناً ولم يَعْنِ أنـه كـان غير مؤمن قبلها.

٣- وعن أبي الدرداء قال: «مِن فِقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فِقه العبد أن يعلم: أيزداد هو أم ينقص».

٤- وابن مسعود ﷺ كان يقول في دعائه: «اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً».

٥- وعبد الله بن رواحة ﷺ كان يأخذ بيد نفر من أصحابه فيقول: «تعالوا فلنؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله ولنزدد إيماناً، تعالوا نذكر الله بطاعته لعل الله يذكرنا بمغفرته».

الدعـــــاء

قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] الآية.

وفي الحديث: «الدعاء هو العبادة»[1]..

..أتهـــزأ بالـــدعاء وتزدريـــه ... ومـــا تـــدري بمـــا فعـــل الـــدعاء

ســـهام الليـــل صـــائبة ولكـــن ... .. لهـــا أجـــل وللأجـــل انقـــضاء

وكذا الإلحاح فيه:

الله يغـــضب إن تركـــت ســـؤاله ... وبُنَـــيَّ آدم حـــين يُـــسأل يغـــضب

فالله يحب الملحين في الدعاء.. كما في الحديث، ومع الإلحاح.. الحرص على جوامعه، فقد روى أبو داود عن عائشة أن الرسول ﷺ «كان يحب جوامع الدعاء ويترك ما سواه»..

من ذاك: {ربنا آتنا في الدنيا حسنة..} الذي كان يكثر منه..

وتنهد بعد أن.. تردد كهذا الدعاء الذي كان النبي (يدعو) به:

{اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر} رواه مسلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨).

وكذلك قوله: «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت».

وهنا أدعية مأثورة عن رسولنا (حبذا تكرارها.. لتجلب الأنس إلى النفس، وتكشف الغم والهم، وتريح القلب بإذن الرب.. سبحانه

نبدؤها بقول سيدنا موسى عليه السلام حين أرسل إلى فرعون بـ:

ربِّ اشرح لي صدري ويسِّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تُهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارضَ عنا.

..اللهم أصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور.

اللهم اجعلنا هادين مهتدين، غير ضالِّين ولا مضلِّين، سِلماً لأوليائك، حرباً على أعدائك.

اللهم انصرنا على من عادانا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

اللهم مُنزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزم أعداء دينك

وانصرنا عليهم.

اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين، وغلبة العدو، وشماتة الأعداء، وفتنة النساء.

اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك أن أَظلِم أو أُظلم.

اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال.

اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة، وأعوذ بك من الخيانة فبئست البطانة.

اللهم متعني بسمعي وبصري، حتى تجعلهما الوارث مني، وعافني في ديني وفي جسدي، وانصرني على من ظلمني.

اللهم طهر قلبي من النفاق، وعملي من الرياء، ولساني من الكذب، وعيني من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

اللهم رضني بقضائك، وبارك فيما قدر لي، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما قدمت.

اللهم أغنني بالعلم، وزيني بالحلم، وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية.

- الحيـــاة الطيبـــة..

اللهم إني أسألك الصحة والعفّة والأمانة، وحسن الخلق والرضا بالقدر.

اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر، فأتم نعمتك علي وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة[1].

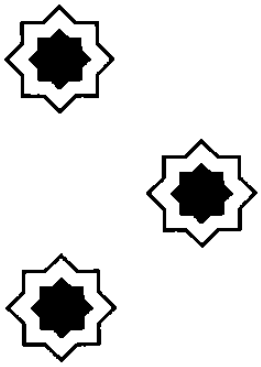

(١) ..وهي أدعية مختارة من كُتب الأذكار والأوراد والأدعية المأثورة (الكثيرة) مثلاً:

١- الأذكار للإمام (النووي) وهو أعظمها.

٢-حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة د/ سعيد القحطاني.

٣- أذكار الصباح والمساء.

٤- (عمل اليوم والليلة) لابن السني.

هدايـــــا

...وإليك هذه (الهدايا)- أو المشاريع- التي معظمها لا يكلّفك شيئاً فلا يلزمك طهارة، أو تعبٌ أو جهد!

بل قد تقوم بها وأنت تسير على قدميك أو راكب سيارتك، أو مستلقٍ على ظهرك،

أو واقف أو جالس تنتظر أحداً.. بل ولا تأخذ من وقتك أكثر من (دقيقة واحدة)، مثلاً:

١- تستطيع أن تقرأ سورة الفاتحة (٥) مرات، فتحصل على أكثر من (٧٠٠٠) حسنة.

٢- تستطيع أن تقرأ سورة الإخلاص (١٥) مرة، فإنها تعدل قراءة القرآن (٥) مرات.

٣- تستطيع أن تقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (٢٠) مرة، وأجرها كعتق (٨) رقاب في سبيل الله من ولد إسماعيل.

٤- تستطيع أن تقول سبحان الله وبحمده (١٠٠) مرة، ومن قال ذلك في يوم غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر.

٥- تستطيع أن تقول لا حول ولا قوة إلا بالله أكثر من (٤٠) مرة، وهي كنز من كنوز الجنة.

٦- تستطيع أن تقول سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته أكثر من (١٠) مرات، وهي كلمات تعدل أضعافاً مضاعفة من أجور التسبيح والذكر.

٧- تستطيع أن تستغفر الله أكثر من (١٠٠) مرة، فالاستغفار سبب للمغفرة ودخول الجنة، للمتاع الحسن، وزيادة القوة، ودفع البلايا، وتيسير الأمور، ونزول المطر، والإمداد بالأموال والبنين.

٨- تستطيع أن تصلي على النبيِّ (٢٠) مرة، فيصلي عليك الله مقابلها (٢٠٠) مرة.

٩- تستطيع أن تقول سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم (٥٠) مرة، وهي ثقيلة

في الميزان خفيفة على اللسان.

١٠- تستطيع أن تقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر (٢٥) مرة، وهذه الكلمات أحب الكلام إلى الله.

١١- تستطيع أن تقول لا إله إلا الله (٥٠) مرة تقريباً.

١٢- تستطيع أن تقرأ أكثر من صفحتين من كتاب مفيد يسير الفهم.

١٣- تستطيع أن ترفع يديك وتدعو بما شئت من جوامع الكلم.

١٤- تستطيع أن تصل رحمك عبر (الهاتف)- ولا عذر لمن ترك هذا الجهدَ اليسير إلا الكسول-.

١٥- تستطيع أن تنهى عن منكر أو تأمر بمعروف أو تقدّم نصيحة لأخ، أو تشفع شفاعة حسنة أو تواسي مهموماً، أو تميط الأذى عن الطريق أو تصافح عدداً من الأشخاص.

وكتب (صالح السلمان):

"قرأت بعض الخـواطر التـي يمكـن تـصنيفها بالمفارقـات الغربيـة أنقلهـا هنـا (بتصرف)..

- نرى الـ(عشرة) ريالات كبيرة عنـدما نخرجهـا لنتـصدق بهـا ونتـبرع فيهـا لعمـل خيري.. ونراها صغيرة وتافهة إذا ذهبنا بها إلى السوق.
- نشعر أن الساعة في طاعة الله طويلة.. ولكن هذه الساعة سريعـة وقـصيرة في لعـب

الكرة أو مشاهدة فيلم!

- يفرح الناس إذا مُدد وقت (المباراة) إلى وقت إضافي.. وقد يتذمرون إذا طالت محاضرة قيمة أو خطبة جمعة عن وقتها المعتاد.
- نتثاقل عند قراءة جزء أو بعض جزء من القرآن.. ولكن نقرأ الجريدة من اليمين إلى الشمال ومن الشمال إلى اليمين وربما نقرأها مقلوبة ولا ملل..
- نرى الناس يتزاحمون للحصول على مقعد أمامي والصف الأول في مباراة أو مسرحية.. ونراهم يتزاحمون للجلوس في مؤخرة المسجد".

ولتحرص أخي المؤمن على دعاء الله بالأدعية الموظفة للنوم واليقظة والقلق وضيق الصدر والهم والحزن والخوف والحسرة.. تقرأ ذلك نظراً في كتاب بتكرار يُكسبها بعد مدة وجيزة الحفظ.. ولتُكرّر: (ما أصابنا من حسنة فمن الله وما أصابنا من سيئة فمن أنفسنا.. رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.. لا حول

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. إنا للهِّ وإنا إليه راجعون).. وليكن اللسان رطباً بكل

ذلك عند النوم واليقظة وفي صالات الانتظار وفي السيارة...

ثم.. واعلم أن أحرى الدعاء بالإجابة ما كان عن تفويضٍ وإيمان وثقة بالله، في أوقات وأحوال مضبوطة: كحالة استحكام الضرر، وآخر ساعة من الجمعة، وعندما ترمق المطر، وما بين الأذان والإقامة، ودبر كل صلاة، وعند صعود الخطيب المنبر يوم الجمعة..

العبـــادة

ثم إن (الإيمان).. لا يكتمل إلا بالعبادة، كما قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه : ١٢٤]

وإذا حلّـــت الهدايـــة قلبـــاً نـــشِطْت للعبـــادة الأعـــضاء

وللعلم إن في القرآن ١١٠ آيات فقط للعبادة.

مع ملحظ مهم.. قال به وشدد عليه الفقهاء: أن الإيمان يزيد وينقص، أي يزيد بالعمل وينقص بالإهمال.. وإتيان المنكرات، كما قال عبد الله بن المبارك:

رأيــت الــذنوب تميــت القلــوب وخـــير لنفـــسك عـــصيانها

.. وانظر كيف ينسب.. وينتسب إلى شرفها (القاضي عياض):

وممـــا زادنـــي شـــرفاً وفخـــراً وكـــدت بأخمـــصي أطـــاء الثريـــا

دخـولي تحـت قولـك (يـا عبـادي) .. وأن صـــيّرت أحمـــد لـــي نبيـــا

مشيراً.. إلى الآيات: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].. وغيرها[1] من الآيات.

---

(١) .. كـ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]

الاستغفـــــار

قـال تعـالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النـور: ٣١] وفي الحديث: « إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد وإن جلاءها الاستغفار ».

وروى البخاري «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه بين اليـوم أكثـر مـن سـبعين مرة».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ربما عُدَّ لرسول الله ﷺ في اليوم الواحد مائة مرة: { رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم}[1].

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة وحسبنا من (القلادة) ما أحاط بالجِيد.

إذاً فـ / كم نحن بحاجة إلى مراجعة النفس وتجديد الإيمان ووعظ الذات، من فترة لأُخرى. فالإيمان هو الذي يهيء النفوس لعبادة الله ويُنشّط الجوارح لها...

روى أبو نعيم في (الحلية) عن حذيفة رضي الله عنه أنه قيل له: (في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم ؟) قال: (لا، ولكنهم كانوا إذا أمروا بشيء تركوه، وإذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه) .

(١) أخرجه ابن حبان كما في « موارد الظمآن » ١/ ٦٠٩.

الصـــــلاة

ومـن أسـباب زيـادة الإيـمان ونقـصانه: (الأعـمال الـصالحة) ومـن أعظمهـا (الصلاة[1]) وهي عامود الإسلام

وذاك في المحافظة عليها.. فإن رسولنا ﷺ إذا أكربهُ أمر فزع إلى الصلاة[2].

وأنها كما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال عنها:

و«من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة، ويحشر مع فرعون وهامان وأُبيَّ بن خلف»[٣]، فـ لِمَ لا نربي أبناءنا وبناتنا على هذه الحقائق؟

وهل سمعت بقصة امرأة صالح بن حيي، إنها امرأة مات عنها زوجها وترك لها ولدين، فلما شبا إذا بها تعلمهما العبادة والطاعة وقيام الليل.

لقد قالت لولديها: ينبغي ألا تمر لحظة واحدة من الليل في بيتنا إلا وفيه قائم ذاكرٌ لله ﷻ، فقالا: وماذا تريدين يا أماه؟ قالت: نقسم الليل بيننا ثلاثة أجزاء، يقوم أحدكما الثلث الأول، ثم يقوم الآخر الثلث الثاني، وأنا الثلث الأخير، ثم أوقظكما لصلاة الفجر.

(١) وهي الركن الثاني من أركان الإسلام.. حتى إن بعض أهل العلم -كابن تيمية رحمه الله- يرون كفر من تركها متهاوناً حتى يخرج وقتها.

(٢) أخرجه أبو داوود ٤٩٨٥.

(٣) حديث شريف أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦٥٤٠.

فقالا: سمعاً وطاعة يا أماه، فلما ماتت الأم لم يترك الولدان قيام الليل، لأن حب الطاعة والعبادة قد ملأ قلبيهما، وصارت أحلى لحظات حياتهما هي اللحظات التي يقومان فيها من الليل، فقسما الليل بينهما نصفين، ولما مرض أحدهما مرضاً شديداً، قام الآخر الليل كله وحده.

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: { سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل

إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا على ذلك وتفرقا، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق صدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه } رواه البخاري ومسلم.

وأيضاً مع الحرص عليها في وقتها لحديث سئل رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله فقال: {الصلاة على وقتها}[1]، وسنن الرواتب.

(١) رواه البخاري.

الشكـــــر

ليعلم أن شكر الله تعالى من أعظم العبادات، ولعلَّ أكبر إشـارة إلى ذلـك أن أول آية من القرآن افتتحت بحمد الله والثنـاء عليـه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحـة : ٢]

حمداً كاملاً مقصوراً ومحصوراً لذي الجلال والإكرام. ربٌّ كَريمَ إذا سُئل القليل، أعطى الجزيل.

ونجد في التوجيهات النبوية تكراراً للحث على هذا العمل ليرتكز في نفوس المستمعين أهمية هذا الأمر، ففي حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال:« كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة، » رواه الترمذي.

قال سليمان التيمي: «إنَّ الله عز وجل أنعم على عباده بقدر طاقته[1]، وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم».

فإذا كانت منن الله عظيمة.. فحقٌّ علينا ألا نصرفها إلاّ إلى المنعم (العظيم) ومن

يكون له هذا غير المولى تعالى:؟!

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ

(١) كما قال تعالى ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه : ٥٠]

ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان : ٢٠]

- .. قال الشافعي:

إذا كنـــت في نعمـــة فارعهـــا فـــإن المعاصـــي تزيـــل الـــنِّعم!-

قال حذيفة بن اليمان: «ما عظُمت نعمة الله على أحد.. إلا ازداد حق الله عليه عُظماً».

علينا أن نقدّم مع الطاعة والشكر لله تعالى في كل وقت، أي : نشكره على نعمائه وفضله، كي يمتعنا بحواسنا لندرك أن كل ما حولنا من بديع صنعه وفي أنفسنا، وقد أحسن القائل: « كن جميلاً ترى الوجود جميلاً ».

و.. قال العالم الزاهد (عمرو بن عبيد) للخليفة المنصور حين سأل بأن يأمر أصحابه (الزهاد) أن يعينوه على تحمل المسؤولية معه، بـ أنت تستطيع حثهم لذلك بإقامتك للعدل[1] واستجلابهم إليك بصدق منهجك..) إلخ.

إذاً فـ/ .. هو أوسع أبواب السعادة، فإن الإنسان الشاكر، هو ذاك المعترف بالمعروف عليه، والذي كلّه.. له من ربه جل وعلا، والمرء حين يقول شكراً لأي معروف، هو إنسان صافي الذات عالي الخُلق باسق النفس، ذو أريحية تجلّي عنه كل

ضغينة.. وتتجلى -بشكره- شخصية.. حتى قال بعض الحكماء -فيه- هو: "قيدٌ للنعم" ومن أعظم القربات والعبادات وإن لم يكن لإسعاد المرء نفسه، فعلى الأقل لإبقاء النعمة لديه .

(١) قال عمر بن عبد العزيز لأحد عماله - حين طلب منه مالاً لتحصين مدينته - : (حصنها بالعدل ..) إلخ .

وكذا قال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- «قيدوا نعم الله بشكر الله».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (لا يزهدنك بالمعروف كفر من كفره، فقد يشكر الشاكر بأضعاف جحود الكافر).

وقال الحطيئة:

مـن يفعـل الخـير لا يعـدم جوازيـه ... لا يـذهب العـرف بـين الله والنـاس

وقال الرياشي:

يـد المعـروف غـنم حيـث كانـت ... تحملـها كفـور أم شـكور

ففـي شـكر الـشكور لهـا جـزاء ... وعنـد الله مـا كفـر كفـور

وخذ هذه البشرى: عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: {ما أنعم الله على عبد نعمة.. فعلم أنها من عند الله إلا كتب الله له شكرها، وما علم الله من عبد ندمه على ذنب.. إلا غفر الله لهُ قبل أن يستغفره، وإن الرجل ليشتري الثوب بالدينار فيلبسه فيحمد الله فما يبلغ ركبتيه حتى يغفر لهُ}[1].

وقد ثبت في صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال: {إن الله ليرضا عن العبد يأكل الأكلة

فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها}[2].

يـد المعـروف غـنم حيـث كانـت تحملـها كفـور أم شـكور

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٦٩٥.

(٢) أخرجه مسلم) ٢٧٣٤).

إذا كـان شـكري نعمـة الله.. نعمـةً علـيَّ، لـه في مثلـها يجـب الـشكرُ

فكيـف بلـوغ الـشكر إلاّ بفـضله وإن طالـت الأيـامُ واتـصل العمـرُ

والأسمى من ذلك: (الشكور) وهي درجة أعلى من تلك، فهي الشكر على

المحنة والمنحة (السراء والضراء)،كما قال ابن تيمية: «إذا أُعطينا.. شكرنا، وإذا مُنعنا ..صَبَرنا، وإذا أذنبنا.. استغفرنا».

حتى إن ربّنا يعلّمنا المنهج في الشكر بقوله تعالى ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] وكما قال ﷺ: {من صلى عليَّ صلاة.. صلى الله عليه بها عشراً}[1] بمعنى: أن الله كريم جواد.

أخيراً.. واعلما أخي وأختي القارئة، أنه إذا كان لديكم هذه (الخلّة) العظيمة/ الشكر، فهي فضل لا يُجحد، ومنقبه جلّ عند ربه من حازها، فإن أُناساً -مع الأسف.. كُثراً فقدوها أو حُرِموها اليوم، -اللهم اجعلنا من الشاكرين أبداً-.

جاء في كتاب «الهم والقلق» (ص١٢) عبد الله بن عبد الرحمن الجعيثن ما نصه:

«إن الكثيرين يستبد بهم القلق بسبب ما يجدون من الناس من جحود ونكران وحسد وقلّة إنصاف وقلة شكر، إن طبيعة أغلب الناس أنهم لا يشكرون ربهم تبارك

وتعالى، وهو الذي خلقهم ورزقهم، قال عز وجل: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠] وقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣] فإذا كان أكثر الناس لا يشكرون

(١) أخرجه مسلم(٤٠٨).

خالقهم ورازقهم!. فكيف يشكرون بشراً مثلهم؟».

كذلك يمنع من الإنصاف صنفٌ آخر من الناس.. بدافع الحسد والتكبر والغرور، إلا من رحم ربي.

فاللهم إنا نسألك قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وبدناً على البلاء صابراً، (اللهم أعنا

على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك). وهو سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

الحظ والنصيب:

هناك خلط بينهما -لدى البعض-، ولعل إيراد أمثلة عليهما -كلٌّ على حده- يُسفر عن مكنون هذا الخلط.. بإذن الله.

فـ/ الحظ:

إقبال سعد ورزق وملكة تُوهبُها، أو عكسها.. حتى قالوا: لو كان حظّك صخراً.. فاحمله على ظهرك -أي لا تشكي.. أو تأن بـ (وزره)[1] -

ويخاطب مكتئباً (أبو ماضي) فيقول:

أيها الشاكي وما بك داء ... كن جميلاً تر الوجود جميلا

والذي نفسه بغير جمال ... لا يرى في الوجود شيئاً جميلا

فتمتــع بالــصبح مــا دمــت فيــه لا تخــف أن يــزول حتــى يــزولا

(١) وهنا موقف: قصة "حذاء" أبي القاسم الطنبوري الذي أراد أن يتخلص منه.. لِقدمِه، فرماه في السوق فأحضره له تاجر، فرماه في الصحراء فأحضره له بدوي، فرماه في البحر فأحضره له قبطان..!

أما النصيب:

فهو (قسمتك) فيما آتاك الله -من خير أو ضرر-

وهذا.. مما أود إيصاله (لك):

لا تكثر الشكوى، أو النواح، فإن لكل امرئ من دهره ما يغنيه!

بل.. وخذ مني هذا النصح: إن معظم شكوى اليوم هي (فضح المرء حاله، وكشف ما ستر من أحواله).

.. وانظر لقول زهير بن أبي سلمى (في معلقته) -يختصر لك كل ما اعتصره من تجارب عمره الطويل-:

سئمت تكاليف الحياة، ومن يعش ... ثمانين حولاً -لا أبا لك- يسأم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمته، و من تخطئ، يُعمَّر فيهرم

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... و لو نال أسباب السماء بسلم

..واعلم ما في اليوم، والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عمي

(ومن لا يُصانع، في أمور كثيرة ... يضرَّس[1] بأنياب، ويوطأ بمنسم)[2]

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

(١) أي: يعُضّ.

(٢) وهذا بيت القصيد.. كما يقال .

و من يجعل المعروف من دون عرضه يفره[1]، ومن لا يتق الشتم يشتم

ومن يغترب يحسب عدواً صديقه و من لا يكرم نفسه لا يكرّمِ

حتى يقول- وهو.. دليلٌ لا يحتاج إلى تعليل-:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

..حتى إن العرب تقول (إذا وقعت يا فصيح.. لا تـصيح)- أي: تحمـل وأكـتم، وأعلم: أن الشكوى فضح للحال.. فقط!-

قال ابن زيدون مخاطباً صديقه وهو في السجن :

إن قـــسا الـــدهر فَلِلْمـــا ء مـــن الـــصخر انبجـــاس
ولـــئن أمـــسيت محبـــو ســـاً فللغيـــث احتبـــاس
لا يكـــن عهـــدك ورداً إن عهـــدي لـــك آسُ
واغتـــنم صَـــفو الليـــالي إنمـــا العـــيش اخـــتلاس

ومع.. هذا، لا بأس من اختزانها لمن تحب، رغبة في نـصحه واستـشارته. أو عـلى الأقل مواساته كما قال الشاعر:

ولا بـد مـن شـكوى إلى ذي مـروءة يواسـيك أو يـسليك أو يتوجّـع

ومن النصيب، أو العجيب أنك تجـد اثنـين (مـن ظهـرٍ واحـد) فأحـدهما عقلـه

وقدراته على قدر الحال -كما يُقال- وتجد (الدنيا) بين يديه، أو أموره مرتّبة ووضعه

(١) أي: يقيه.

مستقراً.

والآخر نابغة ويحوز درجات عُلا في التحصيل العلمي.. لكن أحواله دونية.. يجاهد خلف الدنيا فلا يكاد يوافي حوائجه.

وهذا نموذج ليس ببعيد عن إدراكك.. حين تتلفّت إلى من حولك.

حتى نُسب لعمر بن أبي ربيعة:

سـألت أحـبّتي مـا كـان ذنـبي أجـابوني وأحـشائي تـذوب

إذا كـان المحـب قليـل (حـظٍّ) فمـا حـسناته إلا ذنـوب

السمـــو بالـــذات

وأهم جانب ذاك (السماحة) مع البشر وحسن الخُلـق ورقـيّ التعامـل واللطـف وجمال العشرة في السؤال عنهم، وعن أحوالهم وتقبّلهم[1].. واللين معهم، وحتى من لا يعرفك أو يستفيد منك، يكفيك أن يسمع عنك كل خير أو جميل سـيرة تـدع في ذاكرتـه (ذكراً حسناً) عنك.

وهنا أذكر معنى قول الجاحظ: «لا أعلم نعمة أنعمها الله على العبـد -بعـد نعمـة

الهداية- أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً»، لأن الأصل أن الناس لا تمدحك إلا لحسن صفاتك التي تقع منهم وقعاً عجيباً.

و.. للإمام أحمد -رحمه الله- كلمة عظيمة: «موعدنا يوم الجنائز» فإن في مثل ذلك الموقف لا مجاملات.. ولا تزوير في العواطف، إذ فيه يحصحص الحق، ويبين أهله، وذوي الخير.. فيه.

فإن ذلك (المقياس) الحقيقي لأهله، بل هو ما يتّضح من مقامك في القلوب.

وكل ذلك يختصره معنى الحديث: { لن تملكوا الناس بأموالكم ولكن بسعة أخلاقكم }..

وهذا.. بالفعل بيدك فعله!

أشار: (د. طارق السويدان) إلى:

(١) تَقبّل المرء: أي (التعامل معه على محاسنه ومساوئه، وعدم طلب المحال منه، أو ما ليس ممكن عمله).

«أن سلوك الإنسان نابعٌ من قراراته، وقراراته نابعة من قيمه».

ويُعين على هذا.. أو من الشيء الجميل -ولعلك تتعوّده- أن يكون (دائماً) قريباً منك دفتر صغير تدوّن به ملاحظاتك وانطباعاتك -أي خبرات تجمعها- على ما يطرق لك أو يحدث أمامك.. فتكتب عنه ما يخطر ببالك حوله.

ولعل هذا يكون بمثابة (ملف) ينتقل معك -فيزودك دائماً- ويكبر بعد كل فترة تنطوي عنك، ثم هذا/ لعلّه يكون -فيما بعد- استقراء لذاتك.. عن كل مرحلة دوّنت بها.. عنها!

وإن نمت عندك (موهبة) في هذا، فلعلها تتحول إلى (كُتيّب) -يُجمع به ما

رصدته- بحيث يكون لك (مرآة).. عن نفسك وما أثبته فيه عن غيرك.. في كل حقبة سجلت بها ما تقدّم -نوجّه هذا بخاصة لمن لديه (موهبة) في الكتابة كتنمية لها:

ولا إخالك تُردد.. بعدها، قول الشاعر:

كل شيء صار مراً في فمي ... بعد أن أصبحت بالدنيا عليما

آه من يأخذ عمري كله ... ويعيد الطفل والجهل القديما

بل دعها (خبرات) تتراكم، فتبلغك العلياء في المقام والسداد في الرأي.

وصدق ذاك (الباحث) أظنه العقاد في داخل النفس العجيبة وهو يقول:

يطلب الإنسان في الصيف الشتاء ... فإذا جاء الشتاء أنكره

ليس يرضا المرء حالاً واحداً ... قُتل الإنسان ما أكفره[1]

---

(١) من قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧] - .. وهذا نعم الإقتباس-

قال محمد همام:

علمـــتني الحيـــاة أن أتلقـــى كـــل ألوانهـــا رضـــا[1] وقبـــولا

فرأيـــت (الرضـــا) يخفـــف أثقـــالي ويُلقـــي علـــى المآســـي ســـدولا

وأخيراً.. هناك حالة واحدة فقط يستوي بها الصيف والشتاء، أي يكون الصيف جميلاً. والشتاء أوفر جمالاً.. هي تلك الحالة التي عبرت عنها د.سعاد الصباح بقولها:

أمـــلأُ الـــدنيا حـــوا ليـــك.. عـــبيرا وضـــياء

وأُذيـــب الـــثلج مـــن حـــو لـــك في بـــرد الـــشتاء

وتراني ظلك الحا نـي إذا ما الصيف جاء

وأُغني لك من عا طفتي أحلى غناء

أي: حالة (الحبيب) مع حبيبه.

(١) .. بحث (هذا) في الفصل التالي.

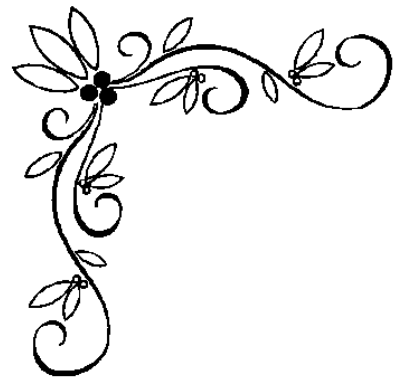

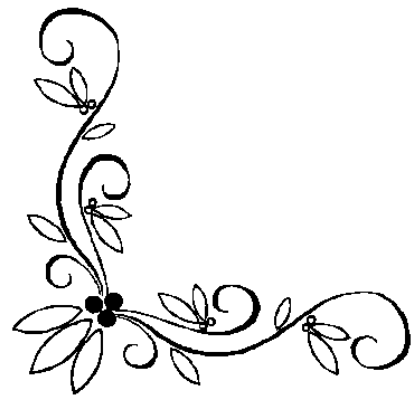

الرضـــا

{ارضَ بما قسمه الله لك .. تكن أسعد الناس}

- .. الحديث-

الابتسامة والبشاشـــة

قال أحدهم:علمتني الحياة أن الابتسامة مفتـاح القلـوب وعـن طريقهـا نـرضي علام الغيوب.

وهي لا تكلف الإنسان شيئاً ولكنها تفعل العجائب:

إذا كـــان الكـــريم عبـــوس وجـــه فمـــا أحلـــى البـــشاشة في البخيـــل

فالبعض للأسف (بخيل) – كما قال مروان بن أبي حفصة حتى في الضحك.. أو الابتسام[1]!

مكشّر لم يبتسم مرة .. قد بزّ في التكشير أقرانه

له فم لكنه موصد لا تنسف النكتة أركانه

يحاذر الضحك وأسبابه خشية أن يفقد أسنانه

حقاً.. (شحيحة) هي (البسمة) في حياتنا اليوم، حتى ترى الغالبية يرون العالم – على سعته – بنظرة سوداوية، فظهر جيل بل أجيال لا ترى السعادة إلا إذا عبوا من المال عباً، وحازوا الجاه والجمال معاً.. ونعموا بموفور الصحة واستلذوا بنعيم الحب وصاحبتهم الشهرة طوال العمر ولم يفقدوا صفياً أو حبيباً بل وقد أنعم الله عليهم بالأنباء وألبسهم لباس الشهرة والمجد، وبعد.. يا ليتهم قنعوا ورضوا، ولكن تظل سماؤهم كئيبة..

(١) وانظر - إفاضة - كتاب (ابتسم) للدكتور عائض القرني.

دع الهـــم

الله أكـــبر! ، كـــل هـــمٍّ ينجلـــي عـــن قلـــب كـــل مكبّـــر ومهلـــلِ

فمن ينام القلق في فراشه.. إنسان ضعيف.. في مجتمع يحتاج الأقوياء.

حسنٌ لنا أن نذكر بدءاً... أن البشر يتفاوتون، فلا كل أحد يقبل (الهمّ) أو يتصالح معه، ويتعامل معه، ولا كلهم من يأبى ذلك، بل هم يرون في ذلك التجربة

والاستمتاع بخوضها.. مثلاً:

هناك من (يقيس قبل أن يغيص) أي: يفكر في الخروج قبل الدخول، -حتى ولو كان ذلك المكان مغرياً- فإنه (يجتنب الألم.. قبل جلب السعادة)[1].

وهناك -كما يذكر عبد الله الجعيثن[2]-:

« من هو على عكس هذا تماماً.. يسعى إلى المشكلات بقدميه.. ويذهب إليها إذا لم تأت هي إليه.. ويحب المحاكم والمطالبات.. ويحرص على المشتبهات -إذا كان فيها إغراء- فهو يقدم المغنم على المغرم.. واللذة على الألم..، ولو وجد بيعة أرض فيها مشكلة -مثلاً- لدخل فيها راضياً لأن فيها إغراء بخفض الثمن.. وهو لا تهمّه المشكلات.. بل هو يرحب بها ويقذف بنفسه في المهالك.. ثم يخرج منها سالماً غانماً بدهائه الكبير. فيتنفس الصعداء ويتنسم عبير السعادة.. كان يجد السعادة في (الخطر)

(١) أخذاً بالقاعدة الفقهية: (دفع الضرر، مقدم على جلب المصلحة).

(٢) صحيفة الرياض/ عدد ١٠٨٨٥.

ومثله "نيتشه" الذي كان مبدؤه في الحياة: «عش في خطر»..

وقد قال معاوية بن أبي سفيان لعمرو بن العاص ﷺ:

-ما بلغ من دهائك يا عمرو؟..

فقال عمرو:

-ما دخلت أمراً قط فأردت الخروج منه!

فقال معاوية:

-ولكنني ما دخلت أمراً قط إلا أحسنت الخروج منه!!.

فمعاوية (يقيس قبل أن يغوص) و(يفكر في الخروج قبل الدخول).

أما.. (عمرو) فواثق من نفسه يرمي بها في المآزق والمشكلات ويخرج منتصراً -وكلا الرجلين من دُهاة العرب-

..وأكثر الناس لا يحبون المشاكل ولا يطيقونها، ولكنهم يعلمون أنها ضريبة الحياة والاجتماع -أي المخالطة- والطموح والآمال، فهم يسددون ويقاربون، لا يبحثون عن المشكلة.. ولا يفاجؤن بها حين وقوعها.. فهم يعلمون أن الأموات وحدهم هم الذين لم يعودوا يواجهون المشكلات، ثم إنهم يدرون أن كلمة (مشكلة) تعني أيضاً (الحل) وتحمله معها كمفهوم لمنطوقها وجزء من وجودها، كما في اللغة الصينية إذ تعني كلمة (مشكلة): (أزمة وأملاً.. في وقتٍ واحد).

و.. مع ذلك (سؤال): لو قلت لأحدهم: بكم تبيع صحتك؟ لأجاب -من

فوره وهو جواب أقل العقلاء -: ولا بكنوز الدنيا!.

لكن مع هذا معنى نظري، وإلا كيف نرى الكثرة تلهث خلف الدنيا بخيلها ورَجلها.. بحثاً عن المادة بدافع توفير الضرورات..، وهو بالحقيقة حتى الكماليات ولعل غالبهم بحثاً عن زيادة المادة، ولو دفع مقابل ذلك راحته وصحته وأعصابه.

مـــا أنعـــم الله علـــى عبـــدٍ بنعمـــة أوفـــى مـــن العافيـــة

وكـــل مـــن عـــوفي في جـــسمه فإنـــه (في عيـــشة راضـــية)

إذاً الإشكال بين ما يقوله (نظرياً)، وما يفعل في الواقع!!..

ومع هذا لا نطلب سوى (الاعتدال) بين قوله وفعله، وبين ما يكدّ لجلب كماليات الدنيا لحوزته..، وهذا مراد قول د.أيمن الحسيني في التوازن:

«والضغط النفسي هو أحد سمات الحياة الدنيا، فلا حياة بدون توتر وقلق ومتاعب نفسية، والضغط النفسي إذا كان بجرعات محدودة قد لا يضر، بل قد يحفز إلى النجاح والصمود، أما الضغط النفسي الشديد المستمر أو المتكرر على فترات قصيرة فهو لاشك يمثل عامل خطورة كبيرة على صحة الإنسان، وهذا ما قلنا عنه بـ(التوازن)»[1].

ثم إياك و(الكتم) فهو مسبب لأمراض كثيرة، كالقلب والسكر والمرارة وفوق ذلك الهم والغم.. والنكد.. وقد كان من دعائه ﷺ: {اللهم إني أعوذ بك من الهم

---

(١) كتابه (الشاي الأخضر) ص٧٩.

والحزن، وسوء الكِبر وغلبة الدين وقهر الرجال} - .. وقد تقدم-

واعلم أن ترك الهم له مغانم: أجلّها (الرضا) بما أفاء الله به عليك -قلَّ أو كثر-!

وثانيها راحة بالك فإن هذا أيضاً مغنم يتبعه كسب صحتك التي هي رأسُ مالك في الحياة -و..اعلم أن هذا الثمن (كسب الصحة) قليل من البشر من يدرك جليله، فإنه لا شيء من مكاسب الدنيا يساوي فقد صحتك ولا شيء تركه يوازي (صحتك).

وهناك هموم ليس باليد دفعها.. سوى بالإيمان مع الصبر والاحتساب وصدق (الرضا) بالقضاء، والتسليم به.

أيضاً هناك (همّ) له تابع، كالطلاق.. مثلاً.

إذ يستطيع المرء و(المرأة) بالذات، وبشيء من (مسافة حزن) -على ألا تطول..- تجاوزها!.. وعِظم الأجر في هدوء النفس عند الصدمة الأولى كما في الحديث .. وواجب عند الصدمة.. وبعدها/ ترك الجزع والتلوُّم والدعاء بالويل، بل فعل ذلك محرَّم..

ولكن (دمع العين، أو الحزن)، وظهوره على الملامح من زيادة أجر المحتسب.

وقد ذرفت عينا رسولنا ﷺ على ابنه إبراهيم حتى قال له عبد الرحمن بن عوف ﷺ: وأنت يا رسول الله؟!.. فقال ﷺ: {يا ابن عوف إنها رحمة}.. ثم لما ذرفتا ثانية قال: {إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم

لمحزونون}[1].

وحين تصطحب هذا الشعور لن تندم، لماذا؟

ببساطة.. الجواب واضح: لأنه إذا ردّ الجميل لك فهذا خير وبركة ونور على نور، وأما إذا أساء إليك -وهذا ما وضعته باعتبارك وتوقعته- فلن تُفاجأ.. لأنك أعددت نفسك وتهيأت للإساءة.

فهل كان الناس ورداً بلا شوك؟

لم يكن في أجندة أبي الدرداء ﷺ عندما قال: «كان الناس ورداً بلا شوك، فأصبح الناس شوكاً بلا ورد» بلوغ (عصر) ذلك!

لم يكن في ذهنه أن أحفاده من أبناء هذا الزمن سوف يعيشون هذه (الحقيقة)

واقعاً، لا توقعاً منتظراً..!

ولم يكن في ظن ذلك النقي الذي هجر المدن إلى الريف معللاً ذلك بقوله: «لم أجد في المدن إلا الحاسد على نعمة، أو الشامت على مصيبة».

لم يكن يدور في خلده أن يرى في الناس من يطعن بخنجره من الخلف وهو يزرع قبلاته على الوجه.

لكنها طبيعة الحياة والأحياء إلا من رحم ربك، الأطهار والأنجاس.. الورود والرماد، الدجى والفجر، الطهر والعهر..! لأن الصنفين هما وجهي كل زمان ومكان.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤١).

ومع هذا فلا زلتُ أوقن -وأرجو ألا أكون حالماً- أن الناس فيهم الأخيار الأكثر والأشرار الأقل.

«وهؤلاء الأخيار موجودون ولولاهم -حماهم الله وأكثر سوادهم- لأصبحت الحياة عتمة لا نور فيها، ومأتماً لا عرس فيه، ووادياً لا ماء يجري في سواقيه»[1].

وعموماً مخالطة الناس والصبر على أذاهم فيه خير كثير وذاك حين.. تروّض نفسك على قبول ذلك، لأنه محال ولا مجال للتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بمخالطة الناس.

وأيضاً لتخفيف (الهم) -من تراكم الخبرة.. عند الإنسان- تذكر هذا القول:

«يُخطئ من يتصور أن من تقدّم بهم العمر يتخلّصون من أخطائهم وعيوبهم، فالواقع أن الأخطاء والعيوب هي التي تتخلص منهم» وهي كلمة طريفة، لكن لا

تنطبق على الكل

فلا ينبغي لأولي النهى.. والمكانة والقدر تحت أي عذر أن يعتزلوا الناس بل يغشوا مجالسهم ويشاركوهم مشاعرهم.. ويتقبّلوا هناتهم ويتحمّلوا ثقل جلّهم.. كيما يُبلِّغوا ..ولو بالنموذج- رسالة ربهم، وأدب دينهم، كيما يستقيم على أيديهم في تسوية معوج القوم..، وإن لقوا في هذا شططاً من سفاهة التافهين، أو الجاهلين..، ويقولوا كما أدّبهم ربّهم : ﴿سَلَاماً﴾ [الفرقان: ٦٣]

---

(١) بتصرف من كتاب (هكذا حدثنا الزمان) ص٦٤ للقرني.

قال الشافعي:

والنـــاس داء، وداء النـــاس قـــربهم وفي اعتـــزالهم قطـــع المـــودات

أخذاً على عاتقهم تبعات الأمانة التي حُمِّلوا ثقلها وقد عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان لأنه هُيئ لهذا وإن كان ظلوماً جهولاً في المُجمل، وإلا فهو أهل لها..، وقد عُدّ ليكون (خليفة) الله في الأرض فمالهم عن التذكرة معرضين إلا من رحم ربي.

تعـزّ، فـلا شـيء علـى الأرض باقيـا ولا وزرٌ ممـــا قـــضى الله واقيـــا

..قال غازي المهر:

«ومما يُثير الكآبة في قلوبنا التفكير في المستقبل البعيد والخوف من شبح المجهول، فلماذا نجعل مثل هذا التفكير وحشاً يلتهم لحظات السعادة في حياتنا، لنحياها قبل أن

تركض هاربة أمام أعيننا ونندم حين لا ينفع الندم، لنتفق على العيش بسعادة دون أن نفكّر فيمل سيؤول إليه وجودنا على هذه الأرض.

أليس الله أرحم منا بعباده؟! وماذا يُجدي التفكير بهموم الآخرين، وهل يفيدهم ذلك؟».

إشراقــة:

راحـــــة الجـــــسم في قلـــــة الطعـــــام

وراحـــــة الـــــنفس في قلـــــة الآثـــــام

وراحـــــة القلـــــب في قلـــــة الاهـــــتمام

وراحـــــة اللـــــسان في قلـــــة الكـــــلام

و قال أحد الأطباء اليونان: (إن الدواء الذي لا داء معـه: أن تقعـد عـلى الطعـام وأنت تشتهيه، وتقوم عنه وأنت تشتهيه).

ويعرف هذا الإنسان السوي العادي، بفطرته المكرمة من رب العالمين منـذ نفـخ فيه من روحه في طينته في الجنة، أنه في الأرض إنما هو مسافر، يجلس القرفـصاء بانتظـار أمر السماء.

هذا الإنسان السوي العادي لا تفجعـه المـصائب ولا النكبـات ولا النـوازل، في

الحين نفسه الذي تبطره عطاءات الخالق ونعمه عليه، إن بالمصادفة المنهجة، أو الحوْل والطول اللذين منحهما القوي العظيم الذي لا تنفد خزائنه، لحكمة هو وحده جل وعلا يراها ويرسم لها، تربية لعبده أو امتحاناً، وما أعظم امتحانات رب العرش العظيم، وما أمكر محنه، وهو خير الماكرين.

بمعنى قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]

هـي القناعـة فالزمهـا تعـش ملكـاً ... لـو لم يكـن منـــك إلا راحـة البـدن

يكفيـك مـن جمَّـع الـدنيا وزينتهـا ... هـل راح منهـا بغـير الطـين والكفـن

وقال النبي ﷺ : { أتاني جبريل فقال: يا محمد، إن ربك يقرئك عليك السلام ويقول لك: إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى .. ولو أفقرته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر.. ولو أغنيته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالسقم.. ولو أصححته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالصحة.. ولو أسقمته لكفر}.

والمشكلة لا تُحلّ بنفسها..أو كما قيل: الزمن يحل كل المشاكل- بل هي (ملف).. يؤجل (إن كان صاحبه لصيقٌ بك).. فلا بد يوم أن يُفتح.

النسيان نوعان:

نوع لا وعي {..رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان}.

ونوع بدوافع أي: فيه (وعي): ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة : ٢٣٧]

ومنه التناسي.. أو إغضاء النظر عن الصواب.

ثم أقول إننا نرفض طريقة (ديل كارنيجي) في طرحه لعلاج القلق[1]، لسبب

(١) والتي يقول فيها: «عندما تأخذ المشكلات بتلابيبك ويحاصرك القلق، فإليك وصفة سحرية لتبديد هذا القلق:
أ- اسأل نفسك ما هي أسوأ الاحتمالات التي يمكن أن تحدث من جراء هذا الأمر الذي يقلقني؟
ب- وطّن نفسك على قبول أسوأ الاحتمالات التي فكرت فيها. =

بسيط وهو أنها تزيد القلق بدلاً من أن تخففه، فالإنسان القلق مشكلته الأساسية أصلاً من تصوّره المبالغ فيه لعواقب الأمر الذي يقلقه.

لكنّا نسلمه للقدر، والرضا به- انظر تقريب هذا.. في ثنايا ص ١٣٤-

أو لعلنا نأخذ قبساً يُضيء طريقنا.. من عملٍ صالح في نهج (الأسوة) لنا:ﷺ

فعن حذيفة ﷺ قال: «**كان رسول الله إذا حزبه**[1] **أمر فزع إلى الصلاة**»[2].

قال عباس العقاد رحمه الله :

(ولكن الإنسان ينفرد بين الخلائق بمساوئ لا يوصف بها غيره، لأن السيئة

= ج- اعمل على إنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذا الاحتمال الذي هو أسوأ الاحتمالات، والذي أعددت له نفسك ذهنياً لقبوله».

..ويعقب عليها الأديب عبد الله الجعيثن ب: «وهي تداعيات من أندر النادر أن تحدث.. فالإنسان وهو في قبضة القلق يفقد توازنه وواقعيته».

.. وهكذا يعرض د.عائض القرني -في كتابه « أسعد امرأة في العالم»بقوله:

«فما الخطوات التي تتبعينها لتخفيف النكبات والمصائب وتهوينها على النفس؟

أ- تصوري كون المصيبة أكبر مما كانت عليه وأسوأ عاقبة.

أ- تأملي حال من مصيبته أعظم وأشد؛ أي: العِظة بالغير .

ج- انظري إلى ما أنت فيه من نعم وخير حُرم منه كثيرون كي لا تزدري نعمة الله عليك.. كما في الحديث

د- لا تستسلمي للإحباط الذي قد يصحب المصيبة: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦] -..
وفي الحديث: أنه {لن يغلب عسراً يُسرين} -

(١) حزبه: أي أصابه هم وغم.

(٢) رواه أبو داوود-، وأحمد في المسند.

والحسنة، على السواء، لا يوصف بها مخلوق غير مسؤول).

فهذا المخلوق المسئول يوصف دون غيره بين الخلائق بالكفر والظلم والطغيان والخسران والفجور والكنود -.. وهو ذاك: الكفر بالنعمة- لأنه أيضاً ودون غيره:

أهلٌ للإيمان والعدل والرجحان والعفاف والتكريم، يقول تعالى عنه .. في الآيات التالية:

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦-٧]

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ [القيامة: ٥]

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٤-٥]

ونقرأ في بعض التفاسير أن ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ هو أرذل العمر[1]، وهو تفسير

يقتضي أن يكون ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هو تقويم الطفل الوليد. ونقرأ في غيرها من التفاسير أن ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ هي الجحيم، فيكون لزاماً أن الجنة هي المقصودة[٢] بـ ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ انتهى.

---

(١) وقد استعاذ رسولنا ﷺ: {من أن يرد إلى أرذل العمر..}.

وتخونه الأيام حتى لا يرى شيئاً يسرّه

(٢) أي أن يكون خَلَقه كذلك في (الجنّة) فقط.

والإيمان يقوم بداء (العلم)، وهو النور الذي يضيء القلب، قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله:

«لقد غفل طلاب الدنيا عن اللذة فيها، وما اللذة فيها إلا شرف العلم، وزهرة العفة، وأنفة الحمية، وعز القناعة»[1].

من ذاك كما قال ابن تيمية: التذكّر والنظر إلى من هو أسفل منك في هذه الدنيا - كما جاء في الحديث..: {فإنه أولى أن تزدروا نعمة الله عليكم}.

والمفيد بهذا من/ زيارة المرضى والاعتبار بمن تحيط به الكوارث وقلة الأمن ووهن الصحة.. وغيرها، كذلك البيت الواسع، والمرأة الصالحة - كما في الحديث-، والذرية والأنس بهم، وشيء من المال يكفّ عنه الحاجة أو السؤال - في قناعة بما يفي[2]-

فـ (لإيمان الراسخ بالله عز وجل وبقضائه وقدره وحكمته وأن الخير فيما يختاره سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل:

﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]

وهنا يتجلى الزخم (الإيماني).. بين القدر الذي يُصاب به المؤمن {..أن تؤمن بالقدر خيره وشره}، -الحديث- وهو صائر سواءً صبر المرء أو جزع، فهنا المحكُّ لقوّة (الإيمان) والرضا بالقضاء، وقبوله -بنفس مطمئنة- كما قال ﷺ {ولا نقول إلا ما

(١) صيد الخاطر ص٢٤٣.

(٢) وانظر قول (د. مصطفى محمود) ختام ص١٠١ .

يرضي الرب: إنا لله وإنا إليه راجعون}[1] -في وفاة ابنه إبراهيم.. أي أن كل شيء لله (آت منه وعائد إليه)، فلا يملك المخلوق حتى ذاته التي هي (كينونته).

..بل توضيحٌ أجلى في قوله تعالى ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]

وهنا يكمن التوفيق.. بينهما، ولنا في قصة تلك المؤمنة الراضية: حين عاد زوجها من سفره وقد توفى ابنها فقالت له -بعدما استراح من سفره، وأكل زاده، وقضى منها حاجته-: لو كان لأحد أمانة عندك.. ثم عاد وطلبها.. أكنت تدفعها إليه؟ قال: نعم، فقالت: إن صاحب الأمانة أخذ أمانته (ولدك).. فاحتسبه الخ القصة المعروفة .

وقال العلامة محمد الشعراوي رحمه الله: «لا يقلق من له أب.. فكيف بمن له رب».

يا صاحب (الهم)إن الهم منفرج ... أبشر بخير فإن الفارج الله

اليأس يقطع أحياناً بصاحبه ... لا تيأسن فإن الكافي الله

الله يحدث بعد العسر ميسرة ... لا تجزعن فإن الصانع الله

إذا بليـــت فثـــق بـــالله وارض بـــه إن الـــذي يكـــشف البلـــوى هـــو الله

والله مالـــك غـــير الله مـــن أحـــد فحـــسبك الله في كـــلٍّ لـــك الله

(١) تقدم تخريجه.

فالله يتولاك بحفظه ويكلأك برعايته.. حين يوزعك شكره.. على جم آلائه ونعمه

و.. من معوقات فهم الحياة: سوء التربية أو سوء توجيهها وجهها الصحيح مع النشء بالذات كما يبين البوصيري رحمه الله:

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

قال د.إبراهيم البليهي[1]:

«فنحن نمعن في حشو أذهان الناشئين فيما لا حاجة لهم به، ونهمل تعليمهم ما هم بأمس الحاجة إليه مما لو تعلّموه لأصبح عوناً كبيراً لهم على مواجهة صعوبات الحياة وتدبر آلامها وضجرها، والتعامل بمقدرة من تقلباتها الكثيرة واحتمال فواجعها الحتمية».

يقول أحد السعداء:

(اليوم الجميل هو الذي نملك فيه دنيانا ولا تملكنا فيه، وهو اليوم الذي نقود فيه شهواتنا ولذاتنا ولا ننقاد لها صاغرين أو طائعين.

ومن هذه الأيام ما أذكره ولا أنساه:

كل يوم ظفرت فيه بنفسي وخرجتُ فيه من محنة الشك فيما أستطيع وما لا أستطيع فهو يوم جميل بالغ الجمال.

---

(١) الرياض عدد ١٠١٢٨.

جميل ذاك اليوم الذي ترددت فيه بين ثناء الناس وبين عمل لا يثني عليه أحد ولا يعلمه أحد، فألقيت بالثناء عن ظهر يدي، وارتضيت العمل الذي أذكره ما حييت ولم يسمع به إنسان.

و.. جميل ذلك اليوم الذي كاد يحشو جيوبي بالمال ويفرغ ضميري من الكرامة، فآثرت فيه فراغ اليدين على فراغ الضمير.

.. هذه الأيام جميلة، وأجمل ما فيها أن نصيبي منها جدٌّ قليل، إلا أن يكون النصيب عرفاني باقتدار نفسي على ما عملت، فهو إذن كثير بحمد الله..).

إذا أنت نافست الرجال على التّقى ... خرجت من الدنيا وأنت سليم

...أراك امرأً ترجو من الله عفوه ... وأنت على ما لا يُحبُ مقيم

وإن امرأً لا يرتجي الناس عفوه ... ولم يأمنوا منه الأذى.. للئيم

.. مَن هم (السعداء)؟

هم.. من يعيشون يومهم فلا يندبون الحظوظ ولا يشقون الجيوب ولا يلطمون الخدود على ما فات من حظ الدنيا.

مـــا مـــضى فـــات والمؤمـــل غيـــب ولـــك الـــساعة الـــتي أنـــت فيهـــا

فالسّعداء يعوِّضون ما فات بالاجتهاد في الساعات والأوقات الحاضرة. ﴿إِنَّ

الحَسَنَاتِ يُذهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]

والسعداء لا يجترون الفجائع والمصائب، فالذي مضى قد مضى، فلا الحزن يعيده، ولا الهم يصلحه، ولا إدراك الفهم يصححه.

.. مَن هذا الإنسان الذي عبثاً يحاول أن يرد الشمس إلى مطلعها والطفل إلى بطن أمه والدمعة إلى العين واللبن إلى الثدي؟

إن الاشتغال بتذكر المصائب السابقة ضياع للحاضر ونسف للساعة الراهنة وتمزيق للنفس والجهد.

قال "د.مصطفى محمود": (أنا أشعر بالسعاة لأني رجل متوسط.. إيرادي متوسط، وصحتي متوسطة.. وعيشتي متوسطة.. وعندي القليل من كل شيء.. وهذا معناه أن عندي الكثير من الدوافع.. والدوافع هي الحياة.. الدوافع في قلوبنا هي حرارة حياتنا الحقيقية، وهي الرصيد الذي يكون به تقييم سعادتنا..

إني أدعو الله لقارئ هذه السطور أن يمنحه الله حياة متوسطة.. ويعطيه القليل

من كل شيء.. وهي دعوة طيبة والله العظيم!.

وأمي لم تكن تفهم الفلسفة، ولكنها كانت تملك فطرة نقية تفهم معها كل هذا الكلام دون أن تقرأه، وكانت تُطلق عليه اسماً بسيطاً معبِّراً هو: الستر..، والستر: القليل من كل شيء والكثير من الروح).

وعلى الطرف الآخر نفس الإجابة، يقول ثريّ (ياباني):

«لا يتملكني أي شعور خاص لأنني أغنى رجل في العالم، وأعيش حياة عادية في

شقة متواضعة مع زوجتي، ولا أشرب ولا أدخن ولا أعشق حياة المليارديرات الذين تملأ صورهم الصحف، بيخوتهم الفاخرة، وقصورهم في الأرياف، وحياتهم الصاخبة، وزيجاتهم من فتيات جميلات، وهي الزيجات التي تنتهي عادة بطلاق يدفعون مقابله ملايين الدولارات.

أعشق العمل وأسعد به، وغالباً ما آخذ غدائي معي لأتناوله في مقر عملي، ولا تملأ ذاكرتي الغبطة والسعادة إذا تصورت ما أملكه من مليارات، ولكن تملؤها السعادة حين أتذكر أنني قد ساعدت في تحويل مدينتي الأم (طوكيو) بشوارعها المتواضعة إلى عاصمة هي محط أنظار العالم بالمجمعات العقارية الحديثة التي أنجزتها.. باختصار: سعادتي في الإنجاز».

أيها الراغب في (السعادة) اجعل همّك وجهدك وعزمك.. أن تعيش في كل ساعة أنت فيها ب.. لحظاتها وثوانيها، ولا تقتل نفسك بالخوف من المستقبل فلعلك لا

تبلغه، فلا تبلغ نكده ولم تبلغه.. ولا تتجرع غصص الماضي فقد مضى بما فيه...

ولك الساعة التي أنت فيها:

وليكن ما يمضى.. صفحة طويت و(حماقة) لا تعود، وتجربة علّمت بك ومنها تعلّمت منها، لا يكن.. خطى تعاد كدائرة حول الرحى مكانك سر

فلا يستفيد أو نفسه منها يفيد، أبداً. وكل تجربة يجب أن تكون (درساً) لا يعود إلى تعلمه مرة أخرى:

وأذكر هنا ما قيل لأديسون مخترع المصباح الكهربائي (أنك فشلت في ٨٠٤

تجارب، قبل أن تشعل المصباح!، قال: «أبداً بل إني اكتشفت ٨٠٤ طريقة لا يشتعل بها المصباح » وهذا يعني: أنه قد حول الفشل إلى نجاح آخر!

فالكسل يمنع من الطلب، والفشل يدفع إلى العطب، إلا إن كانوا.. على هدى، كما مدح المولى أهل ذلك الذين: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]

لا تحـــزن..[1]

.. على من مضى لسبيله عنك- بسببه.. أو بدوافع الحياة-، فالمرء يعيشها.. سنين من خالطك بها- بحلوها ومرها- وقَبِلك على نواقصك (وليس هناك كامل!)

إذا كنـــت في كـــل الأمـــور معاتبـــاً
صديقك.. لن تلقى الـذي لا تعاتبـه[2]

ولا تبكي على من لا يقوّمك -ولا يرى لك أثره.. أو حتى أثرٌ في حياته!

ولا تُبخع نفسك أو تُخضعها إثر مَن/ لا يرعاك.. إلا تكلّفاً!

وعجيب في هذا إشارة المأمون رحمه الله بقوله: «أظلم الناس لنفسه: من يتواضع إلى من لا يكرمه!».

فما حاجتك عند من لا يجوع في بينك ولا يعرى، وما أملكُ فيمن لا ترى منه عدلاً ولا صرفاً، وما تنشده ممن لا يقدّم -عنده- حضورك.. ولا يؤخر لديه غيابك.

فهل تشحذه.. لذلك شحذاً؟!.

إشكال

-زيادة للطين بله-: أن لحظات السعادة (الفرح) غالبا تجد مشاركاً لك فيها، وإن لم يكن فيكفيك سعادتك الخاصة بها.

(١) هذه المفردة: (لا تحزن) عنوان كتاب -ذائع الصيت- للشيخ د.عائض القرني.

(٢) بشار بن برد.

لكن أوقات الحزن قلما تجد ذلك،سواء في وفاة عزيز عليك وعـلى غـيرك..في (العـزاء)[1] -إذ إن تلك اللحظات قليلاً ما تجد من يشاركك بها- وهذا ربما ما يزيدها.. قتامـاً.. داخلك.. بل هي تعتـصرك دون أن يـدري بهـا.. أو بـك أحـد.. عـدى بعـض تعبـير ظاهري.. لا تعدم به من يسألك، فلا تجد جواباً.. سوى أنفاس حرّى تردد: هذه (هـي الدنيا)، وهذه حالها، وشكلها وأشكالها!.

لكن -الجدُّ في هذا هو -ما يحرق داخلك: أن هذه الوخزات والتعاسة التي تُعلِّم بك.. وتأكل أثمن ما لديك (صحتك)! هي.. أحزان وآلام ونكد تهدّ العمر، وتبعثر القُدرات..، وتشلّ الحركة، كما قال حمد الحجي رحمه الله :

أحُس بخافقي عجزاً لأني ... ملكت فحسب أوتاراً تُغنّي

وحرت.. فكم في الدنيا سعيد ... وفيها من يحطمه التجنّي

و..هنا تنبيه:

فالبعض تعيس! لأنه قد يسأل ذاته: لماذا فلان سعيد، وأنا لا [٢]؟ وهذا ليس حسداً معاذ الله -يردد في نفسه- لكنّ أمراً يجول بخاطره.. بحثاً عن (السبب) لا غير.

و..يغيب عنه -هنا- أن المظهر غير المخبر!.

بل إن الغالبية يعانون من الإحباط والتأرجح بين الألم والسأم، فليس بينهم من

(١) فهي سويعات.. ثم ينفضّ عنك السامر.

(٢) وربما خاطره.. يردد:

ومن نكد الدنيا أن يبلغ المنى أخو اللؤم فيها والكريم يخيب

يحسّ بسعادة حقيقية غامرة ودائمة، وإنما يحس جميع الناس بشيء من الانقباض والضجر أو من التعاسة والألم، فالتفاوت ليس بمقدار نصيبهم من السعادة وإنما بمقدار تناقص نصيبهم من البؤس أو السأم.

..وهنا يودع في صندوق (أرشيفنا) الفيلسوف الألماني (أرثر شوبنهاوز)

..عسى أن نعود إليه كلما.. ظننا أن (كمالات الدنيا..، وتوافي متعها وتتابع نعمها واستملاء دعتها هي.. تلك السعادة).. التي نظن! -بقوله:

«..إن حياتنا العملية الحقيقية إذا لم تثرها الانفعالات تصبح مضجرة وباهتة، وحينما تتهيج بالانفعالات تصبح مؤلمة، لذلك يكون سعداء أولئك الذين ملكوا قدراً من العقل يتجاوز القدر الذي تحتاجه خدمة إرادتهم».

أي ذاك لا يتعدى معنى (التعود) -كما يصفه بعض المتخصصين في علم النفس- ، فإن المرء متى ما اعتاد شيئاً ذهب عنه لذته -إن لم يكن ملّه- ولعل هذا يوضح أن الناس (لو ظفروا بما يركضون خلفه لزهدوا به)، ولكنه إغراء الممتنع!، وكما يشرح (م. ماغريدج):

«أن ما كان يبدو في حينه الأكثر أهمية وإغراء، يبدو الآن تافهاً وسخيفاً، وعلى سبيل المثال النجاح بأشكاله المختلفة والشهرة وتلقي الإطراء ومسيرات المظاهر الكاذبة مثل: اكتساب المال والمتع أو السفر والترحال إلى مختلف أنحاء الأرض مجرباً كل ما يمكن أن تقدمه استعراضات التفاهة والخيلاء..».

ويؤكد الأديب سعد البواردي:

(إن اشتياقك اللاهث إلى الشيء يخف ويجف بقدر اقترابك منه وتملكك إياه، إن أحب الأشياء إلى الإنسان وأكثرها إلحاحاً في الوصول إليه، والحصول عليه ما حيل بينه وبين بلوغه، ولم يعد في مستطاعه الاستحواذ عليه وضمه إلى ممتلكاته.

إن امتلاك الشيء يعني أنه تحول إلى شيء عادي لا يثير في نفسه مكامن الفضول والرغبة ، أما لماذا فلأنه أصبح جزءاً من الممتلكات يطاله متى شاء[1]).

وهذا عجب.. في الدنيا، فإن كل ما تسعى إليه وتبذل له الأسباب، وتشد له

الركاب وتقطع له الصعاب.. ما إن تبلغه حتى تمتلك سعادة (وقتية) تزول.. بخفوت وهجه، .. في من تعوّده وغروب الشمس عن اهتمامك.. وهذا مدرك مشاهد..مجرّب!

وللشاعر المبدع الغائب مقبل العيسى -رحمه الله- بيت يفلسف فيه هذا:

وفمي تذوّق صابها ورحيقها لا الصاب دام ولم تدم نعماء

ونتيجة توحيد الاهتمام مثل/ الاهتمام بالآخرة يخلف الله عليك، فتنال سعادة الدنيا قبل الآخرة، كما في حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه.. جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر الله}[٢].

---

(١) كلام جميل في فلسفة تفسر لماذا يزهد الإنسان أحياناً في بعض الأشياء التي يمتلكها ولو كانت ثمينة غالية.

(٢) رواه الترمذي وصححه.

إذاً فـ/ الإيمان أكبر طارد للهم .

«الله ﷻ أُنسُ المؤمن، وسلوة الطائع، وحبيب العابد، من أَنِسَ به أنسَ بالحياة، وسعد بالوجود، وتلذذ بالأيام، فقلبه مطمئن، وفؤاده مستنير، وصدره منشرح، نُقشت محبة الله في قلبه، وسكنت صفات الله في ضميره، ومثلت أسماء الله في عينيه، فهو يحفظ أسماءه، ويتأمل صفاته، ويستحضر في قلبه الرحمن، الرحيم، الحميد، الحليم، البر، اللطيف، المحسن، الودود، الكريم، العظيم..، فتثير أنساً بالباري، وحباً للعظيم، وقرباً من العليم.

إن الشعور بقرب الله من عبده يوجب الأنس به، والسرور بعنايته، والفرح برعايته: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]

نسأل الله أن يجعل نظرنا عبراً وصمتنا فكراً وقولنا ذكراً.

إن الأنس بالله لا يأتي بلا سبب، ولا يحصل بلا تعب، بل هو ثمرة للطاعة، ونتيجة للمحبة، فمن أطاع الله وامتثل أمره واجتنب نهيه وصدق في محبته، وجد للأُنس طعماً، وللقرب لذة، وللمناجاة سعادة»[1].

.. ثم.. إن (كاظم الغيظ) لأجل الامتثال لأمر الله تعالى، وأمر رسول الله ﷺ لا يفعل ذلك من منطلق أناني أبداً، إنما احتساباً للأجر، ومجاهدة للنفس، وصبراً على أذى الناس وهو على ذلك مأجور أعظم الأجر إن شاء الله.

(١) د. عائض القرني.. من كتابه « أسعد امرأة في العالم». -وللمناسبة/ لكتابه (هنا) شواهد متناثرة-

فقد بينّ الله ﷻ أجر أولئك بقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] [آل عمران: ١٣٣]

ويرشد النبي ﷺ (من اجتاحه الغضب).. أن يتوضأ، حتى يذهب عنه ما يجده من الغضب، فإن الغضب من النار، والماء يطفئ النار.. الخ، وإلى غير ذلك من الوصايا والتوجيهات النبوية الكريمة.

ومعلوم أن لَذّة الإنتصار على النفس خير من الفوز بالانتصار لها، كما قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] قال القطيعي عن (تلاد بن محسن اليامي):

«بقي رجل يُساء إليه ستين سنة بعرضه ورزقه وأهله، حتى هجره هؤلاء فلم يلقوا له (بالاً) فأدرك ذلك بحسه فسكت وفوض أمره إلى الله تعالى، والله جل وعلا يدفع عنه العلل ويسكنه حتى بادوا مابين مرض وتفرق وطول آمال عريضة، فأدرك أحدهم ذلك بعد عمر طويل (فوصله) وواساه.. ولكنه تعجب من حاله ما بين صحة وقوة واستقرار».

هل تعلم أن المرء -أحياناً- كالطفل.. يحزن على أشياء دون مستوى الاهتمام- أو

(١) فـ.. مَنهم (المتقين)، أو ما هي أجلاء صفاتهم؟، خذ الجواب.. إتماماً للآية أعلاه:

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤-١٣٦]

مشاكل صغيرة ..إذ لو ذهب بفطنته إلى بعض أبعادها وفكّر مليّاً لوجدها دون (الهـم) الكبير الذي ذرفه عليها، أو يحزن على ما لا باليد دفعه.

(..ولا يرد عليك الفائت الحزنا)..

هذه قاعدة، بل وحكمة سبكها الحكيم (المتنبي) من تجاربه في الحياة..

فعلاً: إن الحزن لا يُعيد المكسور إلى سابقة (مثل الزجاج كسرها لا يُجبَر).. وقد كُسِر!

وهذا الذي نوصي به (لا تحزن)، وليس معناه قتل المشاعر ودفنها، أو مواراتها تحت ثرى القلب (الصلد)..القاسي!

بل ليكن حزنك بمقدار الألم يتوقف.. بعدها.. ليسلى!

فإن القلب ليحزن على عزيز والعين تذرف على الغالي، والنفس تُشجّ بفرقة حبيب، لكن- وديدن الدنيا كذا، فما العدل مع الحال.. وكذا (حالها) سوى إعطاء كل شيء مقداره وحجمه.. ومثلمته، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ثم هل فكرت.. وتفكّرت يوماً ما بمن فقدته قبل نيف من السنين، أين موقعه الآن من مشاعرك نحوه، ومن ملأ مكانه في ذاتك بعده؟، لا شك لا أحد..، بخاصة إن كان أحد الوالدين، إذاً ما مشاعرك -وقد تعوّدت سلوه- الآن؟!

هنا تدرك سُنّةً وضعها الخالق. ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]

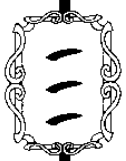

(السلـــوى)

وليس (النسيان)!

ومـــا سُـــمّي الإنـــسان إلا لنـــسيه ولا القلـــب إلاّ أنـــه يتقلـــب

لكن هذا (بيت القصيد) أو هذه (الركيزة) لعلها متكئ لأحزانك.. وقس على هذا ما يجري لك في الدنيا.. من علوٍّ حال.. ودنو أحوال!

في معاش أو مسكن أو مركز -فلابد يوماً مفارقة-، وهذا مكان أو/ خانة الركن السادس من الإيمان/ بـ(القدر خيره وشره).

..ثم اعلم أنك بكل مُختبر، ومسيرّ به لا مُخيّر، فلا مناص -عندها- تردد في ذاتك (المؤمنة): إنا لله.. وإنا إليه راجعون على كل ما ملكت.. ثم فقدت!

فلا شيء من الدنيا يعدل هذا المعنى، فهي -دنيانا- دنيئة مذمومة.. ولا تساوي عند الله جناح بعوضة -كما في الحديث..إذ عليها.. وعلى ما بها (أبداً): لا (لا تحزن)..!

ويختصر د.إبراهيم البليهي:

«الذي يعرف طبيعة الحياة لا يُفاجأ بزوال ملذاتها، وإنما يستمتع بها باعتدال ورفق مادامت متاحة، ويبقى أثناء استمتاعه بها مقتنعاً تمام الاقتناع بأنها قصيرة الأمد، وبذلك تتضاعف متعته في حال بقائها ولا يعتريه الهم في حال زوالها، لأنه يعلم أن الزوال هو الأصل وأن الاستمتاع القصير ما هو إلا استثناء من هذا الأصل»..

وجميل عرض هذا المثال -وقد تقدم :

«إن من يعرف أن الشمس سوف تغيب لن يصاب بالغم إذا هي غربت، وإنما

يستمتع بلحظة الغروب كما استمتع بلحظة الشروق ويتقبل ظلام الليل بوصفه أحد وجهي الزمن..!».

ومصطفى الرافعي يردد -ليقلل من غرور المتمنعة التي كان يهوى-:

إن الظلام الذي يجلوك يا قمر ... له صباحُ متى تدركه أخفاكا

وصدق أبو ماضي:

متِّع لحاظك بالنجوم وحسنها ... فلسوف تمضي والكواكب باقية

ويقول أحدهم -وهو يعرض عصارة تجربة عمره-:

«وهكذا علمتني الحياة أشياء لا تعد ولا تحصى، وما زالت تعلمني حتى آخر اللحظات..!، وما بقى من العمر زفرات وما بقى من نظرات».

قالت -أظنها- الأديبة (غادة السمان):

«حين يطول الفراق..تُعلِّق الذكرى سيَّادةً بألف لون.

..ومع أن النسيان هو الحرية المطلقة..، إلا أن (الذكرى) تحاول أن تتحرر من الزمن.. ذلك (الزمن) المحدود بوجه أو كلمة!.

تُرى.. من أقوى.. الذكرى أم النسيان؟..النسيان أقوى..».

و.. هكذا السنين تمضي، وتودّعها -دون تردد- رغم ألم الفراق، لكنه العمر الذي يجبرك على عدوها..»

وقال -عن أحدها - (تركي الماضي) بجميلٍ متسق:

«عذراً.. فأنتِ ماض انتهى بحسناته وسيئاته!

تنهض[1].. فأرى في ملامحها نوعاً من الغموض رغم أنني أعرف أدق تفاصيلها وأسرارها.. ولم أفهم مغزى تلك النظرة الرهيبة التي صوّبتها نحوي وهي تقول: ألا يوجد لي مكان صغير في ذاكرتك.. أختبئ فيه؟!.. ثم تُغالب العبرات التي تقطع حديثها ولكنها تواصل:

وأعدك.. لن أحاول المجيء إليك مرة أُخرى.. فهل تفعل؟!

قلت لها بعد أن أغرتني ابتسامتها الساحرة: ربما...

غادرت بسرعة.. مثل طيف كان يغشى العيون ثم تلاشى في لحظات.

..كانت (هي) الورقة الثالثة والعشرين التي سقطت من الشجرة ولا أدري كم بقي من أوراقها؟!.».

(١) الضمير يعود على السنة التي ودّعها.

الأمـــل

قال عبد رب الحسين عبد الله وهو يضع الملح على الجرح قائلاً:

إذا ما استهل الشهر أبغي زواله لكي أتقاضى راتبي آخر الشهر

كأني أبيع العمر فيما أناله فيا بؤس عيش بعت من أجله عمري

وهكذا قيل.. في أثره:

وقد طلع الهلال لهدم عمري وأفرح كلما طلع الهلال

لكن حاتم الطائي.. يرى (الدهر):

هل الدهر إلا اليوم أو أمس أو غد كذاك الزمان بيننا يتردد

فمبعث (السعادة) هو ذاك الغد، الأحلام.. والمنى.

-التي تود أن تكتحل عينك بلقائها.. وبلوغها، كما قال البحتري:

لـولا (الرجـاء) لمـتُّ مـن ألم الهـوى لكـــن قلـــبي بالرجـــاء موكـــل

ولا تجعل من أي مزلقة.. نهاية الأحـلام وعـصفُ بالآمـال، عـدى أنهـا بنيـات الطريق!.. لا يخلوا وجودها من طريق البشر بل ردد في ذاتـك أمـام كـل (وصـبٍ أو مثلبة) تأتيك قول الشاعر:

هــذه (كبــوة) وقــد يكبــو الهمــام خطـــوة للخلـــف وعـــشرٌ للأمـــام

كيما تنتشلها من ما أودى بها خلف تُرّهاتها، أو أزلفها إلى مواطن اليأس -أعاذنا

الله من بواره..

ثم عليك بالتوازن- (لا تكلف نفسك.. فوق طاقتها).. بداعي الهمة، فلكل امرئ قدرةٌ وحدٌّ.. لا يستطيع تجاوزه.

ولتكن سعيداً.. وازن بين متطلباتك وقدراتك[1]، وبين آمالك.. وما تستطيع بلوغه.

فلا يكلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود نفسٌ إلا بما تجد

من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]

ربنا لا تُضلّنا ولا تُحمِّلنا ما لا نُطيق

وكذا بين حقوقك وواجباتك.

ونحن نعلم أنه (أحياناً) تكون الصعوبات فوق القدرات. كما في الأثـر (الـزوج والولد مجبنةٌ للرجل)، إذ لا يكون هنا الخيار للمرء فقط، فإن عليه لمن لهم عليه حقـوق ليس له في ذاته عنهم مفر.

..ثم -بعدها- اعمل بين أملك في الحياة، ومأملك في آخرتك، ولا تقعد بحجـة (الزهد)، أو تلهث.. إثر (الطمع) وكأنك -أبداً- خالدٌ تليـد لـن تمـوت، وكـأن نهايـة

(١) و.. تعلّم أن تقول "لا"، أي: الرفض للطلبات غير المعقولة، أو (المستحيلة).

الطريق -الموت- ليس قريباً منك.. وتذكّر ما يقول الشاعر:

يـــا مـــن بـــدنياه اشـــتغل وغـــــرّه طـــــول الأمـــــل

المـــــوت يـــــأتي فجـــــأة و القـــبر صـــندوق العمـــل

ف تُأمِّل الآمال، وتجتهد في بلوغ قمـم الجبـال، وكأنـك سـوف تعـيش الـسنين الطوال، متناسياً يوم المآل، يوم العرض على شديد المحال!

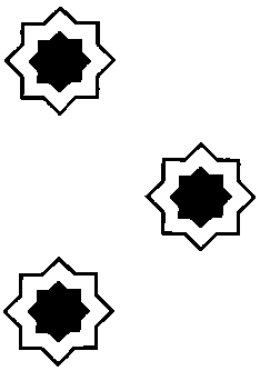

الحـــيـــاء

روى البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ قال: {الإيـمان بـضع وسـتون شـعبة، والحياء شعبة من الإيمان}.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه مر برجل من الأنصار يعظ أخاه في الحياء، فقال ﷺ: {دعه، فإن الحياء من الإيمان}.

وروى الإمام مالك رحمه الله تعالى عن النبي ﷺ أنه قال: { لكل دين خلق، وخلق الإسلام الحياء}.

وقال صالح بن عبد القدوس:

إذا قلَّ ماء الوجه قل حياؤه ... ولا خير في وجه قل ماؤه

حياؤك فاحفظه عليك، وإنما ... يدلّ على فعل الكريم حياؤه

قال د.عائض القرني[1]:

(وهل أتاك نبأ أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ عندما سمعته يقول: {من جرّ ثوبه خُيلاء.. لم ينظر الله إليه يوم القيامة}، فقالت: فكيف تصنع النساء بذيولهن؟ قال: {يرخين شبراً}، قالت: إذاً تتكشف أقدامهن، قال: {فيُرخينه ذراعاً ولا يزدن}[2].

لله درك يا أم المؤمنين!!، لله درك يا أم سلمة، ليست من أهل الخيلاء ولا التكبر،

(١) كتابه « أسعد امرأة في العالم» ص١١١.

(٢) أخرجه الترمذي ١٧٣١، في كتاب اللباس عن رسول الله ﷺ.

ولكن نساء المسلمين حييات عفيفات، طاهرات شريفات، لا ينبغي أن تُرى أقـدامهن، وثيابهن لها ذيول يجررنها على الأرض وراءهن، فلا يرى الرجال منهنَّ شيئاً، أما النـساء في عصرنا، -إلا من رحم ربك- فإنهن يرخين الذيل إلى "أعـلى" أقـصى مـا يـستطعن، خوفاً عليه من البلل، أو الغبار، ولو استطعن لخلعنه، أسوةٌ بالكوافر العـواهر، ويجـدن ألف مبرر للتعري والتفسخ ولا حـول ولا قـوة إلا بـالله، ورجـالهن لـيس فـيهم مـن

الرجولة إلا الاسم، يمشون إلى جانبهن، ولا يبالون، فقد ذهب الحياء)..

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العودُ ما بقي اللحاء

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

إذاً.. (الحياءُ) خلّة، فإياك ثم إياكِ وتركها، فإن العالمون المجلّون ربهم يستحون منهم أن يراهم بحيث منعهم، أو أن لا يجدهم بحيث أمرهم، كما قال أحد الصالحين:

فاستحي من نظر الإله وقل لها: إن الذي خلق الظلام يراني

و.. السفور مطية الفجور كما قيل ، وقد جاء في الحديث:

عن النواس بن سمعان ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: { ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتوحة، وعلى الأبواب ستور

مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداعٍ يدعوا من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبـواب قـال:

ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تَلِجْه، فالـصـراط الإسـلام، والـسوران حـدود الله، والأبواب المفتوحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الـصراط كتـاب الله، والـداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم }.

- يستثنى مما تقدم الحياء: من قول الحياء، فإنه أسواء الحياء!-

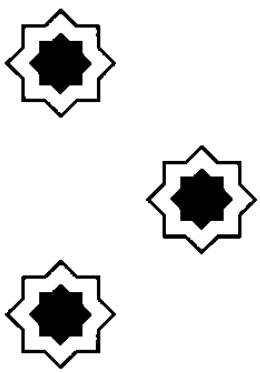

(الصبـــر)

.. وهو فن قليل من يحسنه!

وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت : ٢]

كتب (د. عايض القرني) عن قوله تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر : ١٠]: « هذه تحية من الله وبشرى للصابرين الذين يؤدون عملهم بصبر، ويقومون بالطاعة بالصبر، ويجتنبون المعاصي بصبر، ويستقبلون القضاء المر بصبر.

ما أجمل الصبر وما أعظم الصابرين.. نحن بحاجة إلى صبر ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً﴾ [البقرة: ٢٥٠] هذا الزاد الذي هو أغلى من كل زاد.. صبر في طريق الحياة الطويل الشاق.. صبر على جفاء القريب.. وتجهم العدو.. وعقوق الابن.. وهجر الصاحب.. وكراهية الحاسد.. وتشفّي الشامت.

صبر بؤس الفقر.. وألم المرض.. وصلف المتكبّر.. وسوء أدب الجاهل.

إذا سمعت كلمة نابية فصك سمعك، واصبر لتتحول إلى قصيدة عصماء من الثناء..

وإذا هجاك سفيه.. ونال عرضك رعديد فاصبر.. لتخلع عليك أوسمة المدح الأبدي.

اصبر إذا تأخّر المطلوب.. وقلّ المساعد.. وتعطّل المقصود.. وتأخّر الطلب.

اصبر على هذه الحياة في الدنيا التي كُدِّرت بالمنغِّصات ومزجت بالمكروهات..»

كما قال الحريري:

دار متـــى مـــا أضـــحكت في يومهـــا أبكـــت غـــداً قبحـــاً لهـــا مـــن دار

.. وأحسبه -بعلمي القليل- أنه -أي (الصبر)- نوع من الفـن[1] قلـما تجـد مـن يُجيده!!

..جاء في كتاب «الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة» لعبد الله الخاطر:

«يعتقد بعض الناس أن الإيمان بالأسماء والصفات مسألة عقيدية ذهنيـة مجـردة،

كأن نؤمن بأن الله هو الملك، وأنه الحكيم القادر الباسط المعطي.. وغير ذلك دون أن يكون لهذه الصفات والأسماء مدلول وأثر في حياة المسلم، ولذلك فهؤلاء لا يستفيدون من إيمانهم هذا الاستفادة المرجوة والحقّة.

والحق أن الإيمان بها ليس مجرداً إنما له تأثير في واقع الإنسان، فالمسلم الذي يؤمن بأن الله هو الملك يؤمن بأن له جل وعلا الحق في المنع والعطاء فلا يعترض عليه، والذي يؤمن بأن الله حكيم لا يقُدِّر شيئاً إلا لحكمة سواء أدركها الإنسان ذو العقل القاصر أم لم يدركها، عندها يتقبل الأحداث ويعلم أن فيها خيراً له، وقد تخفى الحكمة أو بعضها على الناس وقد يكتشفونها أو يكتشفون بعضها في وقت لاحق، ومثال ذلك أنه قد جرى ضمن أحداث قصة الخضر مع موسى عليه السلام أن قتل الخضر غلاماً فتعجب

---

(١) وقال بهذا المعنى (قوقارس): الصبر هو «فن التشبث بالآمال».

موسى عليه السلام وأنكر عليه فبين له الخضر لاحقاً السبب، فالـذي ظهـر لموسـى أن قتل الغلام كان مصيبة من المصائب وقد يكون هذا ظهر للأبوين أيضاً.. بينما الحقيقـة أن الله أنزل رحمته على الأبوين لأنهما مؤمنان يحبهما الله تعـالى، فعلـم سـبحانه مـا هـو الأصلح لهما فقدّر قتل الغلام..».اهـ

قال عليه الصلاة والسلام: {من كظم غيظه وهو يقدر على أن ينتصر.. دعاه الله إلى أي من حور العين شاء}[1]، وعنه ﷺ أنه قال: {ما تجرع عبد جرعة أفضل عنـد الله مـن جرعة غيظ يكظمها، ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى}[2] -ولا يستوي إلتجاء الإنـسان في حالات غضبه وانفعاله إلى الله ﷻ ولجوئه إلى السب أو الشتم، أو ماعدا ذلك!-

ومن أبواب الصبر: كظم الغيظ، وله عشرة أسباب هي مقتطفات من مقال قيم لـ (د. فهد بن السعوده) يغنى للتشخيص.. أن أكرر نشرها، لعل الله ينفع بها ويكون لي لها أجر مثل ما لكاتبها القدير، مع شيء.. من الاختصار:

أولاً: الرحمة بالمخطئ والشفقة عليه، واللين والرفق.

وهنا لاحظ أن الله سبحانه وتعالى قال للنبي ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وفي هذه الآية فائدة وعبرة عظيمة وهي: أن الناس يجتمعون على الرفق واللين، ولا يجتمعون على الشدة والعنف، لأن الله

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٠٢١، والإمام أحمد ١٥١٩٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤١٨٩ .. قال أعرابي للخليفة المأمون: (الانتقام عدل والتجاوز فضل).

سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩]

أي: أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار ﷺ، والسابقين الأولين فكيف بمن بعدهم؟

ثانياً: من الأسباب التي تدفع أو تهدّئ الغضب سعة الصدر، وحسن الثقة، مما يحمل الإنسان إلى العفو.

ولهذا قال بعض الحكماء: « أحسن المكارم، عفو المقتدر، وجود المفتقر ». فإذا قدر الإنسان على أن ينتقم من خصمه، غفر له وسامحه، ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣] وقال ﷺ : « ما ترون أني فاعل بكم؟.. قالوا: خيراً! أخ كريم،

وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم طلقاء ».

هــداني هــاد غــير نفــسي ودلــني علــى الله مــن طردتُــه كــلَّ مطــرد

ثالثاً: شرف النفس وعلو الهمة، بحيث يترفع الإنسان عن السباب، ويسمو بنفسه فوق هذا المقام.

لــن يبلــغ المجــد أقوامــاً وإن عظمــوا حتـــى يـــذلوا وإن عـــزَّوا لأقـــوام

ويُـــشتَموا فـــترى الألـــوان مـــسفرةً لا صـــفح ذل.. ولكـــن صـــفح أحـــلامِ

أي: لا بد أن تعوِّد نفسك على أن تسمع الشتيمة، فيسفر وجهك وتقابلها بابتسامة عريضة، ليس على سبيل التنفير، ولا تقول: لا أريد لخصمي أن يقطف زهرة الانتصار علي، وإنما تدرب نفسك تدريباً علمياً على كيفية كظم الغيظ.

وإن الــذي بــيني وبــين بــني أبــي وبــين بــني عمــي لمختلــف جــداً
فــإن أكلــوا لحمــي وفــرت لحــومهم وإن هـدموا مجـدي بنيـت لهـم مجـداً
ولا أحمــل الحقــد القــديم علــيهم وليس رئيس القـوم مـن يحمـل الحقـد

فعود نفسك على هذه المقامات السامقة والأحوال الراقية، والدرجات العظيمة.

رابعاً: طلب الثواب عند الله:

فعن سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: {من كظم غيظاً وهـو قـادر على أن ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحـور ما يشاء }.

خامساً: استحياء الإنسان أن يضع نفسه في مقابله المخطئ:

وقد قال بعض الحكماء: احتمال السفيه خير من التحلي بصورته، والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته..، وقال بعض الأدباء: ما أفحش حليم ولا أوحش كريم .

وقال (الخيل بن أحمد) أو غيره:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه إلي الجرائم

فما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف مثل مقاوم

فأما الذي فوقي فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فأحلم دائباً ... أصون به عرضي وإن لام لائم

وأما الذي مثلي فإن زلَّ أو هفا ... تفضلت إن الفضل بالفخر حاكم

وفي حديث خروج النبي ﷺ من الطـائف، وقـد ردوه أسـوء رد، تقـول عائـشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: { لقد لقيت من قومك ما لقيت وقد كان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذ أنا بسحابة قـد أظلتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك ، ومـا ردوا عليك ، وبعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شـئت فـيهم، فنـاداني ملـك الجبـال فسلم علي ثم قال يا محمد، فقال ذلك فيما شـئت، إن شـئت أطبـق علـيهم الأخـشبين! فقال النبي ﷺ : بل أرجوا أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شـيئاً }

أخرجه البخاري ومسلم.

سادساً: التدرب على الصبر والسماحة:

ففي كل ليلة وقبل أن تخلد إلى النوم، وتسلم عينيك لنومة هادئة لذيذة.

ف/ سامح كل الذين أخطئوا عليك، وكل الذين ظلموك، وكل الذين حاربوك، وكل الذين قصروا في حقك وكل الذين نسوا جميلك، بل وأكثر من ذلك!

ثم.. انهمك في دعاء صادق لله سبحانه تعالى بأن يغفر الله لهم، وأن يصلح شأنهم، وأن يوفقهم! ستجد أنك أنت الرابح الأكبر، المرتاح النفس، الهادئ البال، المستقر المشاعر.

وكما تغسل وجهك ويدك بالماء بضعة مرات، أو أكثر من عشر مرات، لأنك

تواجه بهما الناس، فهذا القلب هو محل نظر الرب سبحانه وتعالى!

عـن أبي هريـرة ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ : { إن الله لا ينظـر إلى صـوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم } أخرجه مسلم.

قلبك الذي ينظر إليه الرب سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات احرص أن لا يرى فيه ربك تبارك وتعالى إلا المعاني الشريفة والنوايا الطيبة.

سابعاً: قطع السباب وإنهاؤه مع من يصدر منهم، وهذا لا شك أنه من الحزم.

قال رجل لأبي بكر رضي الله عنه : والله لأشتمنك شتيمة تتبعك إلى قبرك، فقال له أبو بكر: بل إلى قبرك أنت .

وحُكي أن رجلاً قال لضرار بن المقفع: والله لو قلت واحدة، لسمعت عشراً!

فقال له ضرار: والله لو قلت عشراً، لم تسمع واحدة!

وفي الحلـــم ردعُ للـــسفر عـــن الأذى ... في الخـــرق إغـــراء فـــلا تـــك أخرقـــا

وقال آخر:

قـل مـا بـدا لـك مـن زور ومـن كـذب ... حلمـــي أصـــم وأذنـــي غـــيرُ صـــماء

وبالخبرة والمشاهدة: الجهد الذي تبدله في الرد على من قد يسبك، أو يشتمك، أو ينتقصك لن يعطي نتيجة مثل النتيجة التي يعطيها الصمت، فبالصمت حفظت لسانك، ووقتك وقلبك، ولهذا قال سبحانه وتعالى لمريم عليها السلام: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾ [مريم: ٢٦]

و.. الكلام والأخذ والعطاء تضر أكثر مما تنفع .

ثامناً: رعاية المصلحة، ولهذا النبي ﷺ أثنى على الحسن ﷺ بقوله: { ابني هذا سيد، ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين } أخرجه البخاري.

تاسعاً: حفظ المعروف السابق، والجميل السالف:

كذا قال النبي ﷺ : {وإن حسن العهد من الإيمان } .

ولهذا كان الشافعي رحمه الله يقول: (إن الحر من راعى وداد لحظه وانتمى لمن أفاد لفظه)، وأمثلة ذلك كثيرة.

عاشراً: أن يسكت الإنسان، مكراً ودهاءً، وانتظاراً للفرص.

قال إياس بن قتادة:

تعاقـــب أيـــدينا ويحلـــم رأينـــا ونـــشتم بالأفعـــال لا بـــالتكلم

«وبعد ذلك لا يحسب الإنسان أن السعادة ستخيم عليه طـول الوقـت، فالحيـاة ليست كذلك، ولكنه سيشعر بنفحات منها بدرجات متفاوتة مع راحة البال والتفـاؤل بما هو آت».

وكذا يعرض الأديب سعد البوادري:

«لا توجد سعادة مطلقـة تـستغرق كـل الحيـاة.. وإنـما جزئيـة تتخللهـا بعـض المنغصات التي تضاعف مـن مـذاق الـسعادة وطعمهـا بعـد أن تتكـرر مـن جديـد.. وبضدها تتميز الأشياء.. كما يقول الشاعر».

.. ولا يتعارض مع الشاعر العربي بقوله:

لـــولا منـــى العاشـــقين، مـــاتوا غمّـــاً، وبعـــض المنـــى غـــرور

مما يؤكد بأن الأماني أنواع، وبعضها مهلكات -كما أودت بامرئ القيس في طلب (ملك أبيه)، وكذا المتنبي.. في حلم (الإمارة)[1]-

لكن (الأمنية) طريق جميل من الحيوية وتعلّم (الصبر) الذي هو مهارة[2] -كما تقدم- لا يتقنها أي إنسان!

وقيل « الشجاعة.. صبر ساعة ».

وكما وصف المولى أهله ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت : ٣٥]

قال علي بن أبي طالب ﷺ للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن عجزت جرى عليك القلم وأنت مأزور.

وأجاد الشاعر -في وصف صبره.. والحال كذلك:

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري ... يعلم أني صابرٌ على مرٍّ أشد من الصبر

---

(١).. انظر بحث هذا.. في كتابي «فارس الكلمة»ص١١٩ وما بعدها.

(٢) وغالبنا/ يذكر في المدرسة -ونحن صغار-: ذلك اللغز الجميل عن الصبر نعرفه (كيف يمكن أن نضع الماء في إناء كالمنخل ولا يتسرب من الثقوب) وكانت الإجابة أن نتركه يتجمد-

و.. جمال أو عمق هذا (اللغز) في الإشارة إلى قُدرة (الصبر) -أو الصابر- على إنجاز ما استحال من الأمور وما استعصى منها.

وأظن أن هذا السرد يجعل المرء يحس بالمعنى، والتناغم:

قد عشت في الدهر أحوالاً على طرق ... شتى، وجربت منها اللين والفظعا

كُلاًّ بلوت فلا النعماء تُبطرني ... و لا تخشعت من لأوائها جزعا

لا يملأ الأمر نفسي قبل موقعه ... ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعا

" .. مرّ إبراهيم بن أدهم رحمه الله على رجل على وجهه علامات الهم، فأراد إبراهيم أن يُزيل عنه هذا الهم، فقال له: إني سأسألك عن ثلاثة فأجبني:

أيجري في هذا العالم شيء لم يرده الله؟، قال الرجل: لا قال إبراهيم: أينقص من رزقك شيء قدره الله لك؟، قال الرجل : لا.

قال إبراهيم: أينقص من عمرك لحظة كتبها الله لك؟ قال الرجل : لا فقال إبراهيم بن أدهم: فعلام الهم إذاً؟"..

قال ابن الجوزي رحمه الله: «ضاق بي أمر أوجب لي هماً وغماً لازماً دائماً، وقد أخذت أُبالغ وأفكر كيف أتخلص من هذا الأمر بكل حيلة وبكل وجه.

قال: فما رأيت طريقاً للخلاص قط. ثم عرضت لي هذه الآية: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ [الطلاق: ٢].

قال: فعلمت أن التقوى سبب للمخرج من كل هم وغم.

قال: فما هو إلا أن هممت بتحقيق التقوى حتى وجدت المخرج»-كما قال أحد العلماء: العالم الرباني.. هو/ الذي يقلب المحنة إلى منحة .

وقال الطغرائي:

أعلل النفس بالآمال أرقبها ... ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

(العقـــل)

قال علي رضي الله عنه: (رب من أعطيته العقل فماذا حرمته؟ ومن حرمته العقل فماذا أعطيته؟) .

فإن العاقل الحكيم -وإن كان ذا نفسٍ توّاقة- فـإن وزنـه للأهـداف والأمـاني.. يأتي بتوازن مع قدرات ذاته ومعرفتها.. لا يشطط، ولا يوغل و(يقيس قبل أن يغـيص) لإدراكه.. أنه:

تقـــضي علـــى المـــرء آمالـــه إن لم يجاهـــــد نفـــــسه أولاً!

وفي الأثر:

«لم تر عيناي أفضل من فضل عقلٍ يتردّى به الرجل، إن انكسر جبره، وإن صُرع أنعشه، وإن ذل أعزه، وإن اعوج أقامه، وإن عثـر أقالـه، وإن افتقـر أغنـاه، وإن عـري

كساه، وإن غوى أرشده، وإن خاف أمنه، وإن حزن أفرحه، وإن تكلم صدّقه، وإن أقام بين ظهراني قوم اغتبطوا به، وإن غاب عنهم أسفوا عليه، وإن بسط يده قالوا جواد، وإن قبضها قالوا مقتصد، وإن أشار قالوا عالم، وإن صام قالوا مجتهد، وإن أفطر قالوا معذور».

إذاً (الرضا) يحتاج إلى (عاقل) حكيم في تقديره للحياة والمقادير.

إن (السعيد) له في غيره عظة وفي التجارب تحكيم ومختبر..

فلتكن بنفسك آخذاً من الغير ولا تجعل (ذاتك) حقلاً لتجارب الآخرين!

وهاك دليلاً.. لا يقبل (الشك) ولا التأويل:

كتب -عن النفس- الشيخ صالح بن سعد اللحيدان حفظه الله:

«تتمثل حالة الإنسان بين أمور ثلاثة: شخصية سوية تلك التي يتواءم فيها السلوك مع الغرائز مع الوجدان، وهذا لا يتهيأ لكل أحد، إنما لمن عاش حياة متوازنة جيدة من حيث صحة البدن وصحة العقل تحت سقف بيت فيه من العبادات بقدر ما فيه من المعاملات البينة الواضحة.

فالعبادة بناء للعقل والروح وبناء للشخصية السوية المتفائلة التي تأتي الحلال وتسعى إليه، وتتجنب الحرام وتنبذه.

الثانية: الشخصية المتوسطة التي لعلها قابلة لكل ردة فعل، وهذه الشخصية

رجراجة ما بين إبهام ووضوح، ورجراجة ما بين قوة وضعف، تحتاج هـذه الشخـصية إلى قوة إرادة واعية نشطة ما بين عبادة واعية مُدركة وعمل واضح مستقيم.

والشخصية الثالثة: مريضة لسبب ما، فلم تتواءم فيهـا طبيعـة حالتهـا الـسليمة بسبب سوء تربية أو قراءة معوجة أو صحة سيئة.

وهذه شخصية مهزوزة تحتاج إلى بسط من العلاج البدني والنفسي المستمر تحـت نظر مكين متابع».

ومن سلوكياتنا (اليومية) تُحسّ أنه -كأنه- يغيب عـن المـرء حـديث {لا يـؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه} أخرجه البخاري.

وهذا جليٌ ناصع إذا ما أردت مخالطة الناس، فذاك يأخذ حقك بالطريق -دون إذن-، وآخر يسلبك دورك بطول لسان أو ذراع، وغيره لا يتوانى عن أن يتقدمك.. على حقك (المعتاد) في أبسط الأشياء -كدورك في الحديث، بخاصة في الرد على التهم التي تطالك في مجلس ما، أو.. أو..-

قال أحمد شوقي:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً و عويلا

..وكل ما سلف يحتاج إلى (الصبر) -أو تدريب النفس على الحلم.. والأناة-

-قال تميم بن مقبل:

ما أطيب العيش لو أن الفتى حجر تنبو الحوادث عنه وهو ملموم

أو على رأي ارتأه ذلك الشاعر بقوله:

يخـــاطبني الـــسفيه بكـــل قـــبح فـــأكره أن أكـــون لـــه مجيبـــاً

يزيـــد ســـفاهة وأزيـــد حلمـــاً كعـــود زاده الإحـــراق طيبـــاً

وقال الآخر:

إذا جرحـــت مـــساوئهم فـــؤادي صـــبرت علـــى الإســـاءة وانطويـــت

وجئـــت إلـــيهم طلـــق المحيـــا كـــأني لا سمعـــت و لا رأيـــت

وخذ قول (الأول).. وهو يرسل لك (نُصحَه) بـ:

إذا رمت أن تحيا سليماً من الردى و دينك موفور و عرضك صين
فلا ينطقن منك اللسان بسوءة فكلك سوآت وللناس ألسن
و عيناك إن أبدت إليك معائباً فصنها و قل: يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ودافع ولكن بالتي هي أحسن

بل ولا تحقرن أحداً لشكله وجسمه، فالله المصوّر يخلق ما يشاء ويختار، ولنا في قصة عبد الله بن مسعود حين صعد النخلة -فضحك الصحابة لدقة ساقيه، فقال ﷺ يرد ويدافع عنه بل ويؤدب من ضحك بتوجيه سام-: «إنها عند الله أثقل من جبل أحد»[1].

ومن هذا الغلام الفصيح الذي قدم على عمرو بن العاص مع وفود المهنئين، وحين رأى من عمرو شيئاً قال: «المرء بأصغرية قلبه ولسانه».

(١) أخرجه الإمام أحمد ٣٩٨١.

ترك (الحــرص)

وأتعــب خلــق الله مــن زاد همــه وقـصَّر عمـا تـشتهي الـنفس وُجْـدُهُ

وقد عرّفه ابن حزم- هو «إظهار مـا اسـتكن في الـنفس مـن الطمـع» ثـم قـال: «ويتولد من الحرص رذائـل عظيمـة، منهـا الـذل والـسرقة والغـصب والزنـا والقتـل والعشق والهم بالفقر،والمسألة لما بأيدي الناس، وإنما فرقنا بـين (الحـرص) و(الطمـع) لأن الحرص هو إظهار ما استكن في النفس من الطمع».

ثم.. علق الأديب عبد الله الجعيثن -على الطمع- بأنه:

«رغبة نفسية عارمة بالحصول على كـذا أوكـذا»..، والحـرص هـو «الـسعي إلى تحقيق تلك الرغبة العارمه..!».

وليس من الضروري طبعاً أن يوصل الحرص صاحبه إلى تلك الرذائل والجرائم التي ذكرها ابن حزم رحمه الله..، ولكنه قد يوصل إليها إذا خلا الحريص من معافاة الله

ومن العقل، -أو أعماه الطمع وغطى على عقله».

والحريص الشحيح كما مثّل الشاعر أحمد بن مروان:

و ذو حـــرص تـــراه يلـــمّ وفـــراً لوارثـــه، ويـــدفع عـــن حِمـــاه

ككلـــب الـــصيد يُمـــسك و هـــو طـــاو فريـــــسته.. ليأكلـــــها ســـــواه

قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] فالشح والطمع والحرص والبخل كلها مترادفات لشيء واحد.. يقوّض السعادة المراد بلوغها فـ (ربنا قنا شُحّ أنفسنا) ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا.. ولا إلى النار مصيرنا.

وقد كان عبد الرحمن بن عوف ﷺ يكثر من الدعاء في طوافه إذ يقول: (اللهم قني شح نفسي)، فقال له رجل: ما أكثر ما تدعو بهذا، فقال: (إذا وقيت شح نفسي، وقيت الشح والظلم والقطيعة).

و كان الحسن البصري رحمه الله يأكل من حشيش ينقعه في الماء، فقال له أحدهم: لو خدمت السلطان لما احتجت لهذا، فأجابه: « لو أكلتَ هذا لما احتجت للسلطان ».

وسئل رحمه الله عن سبب زهده؟ فقال: «علمت أن عملي لا يقوم به أحد،

ورزقي لن يأخذه أحد».

وإذا كان الله قد ميّز بالمتاع الدنيوي ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣]، فمن الشرع والعقل والاستفادة من ذلك التحقيق ما ميّز الله المسلم به: الدين والدعوة إليه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وعلى هذا فسبب وجوده أسمى من مجرد الشكل والعدد والشهرة، والمتاع الحيواني: الطعام والمنام والنكاح والتسلية».

فإن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «ما الخمر صرفاً بأذهب لعقول الرجال من الطمع»[1].

---

(١) رسالة (تهذيب الأخلاق ومداواة النفوس) لابن حزم ص٧٠.

(أنـــت)

و.. هذا فقيدنا الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله يسرُّ إليك:

«السعداء يعيشون يومهم فلا يندبون الحظوظ ولا يشقون الجيوب ولا يلطمون الخدود على ما فات من حظ الدنيا».

..لأنهم يعوّضون ما فات بالاجتهاد في الساعات والأوقات الحاضرة.

وقالت دانا أبو حمدان- موجّهة[1]:

«عشْ في حدود يومك!.. من أخطاء الإنسان أن ينوء في حاضره بأعباء مستقبله الطويل، فيطلق تفكيره للغد المجهول في خط لا نهاية له، وما أكبر الهموم التي تعترض هذا التفكير، فتزرع القلق والمخاوف في نفس صاحبها. قال رسول الله ﷺ: {من أصبح معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها..}. وقد علق عليه الغزالي رحمه الله بقوله: «فالأمان والعافية وكفاية يوم واحد، قُوىً تُتيح للعقل النير أن يفكر بهدوء واستقامة تفكيراً قد يغيّر به مجرى التاريخ كله».

ولست أريد أُثبِّطَ الشباب عن الرغبة والعزيمة في النجاح المادي، فذلك مطلب مشروع والأولى أن يكون، بل يجب أن نحارب الزهادة في الحياة، والرضا بالدون من العيش، والإخلاد إلى الكسل والخمول، والركون إلى الحظ والمصادفة -التي لا يجري خلف سرابها إلا أولئك الذين لا يعرفون كيف يكسبون الحياة- إنما الذي أريد أن

(١) المجلة العربية - عدد/ ٣٢١.

أقوله: إن ذلك النجاح المادي لا وزن له ما لم يُدعم بالخُلق المتين المتسامح، والعمل لخير المجتمع ورفعته ورقيه.

بل هو -أي (الزهد)_ لا يأتي إلا بعد بذل الجهد، ثم نيل المنى.. حينها يكون (الحلم).

وأحسن المتنبي بوصفه:

كـــل حلـــم أتـــى بغـــير اقتـــدار حجـــةٌ لاجـــئٌ إليهـــا اللئـــام

لأن: «العفو مع عدم المقدرة لؤم».

وكان النبي ﷺ حليماً لكن مع القدرة، فعندما مدحه النابغة الجعدي بقوله:

ولا خـــير في حلـــم إذا لم يكـــن لـــه بـــوادر تحمـــي صـــفوه أن يُكـــدَّرا

قال له الرسول ﷺ: لا يفضض الله فاك.

فلا يكون الإنسان حليماً حتى يبلغ به أن لا يدفع الأذى عـن نفـسه، والإسـلام يحفظ عن أهله كرامتهم .. وكبريائهم ، قال رسول الله ﷺ : { من أعطى الذله من نفسه طائعاً غير مكره، فليس منا } .رواه الطبراني.

ويقول عمر رضي الله عنه:

«يعجبني الرجل إذا سيم الأنف قال: لا » .

دع الـ (أنـــا)

وبمقابل (أنت).. عدم الإفراط فيها نقول.. لك: دع الأنانية (الأنا)

قال الأديب إبراهيم البليهي:

«إن تزكية الذات مزلقٌ خطير، وآفة فتاكة.. وتجر إلى آفات أفظع وأشنع، لـذلك

نهانا الله عن ذلك بقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]، فتزكية الذات تنتهي بالفرد والمجتمع إلى الجهل والجور والتخلف والانحباس داخل قوقعة أوهام الكمال والاكتفاء بما هو سائد من التصورات ورفض الحقائق المغايرة مهما كانت ساطعة».

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

«من ملك نفسه وقهرها[1].. عز بذلك، لأنه انتصر على أشد أعدائه وقهره وأسره واكتفى شره، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، فحصر الفلاح في وقاية شح نفسه..

ومن عصمه الله وحفظه.. وقاه شح نفسه وشرّها، وقواه على مجاهدتها

---

(١) أي بالتعود، وتربية الذات كما جاء في غير موضع، فالقدرة على تعويد النفس على الرضاء والصبر واللين، والمسامحة، هي قضية أساسية، والإنسان يتحلم حتى يصبح حليماً – أي يُلزم نفسه حتى يكون كذلك –

إن هذه العضلة التي في صدرك (القلب) مهمّة جداً قابلة للتدريب والتمرين، فمرن عضلات قلبك على كثرة التسامح! والتنازل عن الحقوق، وعدم الإمساك بحظ النفس وجرب قلبك أن تملأه بالمحبة.

وبإسناد لا بأس به عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: « إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتق الشر يوقه ».

ومعاداتها. ومن وكله إلى نفسه.. غلبته وقهرته وأسرته وجرته إلى ما هو عين هلاكه».

ف..الناس مرايا للإنسان فإذا كان حَسن الأخلاق معهم كانوا حَسَني الأخلاق معه، فتهدأ أعصابه ويرتاح باله، ويحس أنه يعيش في مجتمع صديق.

وإذا كان الإنسان سيء الأخلاق غليظاً.. وجد من الناس سوء الأخلاق والفظاظة والغلظة، فمن لا يحترم الناس.. لا يحترمونه.

وصاحب الخُلق الحسن أقرب إلى الطمأنينة وأبعد عن القلق والتوتر والمواقف المؤلمة، إضافة إلى أن حُسن الأخلاق عبادةٌ لله ﷻ ومما حضّ عليه الإسلام كثيراً، قال الله ﷻ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال ﷻ يصف رسول الله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].وقال رسول الله ﷺ: {إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبرآء العنت}[1].

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ٧/ ٣٥٠.

التفـــاؤل

اعلم -بدءاً- أن الحياة، فيها جانبان -أو جناحان:

جناح (معتم)، ويقع في أرشيفه كل مؤلم كالأحزان، وفراق الأحباب، وخسارة ماله..الخ.

وآخر (مبهج) -كلقاء الأحبة، والأنس مع الصحبة، أو عشير محبوب، أو مكسب مالي_.

كن متفائلاً أبداً: حتى من طوارق السوء -لا قدر الله- لعله: ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]..

ولنا في هجرة الرسول ﷺ القدوة في هذا، حين قال لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فهي -مع التفاؤل- قمة الثقة بالله وبقدره وبالخيرة التي أرادها لهما.. «ما بالك باثنين الله ثالثهما»[1].. إذ هذا نهج المؤمن مع كل ما تجلبه الحوادث -خيرها.. وشرها- فهي إما خيرٌ (مقدّم)- إن كان ظاهرها خيراً، أو خير مبطن - لا تدركه.. أو إلى مآل خيرٍ في (الآخرة) يرفعك بها الله درجة لم تطلها بعملك.. (من / الابتلاء) -كما في الحديث-

حدّث د.عائض القرني -تجربة-:

«أعرف رجلاً قُطعت قدمه في جراحة أجريت له، فذهبت إليه لأواسيه، وكان

(١) أخرجه البخاري ٣٦٥٣.

عاقلاً عالماً، وعزمت أن أقول له: إن الأمة لا تنتظر منـك أن تكـون عـدّاءً مـاهراً، ولا مصارعاً غالباً، إنما تنتظر منك الرأي السديد والفكر النيّر، وقـد بقـي هـذا عنـدك ولله الحمد.

وعندما عُدته قال لي: الحمد لله، لقد صحبتني رجلي هذه عشرات السنين صحبة حسنة، وفي سلامة الدين ما يُرضي الفؤاد».

وقال سعد صالح:

أبـــــوارق الآمـــــال والآلام لُـوحي.. لعلـك تكـشفين ظلامـي

وفيها يُخاطب نفسه قائلاً:

لا تبتـــئس إن الحيـــاة وطيبهـــا و شـــقاءها ضـــرب مـــن الأوهـــام

أفهـــل يفـــرق مـــن يمـــوت إذا قـــضى خمـــسين أو ألفـــاً مـــن الأعـــوام؟

قال الإمام الشافعي رحمه الله : خير الدنيا والآخرة في خمس خصال:

«غنى النفس، وكف الأذى، وكسب الحلال، ولباس التقـوى، والثقـة بـالله عـز وجل على كل حال».

بعدها.. الصبر على ذلـك وتـذكر قـول الـصحابي الجليـل أبي ذر الغفـاري ﷺ: «الناس إن نقدتهم نقدوك، وإن تركتهم.. لم يتركوك».

.. ثم بين بين ، كما قال أكثم بن صيفي المجالسة ٣/ ٦١ :

(الانقباض من الناس مكسبة للعداوة ، وإفراط الأُنس بالنـاس مكـسبة لقرنـاء

السوء) .

وفي الحكمة الأوربيّة:

«بعض الناس مثل حبة فلفل، طالما أنك لا تسحقه بأسنانك لا تدري كم هو محرق».

وكذا السلوى:

.. كلما ضاق الأمر.. اتسع، وكل غروب يعقبه شروق.. وأمل وحياة.

وما أجمل ما عبر عنه الشاعر:

تسل عن الهموم فليس شيء يقيم ولا همومك بالمقيمة

لعل الله ينظر بعد هذا إليك بنظرة منهُ رحيمة

فالحياة.. ألم يخفيه أمل، وأمل يحققه عمل.. وعمل ينهيه أجل.. ثم يجزى كلٌ بما عمل.

لذلك يقولون: إن الحقائق أثبتت أن هناك أناساً ماتوا بالطاعون، وبتحليل أبدانهم وُجد

أنه لم تدخل أبدانهم جرثومة الطاعون مطلقاً، وإنما شدة الخوف والتوهم ولدت عندهم هذا الأمر.

ويُذكر في الأساطير:

«أن رجلاً مر به وباء الطاعون -أجارنا الله- فقال الرجل للطاعون: إلى أين

تذهب؟

قال: إلى قرية كذا وكذا، فإني أُمرت بخمسمائة رجل فيها.

فذهب الطاعون وحصد خمسة آلاف رجل في القرية، ورجع أدراجه، فمر بالرجل، فقال له: من أين أتيت؟ قال: من قرية كذا.

قال: إنك أخبرت أنك سوف تحصد خمسمائة، والواقع أن الإحصائيات أثبتت أنك حصدت خمسة آلاف؟!

قال: أنا أُمرت بخمسمائة، أما الباقون فقد قتلهم الخوف والوهم».

فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابها

فطـوبى لـنفس أودعـت قعـر دارهـا مغلقــة الأبــواب مرخـــى حجابهـــا

الكـــــرم

ومن ذاك: الكرم، وكريم السجايا، فإنه دافعٌ عن النفس حب التملّك، والشح الذي ذمَّه المولى بقوله: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩]

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

نعم/ كم من الناس يؤمنون بهذا الكلام؟

..وكم نسبة « الأغنياء » منهم؟

و.. هل كل « الفقراء » يؤمنون بذلك؟

قال الخليل بن أحمد:

الـرزق عـن قـدَر لا الـضعف ينقـصه ... ولا يزيـــدك فيـــه حـــول محتـــال

والفقــر في الــنفس لا في المــال نعرفــه ... و مثــل ذاك الغنــى في الــنفس لا المــال

المـــال مـــولاك مـــا أمـــسكته طمعـــاً ... فأنفقـه في الخـير تـصبح أنـت مـولاه

ثم.. كيف يكون الإنسان عبداً للمال؟، والأولى فيه أن يكون: المال عبداً عنده.

أنـــــت للمـــــال إذا أمـــــسكته ... وإذا أنفقتـــــه فالمـــــال لـــــك

هذا.. (إذا) ما أنفق في سبيل الخير -وهذا هو الشاهد-لنتذكر (النعم) التي أفاء الله بها عليك، وقد غفلت عنها.. فقط لأنك -كما تقدم- اعتدتها.

..قال المنفلوطي «في النظرات» عن الفضيلة:

«فتشتُ عنها في قصور الأغنياء فرأيت الغني إما شحيحاً وإما متلافاً، أما الأول فلو كان جاراً لبيت فاطمة رضي الله عنها، وسمع في جوف الليل أنينها وأنين ولدَيها من الجوع.. ما مد إصبعيه إلى أذنيه ثقة منه أن قلبه المتحجر لا تنفذ إليه أشعة الرحمة، ولا تمر بين طياته نسمات الإحسان، وأما الثاني فماله بين الثغرين لا يملك إلا السعادة المزيفة والمتعة المؤقتة ثم تكون الحسرة في الدنيا والعذاب في الآخرة».

(ومن هذا -أيضاً- السماحة):

وقال ماركوس أوريليوس:

«إن أنبل ضروب الانتقام هو ألا تكون صورة من عدوك». ولهذا قالت العرب

«ما استب رجلان إلا غلب ألأمهما».

فالسباب.. والغدر والخيانة والبغي والفساد والكذب والفجور وغيرها من الرذائل والفساد الأخلاقي، الذي يتذمر منه ويُقلق المفكرين إن كان بينهم مصلحون!

قال أحمد شوقي:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم ... فأقم عليهم مأتماً وعويلاً

وكذا: التحدّث دوماً بنعم الله، وذكر آلائه، وما أسبغ علينا من نعم لا تُعدّ ولا تحصى، كما قال سبحانه ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وأعظمها وأجلها التقوى.. ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]

وأيضاً ما بين أيدينا من خير وفضل وإرجاعها لواهبها ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ

اللّه﴾[النحل : ٥٣]

وكل هذا مصدّرٌ بأمره سبحانه وتعالى، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى : ١١] فإن هذا أدب عظيم دأب على فعله أولو الفضل والخير من قبلنا. وإنا بإذن ربنا ﴿عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف : ٢٣] ولا نكون كما قال تعالى في فئة من خلقه : ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس : ١٧]، أي: ما أجحده لنعم ربه، أو إقلاله لها،وعدم الاعتراف لفضل من له الفضل سبحانه.

جاء رجل إلى يونس بن عبيد رحمه الله فشكا إليه ضيقاً من حاله ومعاشه واغتماماً بذلك فقال: «أيسرك ببصرك مئة ألف؟ قال:لا، قال: فبسمعك؟ قال: لا، قال: فبلسانك؟، قال: لا، وذكره نعم الله عليه ثم قال يونس: أرى لك مئات الألوف وأنت

تشكو الحاجة»[1]. نعم فالحمد لله على الصحة.

ومن المفارقات العجيبة أن الفقير يفتقد أشياء ممكن أن يبتضعها بالمادة، بينما الغنيّ يفتقد أشياء لا يمكن أن يمتلكها بالمادة، وهذا مدرك. وهكذا ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]

..وهنا بعض (المعطيات) -الإحصائية- لعلها توقظ المرء من خيالات الأماني.. التي قد يغفل الإنسان المتلبس بـ (نِعمٍ).. لا يُدركها بحسه الظاهر، ونعيمها المقيم عليه -حتى تعودّه- عن ذكرها.. أو تذكّرها.

---

(١) السير ٦/ ٢٩٢.

١.. إذا كان لديك بيت يؤويك، ومكان تنام فيه، وطعام في بيتك، ولباس على جسمك، فأنت أغنى من ٥٧٪ من سكان العالم.

٢.. إذا كان لديك مال في جيبك، واستطعت أن توفر شيئاً منه لوقت الشدة فأنت واحد ممن يشكلون ٨٪ من أغنياء العالم.

٣.. إذا كنت قد أصبحت في عافية فأنت في نعمة عظيمة، فهناك مليون إنسان في العالم لن يستطيعوا أن يعيشوا أكثر من أسبوع بسبب مرضهم.

٤.. إذا لم تتجرع خطر الحروب، ولم تذق طعم وحدة السجن، ولم تتعرض لروعة التعذيب فأنت أفضل من ٥٠٠ مليون إنسان على سطح الأرض.

٥.. إذا كنت تصلي في المسجد دون خوف من التنكيل أو التعذيب أو الاعتقال أو

الموت، فأنت في نعمة لا يعرفها ثلاثة مليارات من البشر.

٦.. إذا كان أبواك على قيد الحياة ويعيشان معاً غير مطلقين فأنت تحتوي كنزاً عظيماً.

٧.. إذا كنت تبتسم وتشكر المولى ﷻ فأنت في نعمة، فكثيرون يستطيعون ذلك ولكن لا يفعلون... إلخ.

ثم.. إذا وصلتك هذه (الإحصائية).. وقرأتها فأنت في نعمتين عظيمتين:

أولاهما أن هناك من يفكر فيك، والثانية أنك أفضل من مليارين من البشر الذين لا يحسنون القراءة.

كذا من تمام (الحمد) أن تُذكر الآخرين بنعم الله عليهم، فـ (الذكرى تنفع

المؤمنين).. فهلا أبلغت بعد أن بُلِّغت.. إلى من تحب (تذكيراً) لتلهج ألسنتهم بذكر الله وشكره، فتحصل أنت على الأجر..

ثم أقول لك: لكي تكون أسعد مما أنت عليه: احمد الله على نعمه التي لا تُعدّ ولا تُحصى، وليكن لسانك رطباً بذكر الله، وكن كما قال المصطفى ﷺ لمعاذ رضي الله عنه:

{لا تدعن بعد كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)}[1].

ويظهر (أمرٌ) وجّه له الشارع الحكيم بقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، أي: ترك الفضول الذي ليس في شغلك به.. وراءه طائل..

وذاك في قوله ﷺ: {وكَرِهَ لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال}[2].

قال الشافعي رحمه الله: «عظِّموا أنفسكم بالتغافل..!».

وقد نُسب لأبي تمام:

لـــيس الغـــبيُّ بـــسيّدٍ في قومـــه لكـــن ســـيد القـــوم المتغـــابى

بمعنى.. أن (التغافل).. من أسباب السعادة، فإن الفضول كما ذكرت إشغالٌ للنفس ومضيعة للوقت، وإدخال نفسك فيما ليس لك منه نتاج أو يمت إليك بنفعه

---

(١) أخرجه أبو داوود ١٥٢٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٧٧.

فتأتيه ، أو يضرّك فتدعه

وإن البعد عن هذا، هو إصفاء للنفس ومعين على نقائها، قال ابن عثيمين رحمه الله:

خفض عليك (الهم) تحظَ براحة فما نال (خفض العيش) إلا المسالم

وقد أشار بعض الأطباء أن الإنسان يولد وولديه (١٠٠) مليون خلية عصبية.. إلا أنه بنفسه غالباً ما يتلف ٨٠٪ منها بعصبيته أو عدم حسن تعامله معها .

آخره (الزهد):

وبعد.. هذا، نذكر بعضاً مما يعين ويرفد، وذاك من هذه الأمثلة، وهي من أجوبة الزهاد:

«قال رجل لبعض الزهاد بالبصرة: ألك حاجة ببغداد؟ فقال: ما أحب أن أبسط

أملي حتى تذهب إلى بغداد وتجيء».

وكتب أحدهم إلى أخ له، كان تزهَّد ثم أقبل على التجارة:

«أما بعد فاعلم أن التجار الذين كانوا قبلك قد ماتوا.. والسلام».

«..وفي الأخبار أن عابداً تخلى وساح حتى صار في قياس الوحش، فمات إنسان ليس له وارث غيره، وكرهوا أن يحدثوا في ماله حادثة حتى يعلموا ذلك السائح، فخرجوا في طلبه في البراري، فجعل يفر منهم، فبعثوا إنساناً عارياً في طلبه، كلما وقع بصره عليه غض طرفه، ووقف، فأتاه، فقبض عليه، وقال له: «إن فلاناً قد مات وترك

مالاً، ولم يترك وارثاً غيرك وكرهوا أن يتعرضوا لماله حتى تعلم، فقال: مذ كم مات؟ قال: منذ كذا، قال: كم لي منذ فارقتكم؟ قال: كذا، قال: فبقيت بعده بكذا وكذا؟!! وولى عنه وتركه».

و..دخل رجل على داود الطائي وهو يأكل خبزاً يابساً قد بلّه في الماء بملح جريش، فقال له: كيف تشتهي هذا؟ قال أدعه حتى أشتهيه.

وأراد قوم سفراً فجاوزوا عن الطريق، وانتهوا إلى راهب منفرد في ناحية فقالوا له: قد ضللنا فكيف الطريق؟ قال لهم: هاهنا وأومأ بيده إلى السماء.

أيضاً/ دخل رجل إلى مالك بن دينار وعليه ثياب، وقد اشتهر بها، فقال له مالك: ما هذه الشهرة؟ قال: أتضعني عندك أم ترفعني.. قال: بل تضعك، قال: فأراك تنهاني عن التواضع، فقام مالك فقعد بين يديه.

وقيل لزاهد: مالك إذا تكلمت أبكيت الناس، وإذا تكلم غيرك لم يبكهم؟

قال: «ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة» وقد سار هذا.. مثلاً

ويروى عن (مالك بن دينار) رحمه الله أنه كان ماشياً في بعض أزقة البصرة إذ هو بجارية من جواري الملك راكبة ومعها الخدم والمماليك، فسمع مالك حسها خلفه فالتفت إليها وهي راكبة فرأى من زهرتها وهيأتها وحالها فنادى[1]: أيتها الجارية هل يبيعك مولاك؟ قال: فلما سمعت منه تلك الكلمة نظرت إليه فرأت عليه عباءة خلقة

(١) وهي عبارة عن (موعظة) غير مباشرة انظر ختامها

بالية، وله هيئة حسنة وتواضع وسكينة لله ﷻ، فقالت للخدم: أمسكوا مطيتي، فمسكوها فردت رأسها إليه وقالت له: يا شيخ أعد علي مقالتك. قال: قلت هل يبيعك مولاك؟ قالت: يا ويلي عليك وهل لمثلك ما يشتريني به لو باعني؟ قال فخف به المماليك. قال: خلوا عني أسير معكم. فسار معهم حتى أتى باب قصرها فقام إليها حجبة الدار فأنزلوها فدخلت وبقي مالك بباب القصر حتى وصلت إلى مولاها فقالت: يا مولاي ألا أحدثك بعجب؟ قال: وما هو يا حسنة؟. قالت: يا مولاي لقيني شيخ كبير فقير عليه عباءة رثة بالية فنظر إلى حسني وجمالي وبهائي وكمالي ومماليكي فأعجبه ما رأى من هيئتي فقال: هل يبيعك مولاك؟ فضحك مولاها من ذلك وقال لها: وأين هو ويلك؟ قالت: قد جئت به معي وها هو بباب قصرك. فقال: أدخلوه علي. فدخل مالك رحمه الله ولم يعرفه الرجل فلما وقف بباب مجلسه إذ هو ببيت مملوء بضروب من الوطاء والمتكأ وإذا هو بصاحب القصر قاعد على مرتبة عظيمة فجعل

مالك ينظر إليه فقال لمالك: ادخل أيها الشيخ كما أحببت فقال مالك: لا أدخل حتى ترفع هذا الوطاء وتغيب عني فتنته حتى لا أنظر إليه ولا أطأ شيئاً منه.

..فألقى الله الهيبة والطاعة في قلب الملك، فأمر برفع الوطاء والبسط، حتى كشف عن الرخام وقعد صاحب القصر على كرسي وقال: اجلس أيها الشيخ كما أحببت. فقال مالك: لا والله حتى تنزل عن هذا الكرسي وتجلس معي على الأرض. فجلس الملك على الأرض وجلس مالك معه. فقال رب البيت وهو الملك: قل حاجتك أيها الشيخ. فقال مالك رحمه الله:هذه الجارية، فقال الملك: وهل لك ما تبتاعها به مني؟ فقال مالك: وما ثمنها؟ قال الملك: إن من شأنها وقدرها وحالها ومالها تساوي كذا وكذا

ألفاً. فقال مالك رحمه الله: والله ما تساوي عندي نواتين مسوستين. فضحك الملك وقال للجارية: أتسمعين ما يقول الشيخ؟ فضحكت هي من بعد قوله. وقالت: نعم أيها الملك أسمع ما يقول!

قال الملك: أيها الشيخ وكيف كان ثمنها بهذه الخسة عندك؟ فقال مالك رحمه الله: لكثرة عيوبها. قال الملك: ومن أعلمك بعيوبها؟، قال:

أنا أعلم من عيوبها ما لم تعلمه أنت. قال الملك: أعلمني بها رحمك الله وأوقفني عليها.

فقال مالك رحمه الله: إن لم تتعطر تغيرت وإن لم تستك بخرت، وإن لم تمتشط قملت وشعثت، وإن عمرت عن قليل هرمت، وهي ذات بصاق وحيض وبول وغائط وأقذار جمة وآفات بينة. ولعلها لا تريدك إلا لنفسها ولا تحبك إلا لتمتعها بك وتمتعك بها، فلا تفي بعهدك ولا تصدق في ودك وعهدك ولا يتخلف عليها أحد من بعدك إلا

رأته مثلك. وأنا أجد بدون ما سألت جارية خلقت من سلالة الكافور ولو مزج بريقها الأجاج.. لطاب، ولو بدا معصمها للشمس.. لأظلمت دونه، ولو برزت لسواد الليل.. لسطع نوره، ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها.. لتزخرفت، ولو نفخ ريح ذوائبها على الأرض وما فيها.. لتعطرت، فهي العطرة الشكلة المغنجة المتنسقة، التي نشأت في رياض المسك والزعفرانين وغنيت بماء التسنيم فلا يكسف بالها ولا يحول حالها، ولا يخلف عهدها، ولا يتدبل ودها، ولا يتوقع صدها، فأيهما بالله أيها الملك أحق بالرفعة؟ فقال الملك: التي والله وصفت فما ثمنها يرحمك الله؟

فقال مالك: اليسير المبذول.. أن تتفرغ ساعة من ليلك فتقوم فتصلي ركعتين تخلصهما لربك، وأن تضع طعامك بين يدك فتذكر جائعاً فتؤثر الله على الشهوة منك.

وأن تخطو بالطريق فتلتقط منه حجراً ومدراً، وأن تحرك لسانك بطيب الكلام، وأن تقطع أيامك باليسير من القوت، وترفع همتك عن دار الغفلة فتعيش في الدنيا عيش القنوع راسخاً وتأتي غداً يوم القيامة آمناً وتنزل على الملك الأكبر مخلداً.

فعند ذلك نادى الملك: يا جارية. فقالت: لبيك يا مولاي. قال: أسمعت ما قال الرجل؟ قالت: نعم. قال لها: هل هو صادق أم كاذب؟ قالت: بل هو والله صادق. قال: فأنت إذن حرة لوجه الله تعالى، وضيعة كذا وكذا عليك صدقة. وأنتم أيها الغلمان كلكم أحرار لوجه الله تعالى وضياع كذا وكذا عليكم صدقة وهذه الدار صدقة بكل ما فيها من الأثاث والأموال على الفقراء والمساكين، ومد يده على ستر كان على بعض أبوابه فأخذه وستر به نفسه ورمى جميع ما كان عليه من اللباس.

فقالت الجارية: يا مولاي لا عيش لي بعدك. فرمت بكسوتها ولبست ثوباً خشناً وخرجت معه، فودعهما مالك رحمه الله ودعا لهما وأخذا طريقاً آخر، واستمرا على عبادة الله تعالى حتى لقياه.

رحم الله مالك بن دينار ما أبلغ مواعظه، جمعنا الله وإياه في جنات النعيم.

الحب

{ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه }

رواه البخاري

تقريـــــب

لا نقصد به الحب (العاطفي).. أو (الميل) لشخص ما- قريباً كان أو بعيداً-

إنما نعني به ذلك الدفء (أو التكامل) في تبادل المشاعر[1]، والتي وصفها المولى سبحانه بـ « الرحمة » بين الإنسان ومن حوله، وبالذات والديه وأهله وذويه.. إلخ

يُستلهم فهم ذلك بقوله ﷺ : {ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمّى}[2].

وينبع ديننا (العظيم) بشلال لم يصل رافده.. أُمّةً -من قبل-!

وذاك في قوله ﷺ: {لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه}[3].

ويحث إليه في قوله ﷺ : { إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي[4] }. وأيضاً حديث (السبعة / رجلان تحابا في الله ..إلخ).

أي: هو ذاك الترياق الذي يُعيد الحيوية إلى مفاصل الجسم كي يعيش مستقبلاً

(١) فالمشاعر هي التي تعين، .. قال الشاعر :

أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا **لولا الشعور، الناس كانوا كالدمى**

- أي : الدمية، وهو الجسد بلا روح!-

(٢)رواه البخاري.

(٣) أخرجه البخاري ١٣.

(٤) مسلم (٢٥٦٦).

لوميض ومؤشرات الحياة.. التي لا تنتهي.

طـوبى لمـن جعـل المحبـة جـدولاً **وسـقى أحبّتـه، فطـاب وطـابوا**[1]

وهو ينبت.. ويترعرع -خلاف ما لا يدركه البعض- بين جنبات الإنسان الملىء

بالرحمة والسماحة والنفس الجذابة/ بأخلاقها وحُسن تعاملها- كما في الحديث: { إنكم لا تسعون الناس بأموالكم.. وليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق[٢] } .

فما أجملها من جمل جميلة دالّة.. وافية.

وهو.. يفيض من النفس بعد معالجة التشظي الداخلي، وتحقيق وحدة النفس داخلياً بتفجير حب الذات أولاً بالصلح الداخلي، من خلال رد الاعتبار للذات واحترامها والاعتراف بها.

..إذاً : أجرِ فحصاً لقلبك حتى تعلم أنه مريض أو لا.. فإنه مُعرّض لهذا -كما قال أهل العلم.. كابن القيم رحمه الله- لنلقى ربنا كما تمنى إبراهيم عليه السلام: بـ ﴿ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٩]

.. ولا سيما في هذا الزمن الذي انشغل الناس فيه جميعاً، ودار بهم دولاب الحياة يعملون ويغترفون من ماء يمر به هذا الدولاب.. ومن الصعب جداً التعرَّف على

نوعية الماء وتحليله وإدراك كنهه، بل إن حياتنا اليوم وطريقة عيشنا ونظرتنا للحياة..

(١) عبد العزيز الرفاعي رحمه الله .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة: ١/ ٢١٢.

كل ذلك يحول دون التفريق بين الغث والسمين، النافع والضار، وقد استوى في ذلك كل الناس إلا من عصم الله، فكلنا يحتال لجمع المال بشتى الطرق، ولا يسأل نفسه كيف ولماذا وإلى متى؟

وكلنا يفضّل وينشغل بالدنيا عن الآخرة، وقد قل العلم النافع والعمل الصالح

ونسي كثير من السنة.. واختلط الحابل بالنابل واختلفت مقاييس الحياة وطرق الحكم عليها، وانقلب المعروف منكراً والمنكر معروفاً! ولسنا نورد ذلك تشاؤماً ويأساً، ولكنا نوضحه تنشيطاً للعقول وتحريكاً للهمم، ودعوة إلى تفكير جاد ينظم العمل ويضمن النتيجة بإذن الله .

ثم .. فـ/ لا يمكن أن نحب الآخرين قبل أن نحب أنفسنا.. ولا يمكن أن نحترم الآخرين ما لم نحترم أنفسنا، ونعترف بذواتنا ونتأملها في ضوء جديد، بل ولادة جديدة.

وهو متمم لبناء الشخص من حيث الانتماء فإن ذلك قد لا يفطن له المرء إلا حين يرى يتيماً، أو مشرداً -أو حتى في (ذاته).. حال التغرّب لعلم أو طلبٍ معاش تحدُّه عليه صروف الدنيا-

وهو أي: الحب على ثلاث مراحل أو درجات :

١- أن لا تبغضه.

٢- أن تحب له ما تحب لنفسك.

٣- أن تؤثره على ما تحب لنفسك.

والحب../

نعني به الكلمة الجامعة للأُلفة في مجاورة الأحبّةِ والتبادل معهم مُتع الـدنيا، كـما قال تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦]، إذاً هي زينـة -قـد تنفـع وقـد تضر!

وقولـه تعـالى: ﴿ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ [الحديـد : ٢٠]، و ﴿ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [آل عمران : ١٤]، فهي أي الحياة بالأصل متاع ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد : ٢٠]

فكل هذه من مدلولات جمعناها تحت عنوانٍ يضمّها.. مختصراً بـ (الحب) أي المشاعر عامة

تقول الكاتبة رقية الشبيب:

«الشيء الوحيد الذي لا يخضع لمزاد ولا لشروط هي: المشاعر.. لأنها ليست سلعة للبيع والشراء..

و..من كانت لديه مشاعر سامية من نفسٍ « كبيرة » يكون قادراً على التعامل مع كل معطيات الحياة.. بحب».

وهو من أسباب السعادة -الذاتية..لأنه يصل شذاه إلى الغير.. بعد أن يفيض

على صاحبه قبل!.

وفيه (تشبيعٌ للذات) بالعلاقة الحميمية.. التي تأطر القلوب على الألفة، وتجمعها على العشرة (الطيبة) التي تُفضي بإذن الله إلى إمتاعٍ.. -يمضي معظمه

باعتياده،- حتى إذا ما فُقد ذاك (يُعتبر).. فتحُ جرحاً بالقلب.. يتطاول ألمه بمقدار ما للمفقود من مقام..، فـ:

كـل عـيش ينقـضي مـا لم يكـن بملـيح.. مـا لـذاك العـيش ملـح

فلا تردد ..في داخلك- أنها (كلمة) في زمن فقد فيه الكلام معناه، فإننا.. قد

قرأنا عن الحب والمحبين، وسمعنا أناشيدهم.. وإن فقدناه -غالباً- في عصرنا (المادي) للأسف!

على ألا نعضل الحب المباح، فلقد كان قدوتنا محمد ﷺ يحب عائشة، وقال لها {بُشرت[1] أنّك زوجتي في الجنة}، أما أهل الهوى فإن حبّهم زائل.

قال من نحسبه بـ (الشهيد) -بإذن الله- أحمد ياسين[2] رحمه الله:

«أنا أحب الحياة جداً، وأحب كل ما خلق الله على الأرض، وأحب الحياة لي ولغيري من الناس، ولا أحسد أحداً على ما أعطاه الله، وأقبل ما قسم الله لي، ولكنني أرفض الذل وأرفض الخضوع والعدوان على نفسي، أحب العدل وأُقيمه ولو على نفسي، أريد الخير لشعبي دائماً، أنظر إلى الكوب فأرى الجزء المملوء فيه ولا أرى الناقص، لأن ذلك هو الذي أعطاني هذا الوجود الذي لا زلت فيه بالرغم من أني أعاني منذ ٤٥ عاماً الشلل، وأنا أحمد الله أني أملك ثقة في الله سبحانه وتعالى، وأملك توكّلاً

(١) وللعلم هذه (بشرى.. وتبشير لها رضي الله عنها بالجنة)- فالمبشرون بالجنة على قسمين، بشرى جماعية، أحادية كبشرى عكاشة بن محصن حين قال له ﷺ { أنت منهم}، وخديجة رضي الله عنها.

(٢) ..هو قائد -ومؤسس- (حماس)، .. وسبحان الله فعلى الرغم أنه عاش حياته -من مطلع شبابه- مشلول (الجسد)، لكن لم يشلّ من قدراته.. وهمّته! ..و(هذه هي: النماذج التي يخرّجها ديننا العظيم).

كبيراً على الله سبحانه وتعالى، وأقبل كل ما يصدر من الله في قدره، إن كان خيراً شكرت، وإن كان شراً صبرت، ورددت ذلك بنفسي: ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩]

فهذا هو موقفي إن شاء الله، سأبقى مجاهداً[1] إن شاء الله حتى يتحرر وطني، لأني لا أخشى الموت، لأن الأعمار بيد الله مُقدّرة».

إذاً.. إن أهم شيء الآن والآن بالذات أن تغمض عينيك، ألا تفكر في أي شيء سوى في تلك الأشياء الجميلة في حياتك وأن تتذكر اللحظات السعيدة من عمرك..!

حتى.. قال المنفلوطي رحمه الله:

«حسبك من السعادة في الدنيا ضمير نقي، ونفس هادئة، وقلب شريف، وأن تعمل بيدك فترى بعينك ثمرات أعمالك تنمو بين يدك وتترعرع فتغتبط بمرآها، اغتباطاً..الخ».

وقال محمد حمام:

علمتني الحياة أن أتلقّى ... كل ألوانها رضا وقبولاً

والذي أُلهم الرضا لا تراه ... أبداً الدهر حاسداً أو عذولاً

(١) وصدق مع الله.. فأبلغه مأمله: (الشهادة) رحمه الله .. في ١٢/ ٣/ ١٤٢٥هـ، انظر -عنه- (المُقعد.. الذي أوقفنا على مجده)- مجلة الدعوة .

توجيهـه :

أي ذاك الحب، فإن هناك من يصرف جل وقته وإحسانه في غير موضعه، وقد قال ﷺ: {إن لربك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً.. فأعطِ كل ذي حق حقه}[١].

وقال فيها "ابن القيم" رحمه الله:

(.. إذ ليس صلاح، ولا نعيم.. إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن تكون محبته للهّ تابعة لمحبة الله، فلا يحب إلا للهّ، فإن المحبة إن كانت للهّ فهي من محبة الله. وإن كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها.

ومحبة الله فوق ما يجده سائر العشاق والمحبين من محبة محبوبهم، بل لا نظير لهذه المحبة ولا مثل لمن تعلقت به.

ومن علامة محبة الله عز وجل محبة ذكره سبحانه، فإن المحب لا يشبع من ذكر محبوبه، بل لا ينساه فيحتاج إلى من يذكره به. وكذلك يحب سماع أوصافه وأفعاله وأحكامه، فعشق هذا كله من أنفع العشق وهو غاية سعادة العاشق)[٢].

ثانيه: المحبة لنبيك.. كما في قوله ﷺ: {لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والديه وولده والناس جميعاً} [٣].

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري ١٨٧٤.

(٢) من كتابه (روضة المحبين).

(٣) أخرجه البخاري ١٥.

وقال عمر ﷺ معبّراً عن هذا الحب : والله لإسلام العباس عم النبي أحب إلي من إسلام الخطاب أباه ، لما يسرّ قلب النبي أو يدخل السرور إليه .. حتى يقول (د. عمر عبد الكافي): « أحب الصحابة الرسول حبّاً عملياً فطبقوا منهجه ﷺ، فكانوا مصاحفَ يسيرون على الأرض ».

من ذاك (دينك) ..، ونعني به التضحية له، وتقديمه وتغليبه على كل مستويات المرء، وجعله الهم الأول في ذهن المسلم، كذا قال جملة من الصحابة في بدء غزوة (بدر)

للرسول ﷺ : « إن ما أخذتَ من أموالنا أحبّ إلينا مما تركت ».

أي: .. تحت قاعدة: (أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما) نعم .. ،

تهـــون الحيـــاة.. وكـــلٌ يهـــون ولكـــــن إســـــلامنا لا يهـــــون

بعدها.. الوالدين[1] وحديث مَن أحق الناس بصحبتي..إلـخ كـافٍ وواف ثـم الزوج فالأبناء إبداء بمن تعول والرسول ﷺ كان يقبِّل الحسن والحسين، حتـى جـاء الأقرع بن حابس وشاهد ذلك فقال والله عندي عشرة أولاد مـا قبّلـت أحـداً مـنهم!، فقال له الرسول ﷺ : { ما أفعل إن كـان الله قـد نـزع مـن قلبـك الرحمـة }. فـالأخوة والأخوات.. ثم ذوي الرحم من أخوال وأعمام،قـال الله تعـالى: ﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾[الأنفال : ٧٥] فالعشيرة والجيرة وعموم إخوانك في الدين..

(١) انظر كتاب (سعادة الأبناء في بر الأمهات والآباء) للمربي/ محمد الفحام.

الحـــب في اللـــه

إنه ذاك (النقاء) الذي لا تشوبه شائبة من شوائب الدنيا، ولا ينقصه.

إن أعظم (الحب): الحب في الله، وقد كان قدوتنا محمد ﷺ أكثر من أحب الله القائل: {ألا أكون عبداً شكوراً}، فهوﷺ أكثر من أحب الله، وقد تعرض للأذى في سبيله حتى قالوا في السّير إنه ابتلي بجميع أنواع البلاء والأنبياء قبله يبتلون في شيء واحد كابتلاء أيوب بالمرض، وإبراهيم بذبح ابنه وهكذا..

فلا أعظم من حبه ﷺ لربه فلقد كان نومه دعوة وكلامه دعوة وتوجيهاته دعوة وسيرة كلها دعوة، فلم يصل إلى هذه المرتبة أحد.

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣]

قال الحسن البصري رحمه الله لما تلا هذه الآية: (هذا حبيب الله ، هذا ولي الله، هذا خيرة خلق الله ، هذا أحب الخلق إلى الله ، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله في دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال : إنني من المسلمين) انتهى كلامه.

وقد أراد الله من أوليائه أن يحبّوه أكثر من فلذات أكبادهم، فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام الذي آتاه ابنه إسماعيل على كبر وبلغ معه السعي فأحبه! فهو له، ابن واحد وأتى على كِبَر السن، ثم هو مطيع، وفيه كل الصفات الطيبة والله أراد أن يكون قلب

الخليل له وحده، فأتته الرؤيا المعروفة وأتى بابنه وقال: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ [الصافات: ١٠٢]

يقول بعض المفسرين: كل بلاء يهون إلا بلاء إبراهيم في ابنه، ابتلاه الله في ابنه، وكانت البلوى أنه يباشر الذبح بنفسه، وكان أعظم جواب في التاريخ من ابنه لأبيه هو جواب إسماعيل: ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢]، جهّز إبراهيم ابنه لتنفيذ هذا الأمر الرباني ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ [الصافات: ١٠٣]،

وتله للجبين حتى لا تنظر العين بالعين وأتى بالسكين ووضعها على العنق وكررها ثلاث مرات. فنزل قوله تعالى: ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٧]، فقاما وتعانقا وهما يبكيان وإذ بالله يسجل له شهادة أنه صادق في هذا الامتحان.

وهذا طلحة بن عبيد الله: يوم (أحد) جرحت معظم أجزاء جسمه، وجاء الناس إليه يداوونه ودمه ينزف فيقول: « اللهم خذ من دمي اليوم حتى ترضى ».

ومن قبل أولئك، آسية امرأة فرعون ومعاناتها مع زوجها ودعائها المشهور ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ [التحريم: ١١]، على الرغم من القصور التي كانت تسكنها

العطـــــاء

ليكن عطاؤك بمقدار أو بقـدر ﴿ . . وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩]. فـإن حسن التدبير جودة من يدير (ومن أبرم الأمر بلا تدبير.. صيَّره ذلـك إلى تـدمير) كـما

قيل .

كتب (د. فهد المغلوث):

« هناك واقع آخر يشعرنا بمثل تلك السعادة أو قريب منها، ذلك الواقع بإمكاننا أن نرسمه بأيدينا، أن نحتضنه بقلوبنا ونسقيه بحناننا وعطفنا، ذلك الواقع هو زرع الحب في الآخرين وكسب ثقتهم والوقوف بجانبهم.. وإذا ما تحقق ذلك بصدق وصفاء فحينئذ تصبح الحياة أكثر من جميلة.

ثم أضاف :

إن جمال هذه الحياة ليس في كوننا نسعد لأن شيئاً ما تحقق لنا فقط!، بل أن نسعد لسعادة الآخرين وبالذات أولئك الذين يحتلون منزلة كبيرة في قلوبنا.

فكم هي جميلة تلك الحياة حينما نسمع أخباراً سارة حلوة عن أعز الناس إلينا تجعلنا نطير من الفرحة ونرمي ما في أيدينا عالياً في السماء بكلتا يدينا ك (طفل صغير)

تحقق له ما يريد.. نكون في قمة السعادة عندما نسمع خبراً سعيداً يتعلق بهم أو أمنية غالية تحقق لهم، لأنها أمنيتك أنت، وفي نفس الوقت تحزن من أجلهم حينما يتضايقون من شيء ما.

تلك هي السعادة في الحياة التي تعني المشاركة من القلب في كل شيء).

وحُكي عن علي ﷺ أنه قال: « يا سبحان الله ما أزهد كثيراً من الناس في الخير، عجبت لرجل يأتيه أخوه في حاجة، فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كنّا لا نرجو جنة، ولا نخاف ناراً، ولا ننتظر ثواباً، ولا نخشى عقاباً، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق، فإنها تدل على سبيل النجاح ».

وأحب هنا أن أجلي (العطاء) بأجمل صورة، كما في قصة (ابن المبارك):

إذ قال عن نفسه: (كنت ولعاً بحج بيت الله الحرام شديد المداومة في كل عام.. ففي بعض السنين لما قرب الحج تأهبت له فقمت وشددت على وسطي كيساً فيه خمسمائة دينار، وخرجت إلى السوق لأشتري إبلاً للحج، فلم يقع في يدي ما يصلح للطريق، فرجعت إلى منزلي فرأيت في الطريق امرأة جالسة على مزبلة وقد أخذت دجاجة ميتة وهي تنتف ريشها من حيث لا يشعر بها أحد.

فوقفت قريباً منها وقلت لم تفعلين هذا يا أمة الله ؟ فقالت: امض لشأنك واتركني، فقلت: سألتك بالله إلا ما أعلمتيني بحالك، فقالت: اعلم أنني امرأة علوية[1] ولي ثلاث بنات صغار وقد مات قيمنا، ولنا ثلاث ليال بأيامهن على الطوى لم نطعم شيئاً، وقد خرجت عن بناتي وهن يتضورن جوعاً لألتمس لهن شيئاً فلم يقع بيدي غير هذه الدجاجة الميتة فأردت إصلاحها فقد حلّت[2] لنا الميتة، فلما سمعت ما

قالت وقف شعري واقشعر جلدي، وقلت في نفسي يا (ابن المبارك) أي حجٍّ أعظمُ من

(١) أي: من نسل عليٍّ رضي الله عنه.

(٢) أي: أصبحت (حلالاً)؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾ (النحل: من الآية١١٥).

هذا.. فقلت لها أيتها العلوية..، إن هذه الدجاجة حَرُمت عليك، افتحي حجرك حتى أعطيك شيئاً من النفقة، ثم حللت الكيس وصببت الدنانير في حجرها بأجمعها، فقامت مسرورة ثم دعت لي بخير، فرجعت إلى منزلي ونزع الله إرادة الحج من قلبي، فلزمت منزلي واشتغلت بالعبادة، وخرجت القافلة إلى الحج..

فلما قدم الحجاج من مكة خرجت للقاء الإخوان فصافحتهم فكنت لم ألق أحداً ممن يعرفني إلا وهو يقول لي يا ابن المبارك ألم تكن معنا؟!، ألم نشاهدك في موضع كذا وموقف كذا؟ فتعجبت من ذلك.

فلما رجعت إلى منزلي وبت تلك الليلة رأيت في منامي رسول الله ﷺ وهو يقول: « يا ابن المبارك.. إنك لما أعطيت الدنانير لابنتنا وفرجت كربتها وأصلحت شأنها وشأن أيتامها.. بعث الله تعالى مَلَكاً في صورتك يحج عنك في كل عام ويجعل ثواب الحج لك إلى يوم القيامة فما عليك أن حججت أو لم تحج، فإن ذلك الملَك لا يترك الحج عنك إلى يوم القيامة ». فانتبهت من نومي وأنا أحمد الله تعالى على هذا التوفيق).

الصـــورة

ولأن (جمال القلوب بطهارتها، وجمال الأعمال بصدقها، وجمال الإنسان بحسن أخلاقه، وكمال إيمانه)..

وليس بجمال الصورة بالذي يجذب المودة، ويقرب الألفة:

يقول محمد بن داود الظاهري:

وما الحب من حُسنٍ ولا من تجمّل ولكنه شيء به القلب يخفق

ومن آراء الحكماء في الجمال، وتذكر نعمة الله على الإنسان، وما روى لبعضهم بقوله: (ينبغي للعبد أن ينظر كل يوم في المرآة، فإن رأى صورته حسنة.. لم يشنها بقبيح فعله، وإن رآها قبيحة.. لم يجمع بين قبح الصورة وقبح الفعل!) والعكس صحيح:

جمال الوجه مع قبح النفوسِ كقنديل على قبر المجوسي

أي أن الجمال الباطن، أحسن من الجمال الظاهر، وأن القلوب لا تنفك عن تبجيل صاحبه ومحبته، والميل إليه، ذلك أن تعاليم الإسلام، تدعو إلى الاتصاف بالمحامد والمحاسن خُلقاً وتخلّقاً، فكانت الصفات والطبائع الجميلة تجذب إليها وتطمئن النفوس بها..

ومن ذلك.. حسن التعامل، ودماثة الخلق، الذي انجذبت به أمم كثيرة إلى الإسلام، لأنها أي (تعاليم ديننا) جميلة تأسر في نتائجها، فانجذبت لها قلوب، كانت تبحث عن شيء مفقود، برز أمامهم من صفات أهل الإيمان الصادق، فأحبوا ديناً جميلاً، يطبع أتباعه بصفات الجمال المتعددة.

وهذا يَبرز في كل موضع على الأرض لم تصله جيوش المسلمين، بل سبق فضائل الإسلام وتعاليمه الخيّرة.. ما رغّب إليه الأفئدة.

قال ابن القيم في (روضة المحبين) عن الجمال الظاهر :

بـ «إنه قرينة خاصة بها بعض الصور عن بعض، وزينة هي من زيادة الخلق، التي

قال الله فيها: ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ [فاطر: ١] ».

أو.. كما قالوا: هو الصوت الحسن والصورة الحسنة، والقلوب كالمطبوعة على محبته، كما هي مفطورة على استحسانه -

وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: {لا يدخل الجنة، من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر} .. قالوا: يا رسول الله، الرجل يحب أن تكون نعله حسنة، وثوبه حسناً، أفذلك من الكِبر؟ فقال ﷺ : {لا.. إن الله جميل يحب الجمال، الكِبر بطر الحق وغمط الناس}[1].

فبطر الحق مع جحده، ودفعه بعد معرفته، وغمط الناس النظر إليهم بعين الازدراء، والاحتقار والاستصغار لهم.. فإن هذه الأعمال تحوّل الجمال إلى قبح وتذهب بهاء الجمال منها.. لكن إذا كان شيء من ذلك لله سبحانه. وغيرةً على دينه، واحتراماً لشُعبه[2]، فإنها تكون جميلة بمظهرها ومخبرها.

(١) أخرجه مسلم ٩١.. وحتى قيل: « كل واشرب والبس ما أخطأتك خصلتان، سرف ومخيلة ».

(٢) التي عناها الحديث {الإيمان بضع وسبعون شعبة.. الخ}.

الهـــــوى

وهو (العشق)، فهل خامرك يوماً، فعلّم بك.. ولم تنل منه وصالاً، وانقطع عنك إلا أثره، فأنت تعيس بما ترك، أو حفربك من أثر أو آثار لا زالت عالقة تُشجيك كلَّ ما هب لها ذكرى في سناء أيامك، أو سليت، إذا فـالقى عـلى شرره في قلبـك هـذا (المـاء)

البارد، كي يخمد.. بالتالي[1]:

١- الوقاية خير من العلاج، هكذا يقول الأطباء، ومن قبل ديننا الحنيف الذي ما من خير إلاّ ودلنا عليه، ولا شرّ إلا وحذّرنا منه.

٢- التفكير في العواقب وهذا ما يفرق الإنسان عن الحيوان.. أكرمكم الله.

٣- الوصال الحلال.. الزواج [2].

٤- اليأس، والبعد.. فـ { ومن يستعفف يعفه الله } رواه البخاري.

صرف العواطف، والقوى والطاقات.. إلى ما هو أعلى وأسمى كمحبة الله _ كما تقدم _

والزلفى إليه بالطاعة، والصلاة، والصوم، والذكر، والقرآن، وصحبة الأخيار، وكثرة الدعاء، والتضرع، والانهماك بمعالي الأمور، والانشغال الدائب بما ينفع المرء ديناً ودنيا، والاشتغال بما يصرف طاقة الشباب إلى خير الدنيا والآخرة، كما قال الله عز

(١) من مادة (دواء الحب) لـ (د. سلمان بن فهد العودة).

(٢) ولهذا روى ابن ماجه (١٨٤٧)، والحاكم (٢٧٢٤) وغيرهما وسنده جيد عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « لم نر للمتحابّين مثل النكاح ».

وجل ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]

فإن القلب المملوء بهموم الأمة وهموم الناس قد يخفف بالحب، ولكنه لا يقع في أسره.

أما القلوب الفارغة، فهي التي تصبح نهباً لكل طارئ وطارق، وتقول له: هيت لك!

أو في النظر في علو الهمة .. وما تحتاج النفس لبلوغها.

فاستثمر حياتك في: عمل جاد، أو تفكير سليم، أو إبداع نافع، أو قربة صالحة.

.. وبعدها وعلى هذا ملاحظ:

الحب في الكبر (ما قبل الهرم) كالحريق في المباني القديمة سرعان ما يأتي على كل شيء.

.. ثم إنه خليط في النفس بين جماله الرغبة أبداً بلقائه.

.. وكذا جمال الحياة، وحسن روحها – وهي مزرعة الآخرة – وقد وصفها الرسول ﷺ بـ {حلوة خضرة[1]} ..

أما المتنبي.. فله تفننه – في هذا.. التعبير –:

(١) المستدرك للحاكم: ٤/ ٧٦.

ولذيـــذ الحيـــاة أنفـــس في النـــف ـــــس مـــن أن يُمـــلَّ وأحلـــى

وإذا الـــشيخ قـــال أفٍّ فمـــا مـــلّ الحيـــاة.. ولكـــن الـــشيب مـــلا

وقال أبو القاسم الشابي بعد موت أبيه – في قصيدته «الاعتراف»:

مـا كنـت أحـسب بعـد موتـك يـاأبي: – ومـــشاعري عميـــاء بـــالأحزان–

أنـــي ســـأظما للحيـــاة، وأحتـــسي مـــن نهرهـــا المتـــوهج النـــشوان

وأعـــود للـــدنيا بقلـــب خـــافق للحـــب والأفـــراح، والألحـــان

.. وإذا التـــشاؤم بالحيـــاة ورفـــضها .. ضـــربٌ مـــن البهتـــان.. والهـــذيان

و.. دخل الخليفة الأموي (الوليد بن عبد الملك) رحمه الله المسجد. فرأى شيخاً هد كيانه الزمن، وأحنى ظهره الكبر، فاقترب منه وقال له مداعباً: ألا تؤثر الموت يا شيخ ؟

قال الرجل: لا يا أمير المؤمنين، لقد ذهب الشباب وشرُّه، وأتى الكبر وخيره، وأنا إذا قمت الآن حمدت الله وإذا قعدت ذكرته.. وأحب أن تدوم لي هاتان الخلتان[1].

(١) من هامش كتابي ديوان البيان ص ٤٠٨.

الصداقـــة

.. ومن بهاء الحياة (الصداقة).. وحسن اختيار الصديق[1].

مـــن لم يكـــن ذا صـــديقٍ يفـــضي إليـــه بـــسرهْ

ويـــــــستريح إليـــــــه في خـــــير أمـــــرٍ وشـــــرهْ
فلـــــيس يعـــــرف طعمـــــاً لحلـــــو عـــــيشٍ ومـــــرهْ

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله: أيُ جلسائنا خير ؟ قال: (من ذكّركم الله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، وذكركم في الآخرة عمله). رواه أبو يعلى.

و.. لهذا قال عليٌّ رضي الله عنه [٢]:

(لا تؤاخِ الفاجر، فإنه يزيِّن لك فعله، ويحب لو أنك مثله، فتأخذ أسوأ خصاله، ومدخله عليك ومخرجه من عندك شين وعار.

ولا الأحمق، فإنه يجتهد بنفسه لك ولا ينفعك، وربما أراد أن ينفعك فيضرك، فسكوته خير من نطقه، وبُعده خيرٌ من قربه، وموته خيرٌ من حياته.

ولا الكذاب، فإنه لا ينفعك معه عيشٌ، ينقل حديثك وينقل الحديث إليك،

حتى إنه ليحدث بالصدق فما يُصدَّق).

(١) انظر كتاب الصداقة والصديق، ص٢٤٣.

(٢) كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، ٣/ ٩٠.

وقد تحدث الإمام الماوردي[1] عن أقسام الأصدقاء بحسب ما يقدمونه من عون لمن صاحبهم، وما يطلبون مقابله من استعانة، فذكر (أن الأصدقاء أربعة:

١- منهم من يُعين ويستعين.

٢- ومنهم من لا يعين ولا يستعين.

٣- ومنهم من يستعين ولا يعين.

٤- ومنهم من يعين ولا يستعين.

فأما القسم الأول: الذي يعين ويستعين فهو مُعاوض منصف – يؤدي ما عليه ويستوفي ما له –.

وأما القسم الثاني: الذي لا يعين ولا يستعين فهو متروك، - أي لا صديق يرجى ولا عدو يخشى –.

وأما القسم الثالث: الذي يستعين ولا يعين فهو لئيم مهين – فلا خيره يرجى ولا شره يؤمن!.

والقسم الرابع: هو الذي يُعين ولا يستعين، فهو كريم الطبع مشكور الصنع، - أي: حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء –).

قال الفار وق رضي الله عنه: (لم يُعط أحد بعد الإسلام .. خيرا من أخ في الله).

وقد أوجز الفرزدق:

(١) في (أدب الدين والدنيا) ص١٧٢.

يمـضي أخـوك فـلا تلقـى لـه خلفـاً والمـال بعـد ذهـاب المـال مكتـسب

.. وكما تقدم قول أكثم بن صيفي: (الانقباض من الناس مكسبة للعداوة، وإفراط الأنس بالناس مكسبة لقرناء السوء).

قال بشار بن برد:

إذا كنـــت في كـــل الأمـــور معاتبـــاً صـــديقك.. لم تلـــق الـــذي لا تعاتبـــه

فعـــش واحـــداً أو صـــل أخـــاك فإنـــه مقـــارف ذنـــب مـــرة ومجانبـــه

إذا أنت لم تـشرب مـراراً علـى القـذى ظمئـت وأي النـاس تـصفو مـشاربه!

حُسن الأخلاق(*)

بمعنى:

إنمـــــا للنـــــاس منـــــا حـــــسن خلـــــق ومـــــزاح

...ولنـــــا مـــــا كـــــان فينـــــا مـــــن فـــــساد وصـــــلاح

هو مما تتعوده النفوس، بالدربة والتمرين:

فـ../ (حُسن الخلق) : هبة من الله سبحانه وتعالى، واستعداد نفسي، تركّزه تعاليم الدين، وتؤصله بعض المصالح التي ترجوها النفس البشرية، فعند المسلم، نجد القرآن الكريم، والسنة المطهرة تؤكدان على مكانة حُسن الخلق، وتدعوان إلى التطبع بأمور يؤجر عليها الإنسان، وبجزاء من عند الله، وبمنزلة تتوق إليها النفوس..

قال حسن آل شيخ رحمه الله: « لا تطلب من أحد أن يحبك، بل اجعله يحبك »

أي: بأفعالك وخصالك الحسنة.. تؤثّر به.

ومطيته (الصبر والتحمل):

صن النفس واحملها على ما يزينها تعش سالماً والقول فيك جميل

وهذا ما يوجه إليه كتاب الله، وتحث على التحلي به سنة رسول الله ﷺ، أما نتائج علمي النفس والاجتماع، فيدعو إليها علماء ماديون، قاصرة مداركهم، ولا يؤمنون بالإسلام ولا بتعاليمه.. ولا يحسّون بطعم النتائج التي يجدها من تحلى (بحسن الخلق)

(*) جمع مقتطفات ل (د. محمد الشويعر) الجزيرة عدد ٩١٩٩.

تعبّداً وامتثالاً، وترك ضده تقرّباً إلى الله، ورغبة فيما وعد به المخلصين.

و.. تأكيد هذا ما جاء في الأثر، (إنكم لن تسعوا الناس بأرزاقكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه، وحسن الخلق)[1].

و.. تلك الصفة الرفيعة الجليلة التي وصف الله بها الرسول ﷺ وكساها إياه حلة زاهية تشعُّ نوراً لمتبعي هدية والآخذين بسنته..

إذ مدح الله صفوة الخلق وسيد ولد آدم، محمداً ﷺ، بكمال الخلق وحسنه فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].

..ذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، لما رأى حسن الخلق، وجميل الصبر والتحمل، ولطافة المعشر من رسول الله ﷺ، قال له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله. من أدّبك ؟ أي علّمك لأنه ﷺ عاش يتمياً فقيراً كما جاء في سورة (الضحى) ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ -، فقال له النبي ﷺ: (أدّبني ربي فأحسن تأديبي)[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها – حين سُألت عن خُلق النبي عليه الصلاة والسلام-: (كان خلقه القرآن).

.. وقال منذ القدم (عمرو بن معدي كرب الزبيدي):

ليس الجمال بمئزر فاعلم وإن رُدِّيت برداً

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ذكره المناوي في (فيض القدير) وقال: معناه صحيح، لكنه لم يأت من طريق صحيح.

إن الجمال معادن ومناقب أورثن حمداً

وللإمام محمد بن الحسين الآجري – ت٣٦٠هـ- كتاب نفيس[1] أسماه (أخلاق العلماء)، وأقتطف منه ما يقول - في أخلاق وصفات أحد العلماء – ص٧١/ ٧٢:

(قد أقام الأصحاب مقام ثلاثة: إما رجل يتعلم منه خيراً إن كان أعلم منه، أو رجل هو مثله في العلم فيذكّره لئلا ينسى ما لا ينبغي أن ينساه، أو رجل هو أعلم منه فيعلمه ما يريد الله عز وجل بتعليمه إياه).

وقال: (فإذا نشر الله له أي: ذلك الفاضل : الذكر عند المؤمنين لأنه من أهل العلم، واحتاج الناس إلى ما عنده من العلم ألزم نفسه التواضع للعالم وغير العالم..

فأما تواضعه لمن هو مثله في العلم، فإنها محبة تنبت له في قلوبهم، وأحبوا قربه، وإذا غاب عنهم حنّت إليه قلوبهم، وأما تواضعه لمن هو دونه في العلم، فشرف العلم له

عند الله وعند أولي الألباب، وكان من صفته في علمه، وصدقه، وحسن إرادته يريد الله[٢] بعلمه.. الخ).

وقال ص٥٢: (أما أخلاقه مع مجالسيه فصبور على من كان ذهنه بطيئاً عن الفهم حتى يفهم عنه، صبور على جفاء من جهل عليه حتى يرده بحلم).

---

(١)وهو واحد من كتب كثيرة كريمة تقف على أخلاق وآداب العقلاء الأفذاذ الكبار.

(٢) .. أي: خالصاً لوجه الله تعالى.

ثم يقول في ص٧١: (كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في

تخشعه وبصره ولسانه ويده وزهده، وأن كان الرجل ليطلب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيراً له من الدنيا وما فيها - لو كانت له - فجعلها في الآخرة).

ثم يذكر نموذجاً ص٧٤ أخبرنا مطر الوراق قال: « سألت الحسن عن مسألة فقال فيها، فقلت يا أبا سعيد يأبى عليك الفقهاء ويخالفونك.

فقال: ثكلتك أمك مطر، وهل رأيت فقيهاً قط ؟!، وهل تدري ما الفقيه؟

الفقيه: الورع الزاهد، لا يسخر ممن أسفل منه، ولا يهمز من فوقه، ولا يأخذ على الله حطاماً، من ضرر بالغٍ في بدنه أو دنياه، أو حاله التي هو عليها».

التسامـــح

أو .. (إذا ملكت فأسجح[1])،

وديننا الحنيف يحضُّ على السماحة، لأن قدوتنا وحبيبنا ﷺ كـان سـمحاً فـ (ما خُيِّرَ بين أمرين.. إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإذا كان إثماً.. كان أبعد الناس عنه) – كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها –.

و.. بعض الناس (سمح) لا يهمه أن يتقاضى حقه كله تطبيقاً لحديث رسـول الله ﷺ (رحم الله عبداً سمحاً إذا بـاع، سـمحاً إذا اشـترى، سـمحاً إذا قـضى، سـمحاً إذا اقتضى)[2].

بل.. ويتغاضى عن كثير من الأمور ويتغابى أحياناً كما يقول أبو تمام :

لـــيس الغـــبي بـــسيد في قومـــه لكـــن ســـيد قومـــه المتغـــابي

وفي مجمل الأمر فإن كانت نفسه سمحة سهلة، فلا يـدقق كثـيراً، أو يفـتش فـيما خلف العبارات من لمز أو همز.. أو غيره، ولا تذهب نفسه حسرات إثر ما يقال.. بـل يعتبرها (زلة) أو مفردة غير مقصودة، - وإن كانت غير ذلك - وهكذا.

وكذا.. فـ: لا يقف على المحبة وحدها، بل لا بد أن تتبعها (روح التـسامح) بـين الزوجين، - كما تقول أمينة السعيد -

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٤/ ٤٨ . وكتاب «التسامح.. أعظم علاج على الإطلاق» يعمل على تعليم كيفية التسامح وبيان فوائده وثماره الطيبة.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري ٢٠٧٦.

فـ.. لا نكل ولا نمل أن نقول عنه: هو.. خلق إسلامي رفيع، به يرتقي الإنسان إلى مصاف « العافين عن الناس» ويكفي في الترغيب فيه أن جعله ديننا سبباً من أسباب دخول الجنة، وقمين بمن يتّشح سربال الأخلاق.. التحلّي بمثل هذا.. (العنوان الكبير) لها، وهو: (العفو)، وذاك في ترك الحال.. للزمن الذي سيحل جميع المشاكل كما يُقال!

وصدق الله العظيم.. الكريم، حين يعلمنا.. بـ ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

.. مثلاً لا على سبيل الحصر:

حسن الخلق: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة؟

فقال: { تقوى الله وحسن الخلق[1] }.

الصدق: { عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة[2] }

كظم الغيظ: { من كظم غيظاً وهو قادر على أن يُنفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء[3] }.

كفارة المجلس: { من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه؟ فقال قبل أن يقوم من

---

(١) الترمذي (٢٠٠٣).

(٢) البخاري (١٠/ ٤٢٣) مسلم (٢٦٠٧).

(٣) الترمذي (٢٠٢٢).

مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشـهد أن لا إلـه إلا أنـت أسـتغفرك وأتـوب إليك، إلا غُفر له ماكان في مجلسه ذلك [1]} .

الصبر: { ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه[2] } .

السلام: { لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم[3] } .

صلاةُ ركعتين بعد فعل الذنوب: {ما من عبد يذنب ذنباً، فيُحسن الطهـور ثـم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غَفر له[4] } .

صلاة الليل: {أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل[5]} .

والتسامح لن يأتي إلا بتبادل حسن الظن والثقة بين الطرفين - أولاً -، أيضاً.. أسمى من (السماحة).. التودد، الذي هو (بمثابة) امتصاصٍ لنفرة الغير عنك..، وقد قيل في الحكم: (التودد إلى الناس نصف العقل).

قال أحمد شوقي:

---

(١) الترمذي (٣/ ١٥٣)

(٢) البخاري (١٠/ ٩١).

(٣) مسلم (٥٤).

(٤) أبو داوود (١٥٢١).

(٥) مسلم (١١٦٣).

رزقت أسمح ما في الناس من خلق إذا رزقت التماس العذر في الشيم

وارع انتباهك إلى هذا المعنى الجميل :

(بعض الناس ينشرون السعادة والمرح أينما ذهبوا.. وبعضهم يتركونها وراءهم إذا ذهبوا).

.. ومنه الألفة والبذل ولين الجانب، كما يصف الرسول ﷺ: (المؤمن): {يألف ويُؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس}[1].

وإن جاز لي أن أضيف شيئاً فأقول:

وهي ليست في البيع والشراء – كما.. قد يظن البعض – بل بعموم (العلاقات)، وأسبابها[2].. يروى عن يونس النحوي قوله: (لا تعادين أحداً وإن ظننت أنه لا يضرك، ولا تزهدن في صداقة أحد وإن ظننت أنه لا ينفعك، فإنك لا تدري متى تخاف

عدوك وترجو صديقك).

ويسبق هذا قول سيدنا علي ﷺ - في التوازن -:

(أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون صديقك يوماً ما).

وتجد على الطرف الآخر/ من لا يعرف السماحة ولا يتغاضى عن حقوقه بمقدار

---

(١) أخرجه بنحوه الإمام أحمد في مسنده (٨٩٤٥).

(٢) قال إنشتاين (يظن البعض أن العلاقات الإنسانية فصل من فصول الإدارة، بل هي الإدارة كلها).

ذرة، وهو في جهادٍ مع الناس ومع المواقف المختلفة للاستقصاء والحصول على حقه – وربما غير حقه – وهو قلما يرضا.. ولا يدرك أنه بهذا، يقدم مقابله أغلى ما يملك – كما تقدم – من أعصابه وتوتر وآلام تهد جسده.. دون أن يشعر!.

لهذا.. فمن الطبيعي أن الإنسان السمح أقرب إلى رضا النفس وهدوء البال والبعد عن القلق، كما أنه أقرب إلى قلوب الناس وأجدر بحبهم، وأبواب النجاح تفتح أمامه أكثر من ذلك الذي يعتبر نفسه في حرب دائمة مع عباد الله، وفوق ذلك يحلل الكلمات والمواقف ويبحث فيها عن المقاصد الخبيثة، فيجلب القلق لنفسه من كل سبيل، ويكرهه الناس ويتحاشونه ويوصدون أمامه أبواب النجاح.

العفـــــو

لتعلم أن الله جعل لكل شيء أجراً محدوداً ولكن العفو جعل أجره عليـه، يقـول الحق عز وجل: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾[الـشورى:٤٠]، وإذا وقع الأجر على الله

فيكون الأجر كبيراً جداً، فمهما نتوقع فأجر العفو على الله سيكون أكبر من المتوقع؛ لأن الله هو الذي قال ذلك، فكم من بركة وكم من أجر للعافين.

ويقول الرسول ﷺ : { والذي نفسي بيده ما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً [1] } .

فمن غَفَر يُغفر له، ومن عفا يُعفَ عنه، وهذه فرصة سانحة لأن ينادي الحق عز وجل يقوم القيامة ويقول: (أين العافون عن الناس، لأن لهم منزلة كبيرة يوم القيامة).

وهناك آية تقول: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٣٤]، قال أهل العلم: إن العفو والمسامحة يمران بثلاث مراحل: الإحسان والكظم والعفو، والمقصود بالثلاث مراحل أن بعض الناس من الممكن أن يقوم بمرحلة ولا يأتي بالثانية أو الثالثة، فهناك من يكظم غيظه ولا يستطيع العفو، وهكذا العفو عن الناس من أرقى المراتب وأرفعها.

ومن أروع القصص ما حدث في عفو (مكة) الشهير، أي بعد دخوله مكة

وفتحها، ووقف الجميع من أهل مكة يتوقعون أن تقطع رؤوسهم، وكان من بينهم أبو سفيان والكثير من زعماء قريش أرادوا الهروب من وجه جيش رسول الله ﷺ توقعاً

(١) رواه البخاري: ٢٥٨٨ .

للأذى، ولكن سيدنا علي ﷺ يقول لهم: (أنتم لا تعرفون محمداً ﷺ، إنه خير من يعفو)..

وأبو سفيان ذهب للرسول ﷺ في فتح مكة وسلم عليه، ورد الرسول الكريم

تحيته وقال له الرسول من ضمن أقواله: « لا تثريب عليكم اليوم » ويبكي أبـو سـفيان ويقول: ما أبرَّك ما أرحمك ما أوصلك.

و.. إن للعفو أشكالاً مختلفة، فأحد الصحابة الكرام في إحدى الغـزوات لم يجـد شيئاً يتصدق به أو يخرج به مع الغزوة فماذا فعل، أخذ يدعو الله ويقول: يا الله إني أعفـو عن كل من أساء إلي في مالي أو نفسي أو سبَّني أو شتمني أو خاض في عرضي.

الأســـــرة

كذلك من السعادة: الزوجة والأبناء والمال كوسيلة للسعادة كما قال تعالى ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦].

وتبنى على: مودة/ ورحمة/ ومعروف/ وإحسان.

وحسنٌ وصف (عبد الله الجعيثن) لهم.. بهذا:

« أحبهم لأنني أحب نفسي، وهم بعض نفسي، بل إنهم عندي لخير ما في نفسي، هم عصارة قلبي، وحشاشة كبدي، وأجمل ما يترقرق في صدري.

أحبهم لأنهم أول من يعينني في ضعفي، ويرفه عني في شيخوختي، ويواسيني في علتي، ويتلقى في العزاء إذا حم القضاء ».

وحقاً.. « ليس في الـدنيا فـرح يعـادل فـرح الأم عنـدما يحـالف ابنهـا أو ابنتهـا التوفيق».

وهو الذي يصفه (حسان باشا):

(.. والبيت السعيد هو ذلك البيت الذي لا خصام فيه ولا نزاع..!

الذي لا يسمع فيه الكلام اللاذع القاسي، ولا النقد المرير. هو البيت الذي يأوي إليه أفراد الأسرة فيجدون فيه الراحة والهدوء والطمأنينة.

فالسعادة الزوجية أشبه بقرص من العسل تبنيه نحلتـان، وكلـما زاد الجهـد فيـه زادت حلاوة الشهد فيه).

..قال بعضهم: إن الرجل لا يسكن إلى شيء كسكونه إلى زوجته الموافقة المؤاتية لأن الله عـز اسـمه يقـول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١].

وقيل: ما أفاد رجل بعد الإسلام خير من امرأة ذات دين، تسرّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها وتحفظه في نفسها وماله إذا غاب عنها.

وورد عن النبي ﷺ {حُبب إليّ من دنياكم ثلاث: النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة}[1].

لكن الحياة تحتاج إلى (تعاون) يقيم ركنها ، لأنه عامل رئيسي في تهيئة البيت السعيد، وبغيره تضعف قيم المحبة والتسامح- والتعاون يكون أدبياً ومادياً.

وعلى هذا نذكر أهم ما يعكر صفو هذه العلاقة (الحميمة) ألا وهو: (الاختلاف) الذي هو رأس مشاكل (الزوج) ولهذا نعرضه ونعرض له/

ولكي يكون (الاختلاف الصحي): يجب اتباع هذه الخطوات -على الطرفين-:

١- الموضوعية – وهو سلاح علمي .. أي: العدل.

-بمعنى (ذكر الحسنات مع المساوئ) التي على الطرف الآخر-

ثم يحبذ.. تقويم المحاسن.. كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

---

(١) أخرجه النسائي ٣٩٣٩.

فـ.. المشكلة لا تحل بنفسها .. أو كما قيل الـزمن يحـل كـل المـشاكل – بـل هـي (ملف).. يؤجل (إن كان صاحبه لصيقاً بك).. فلا بد أن يفتح! النسيان نوعين: نوع لا وعي.. ومنه حديث: {.. رفع عن أمتي الخطأ والنسيان}.. أخرجه ابن ماجه، و نـوع بدوافع فيه (وعي).. أي المقصود وهو ما طُرح تحت مسمى (التغابي).

١- وهنا طرح (عدم الغضب) فإن الغضب: يعطل القدرات العقلية عن العمل.

٢- ضبط مؤشر (النيّة) – أي: - عدم السوء في مقصد الآخـر – وفي الأثـر: (الـتمس لأخيك سبعين عذراً)[١].

٣- التعرف على الأسباب.

٤- النظرة الكلية .. كالزوجة.. مثلاً {إن كَرهتَ منها خُلقاً رضيتَ منها خلقاً آخر}[٢].

٥- الرفق بالمخالف.. - فإنه {ما وافق شيء إلا زانه} كما في الحديث[٣] .

والشاعر يقول في هذا:

إذا ضـــيّقت أمـــراً ضـــاق جـــداً وإن هونـــت مـــا قـــد عـــزّ هانـــا

٦- الدعاء.. للآخر.

٧- الاختلاف بشرف[١].

---

(١) أخرجه البهيقي في الشعب ٦/ ٣٢٣ موقوفاً على جعفر بن محمد.

(٢) أخرجه بنحوه مسلم ١٤٦٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٩٤.

وله نقاط - كما يبسطها (د. ميسرة بن راشد) - حين نختلف ب(الرأي):

أ. عدم افتراض أن الصواب فقط عندي - والخطأ لدى الغير -

ب. عدم الكِبر .. أي ازدراء الآخر -.

ج. الابتسامة عند النقاش .. وحسن الإنصات -.

د. عدم القفز من موضوع لآخر.

ه. .. لا تكن إما معي.. أو ضدي.

و. عدم التعصب للرأي.

ز. تحديد الموضوع.

ح. إياك والمراء[٢].

ثم إن المخطئ أحياناً لا يشعر أنه مخطئ، لذا لا بد أن نزيل الغشاوة عن عينيه ليبصر الخطأ ثم نعالج الخطأ نفسه.

وإن لم نبلغ هذا السمو النبوي.. كما يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (أنه خدم رسول الله ﷺ عشر سنوات ما لامه على شيء قط).

فاستخدم العبارات اللطيفة في إصلاح الخطأ: فمثلاً (حبذا لو فعلت، أو لو

---

(١) وهنا نذكر ما أثر عن الشافعي -رحمه الله- قوله: (ما ناظرت أحداً إلا دعوت -أو إلا تمنيت- أن يُجري الله الحق على لسانه).

(٢) وفي الحديث {أنا ضمين ببيت في الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقاً}. رواه أبو داوود ٤٨٠٠.

فعلت ذلك لكان يستحسن.. وهكذا) وهذا من نهجه ﷺ فقد كان يستخدم مثل هـذا، ففي البخاري أنه ﷺ قال:

{ نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل } .

والسّر في تأثير هذه العبارات: أنها تشعر بتقدير واحترام وجهة نظـر الآخـرين- حتى لو كانت خاطئة-.

وكذا.. الاعتناء بالرفق في معالجة الخطـأ. عـن عائـشة رضي الله عنهـا مرفوعـاً: « إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه » تخريجه.

ثم كي تُحسن (تقدير) الموقف.. حاول أن تضع نفسك موضع المخطئ وفكر من وجهة نظره هو. وهذا منهج الإسلام في العدل والإنصاف.

و.. حتى يتقبل الآخرون تصحيحك الخطأ.. أشعرهم بالإنصاف[1] .. مثلاً : بأن تذكر قبل نقدك جوانب الصواب عندهم.

كقولك.. للمُخطئ:

زعموا أنك فعلت كذا، ولا أظنه يصدر من مثلك، كما قال عمر رضي الله عنه:

{ يا أبا إسحاق زعموا أنك لا تمشي تصلي } .

أيضاً أن لا يبلغ مرتبة (الجدال) في معالجة الأخطاء فهو أكثر وأعمق أثراً من

---

(١) فغير هذا هو من الظلم أيضاً، قال: محمد بن سيرين (ظلمت أخاك إذا ذكرت مساوئه ولم تذكر حسناته).

(النقد) نفسه.

وروى الترمذي قوله ﷺ : { ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل } رواه الترمذي (٢٣٥٣).

وذكر أحمد أنه قيل له: « يا أبا عبد الله الرجل يكون عالماً بالسنة أيجادل عنها؟ قال: لا، ولكن يخبر بالسنة فإن قُبلت وإلا سكت » .

ويخلص الكاتب (فهد الحوشاني) إلى أن:

(معظم مشاكلنا الأسرية تأتي من رتابة إيقاع حياتنا، فالرتابة حوضٌ مياههُ راكدة تسبح بها أسماك الملل وهو أقصر الطرق التي يمكن أن يسلكها المرء ليصل إلى أقبية الكآبة!!

يقول أحد المختصين: غير ما استطعت في برنامجك اليومي أو الأسبوعي مع

نفسك ومع عائلتك، فكثير من مشاكل المتزوجين هو أنهما جميعاً أو أحدهما لا يملك القدرة ولا الرغبة في التغيير).

إذاً عليك كما قيل : بالتجديد وإذابة الجليد، والعين الساهرة.

إذ.. بإمكان الإنسان رجلاً وامرأة أن يقرأ كتاباً، أو يسمع شريطاً؛ حتى يستطيع أن يجدد الحياة الزوجية! وأن يضيف عليها من المعاني، والتنويع في: الملبس والمأكل، والمشرب، والأثاث، والمنزل، وطرق المعاملة، والمعاشرة. ما يجعل الحياة تستمر وتجدّ ولا يتسرب إليها الملل أو السأم.

وكذا قال العارفون بالمكنون:

أو كأنها (بهارات) تضاف إلى هذه الطبخة الجميلة.

وأحسن أيام الهوى يومك الذي تهدد بالتحريش فيه وبالتعب

إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى فأين حلاوات الرسائل والكتب

ومن هنا يعلل أحد الأخصائيين:

بـ (ولو كان بينهم وبين شريكات حياتهم مودة وصداقة لتغيرت أشياء كثيرة ووجدوا من عبير السعادة الزوجية ما يغني عن كثير من الأحلام والأوهام والتخبطات، ولكن مثل هؤلاء قد أفلس عندهم البيت.. والبيت هو بنك السعادة) و.. حتى إن وضعنا له شروطاً -فهي ليست بتعجيزية[1]-.

فالحب/ مثل الشجر إذا ما سقي وروعي، وحُنّ عليه، فإنه يموت، وتجد كثيراً من علاقاتك مع من تحب.. تذبل من الإهمال أو عدم السؤال أوقلة المراعاة وعدم

البحث عن الحبيب.. مما يميت (الحب) في القلب..

وطريفٌ ما ذكره ابن حزم رحمه الله في كتابه (طوق الحمامة):

أن محمد بن عامر، كان يرى الجارية فيحبها، ولا يصبر عنها، ويأتي عليه الهم والغم إلى أن يشتريها، ويتملكها! وبعد أن تصبح ملكاً له تتحول المحبة نفوراً[٢]، ويصبح الأنس شروداً! فيتخلّص منها!! حتى أنه أتلف بذلك مالاً عظيماً.

---

(١).. انظر في كتاب (البيت السعيد وخلاف الزوجين) للشيخ (د.صالح بن حميد).

(٢) .. يعلل الجاحظ : (العاشق إذا ظفر بالمعشوق مرة واحدة .. نقص تسعة أعشار عشقه) .

وكان أديباً نبيلاً، حسن الوجه والصورة، يضرب المثل في حسنه وجماله، وتقف الألفاظ عند وصفه يقول ابن حزم (والعهدة عليه): (ولقد مات من محبته عدد من الجواري بعد أن تسلل الملل إلى علاقته بهن، وأنا أعرف جارية منهن، كانت تسمى عفراء، لا تتستر عن محبته حيثما جلست، وكانت لا تجف دموعها أبداً.

.. أخيراً

هناك من ينصح بتجربة أو شفقة أو أُمنية لم يحققها، فرغب أن يحققها.. بغيره[1] بخاصة ممن يعز عليه

فمثلاً.. الحياة في الأصل جميلة، وإدارتها ما قد تحتاج إلى تعلمه، إن لم تكن ماهراً في ذلك!

إذ إن البعض تستغرقه متاعب العمل وضغوطه، فيجلبها معه إلى المنزل حيث الزوجة والأولاد، أو حتى إذا كان أعزب، متناسياً أنه يضع نفسه في دوامة متواصلة من

الرتابة والملل.

فالحل لهذا المعضل -أو الإجراءات- في اتباع التالي:

١- في طريق العودة إلى البيت، حاول أن تتمشى قليلاً، مثلاً اقصد مكاناً غير مكانك، وإذا كانت معك سيارة تمشّ قليلاً قبل أن تركبها.

---

(١) وهنا ملحظ للدكتور (طارق سويدان) يقول فيه: لا تأخذ رأي أحد فيما تحب أن تتخصص به، فإنه يوعزك أو يدلك إلى ما كان يتمنى.. ولم يحققه.

٢- إذا كانت ظروفك تسمح لك بممارسة نوع من الرياضة قبل الذهاب إلى المنزل فهذا أمر جيد، فبهذه الصورة سوف تشعر بوجود فاصل بين العمل والبيت، كما أن الرياضة تجعلك مقاوماً للإجهاد الذي يسببه العمل.

٣- عندما تصل إلى البيت، البس ثياباً واسعة مريحة ولا تبقى في لباس -أو بدلة- العمل حتى بعد العشاء.

٤- إذا أردت أن تحدث زوجتك أو أسرتك عن مشاكل العمل فيمكنك أن تذكر ذلك بشكل مختصر لكي يتعاطفوا معك، ولكن لا تغرق جو الأسرة بالحديث عن هذه المشاكل حيث أن ذلك سيكهرب الجو، ويتعب علاقتك مع الزوجة بشكل خاص، وإذا كان لديك صديق تثق به فقد يكون من الأنسب أن تبثه هموم العمل.

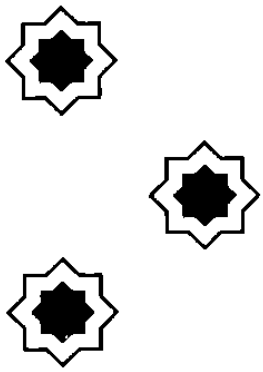

الاعتـذار للآخريـــن

أقـــل ذا (الـــود) عثرتـــه، وقفـــهُ علـــى ســـنن الطريـــق المـــستقيمة
ولا تـــــسرع بمعتبـــــة إليـــــه فقـــد يهفـــو ونيّتـــه ســـليمة

لا تكن لوّاماً للغير ، فإن الله سبحانه وتعالى حين مدح النفس اللوامه.. أي: تلك التي تلوم نفسها على أخطائها وتقصيرها!.. لا لوم الآخرين وكثر عتابهم، فإن البعض قد يكون حصيفاً، لكن يذهل حين يُعاتب[1].. وينسى نفسه فيذهب مذاهب قد لا يستطيع العودة منها، وفي الأثر (ابحث لأخيك عن سبعين عذراً) .

وهاك.. - للاستشراف - بعض هذه الأمثلة:

تلك المرأة التي زنت وهي محصّنة وحملت من الزنى، جاءت إلى النبي ﷺ ليطهرها بإقامة الحد عليها، فما زالت به[2] حتى أقام عليها الحد، ولما بدرت من خالد بن الوليد جملة (سبّها بها)، قال له النبي ﷺ: {تسبها يا خالد!، والله لقد تابت توبةً لو قُسمت على سبعين بيتاً من أهل المدينة لوسعتهم}[3].

وأيضاً هذا المثل الآخر: الصحابي الذي ابتُلي بالخمر وأدمنها، وأتي بها عند رسول الله ﷺ أكثر من مرة شارباً فيضرب ويعاقب.

.. ثم يغلبه إدمانه أو شيطانه، فيعود إلى الشراب، ثم يؤتى به فيضرب ويعاقب..

---

(١) قال كنجلي: (بعض الرجال لديهم جميع المواهب.. ما عدا موهبة استعمالها والانتفاع بها).
(٢) إعترافاً به، أو اعتذاراً عنه!، أي عن الخطأ، والاعتراف بالخطأ فضيلة، بل قيل عنها: أم الفضائل.
(٣) أخرجه مسلم ١٦٩٥.

وهكذا عدة مرات، حتى قال بعض الصحابة وقد جيء به شارباً: ما لـه لعنـه الله ؟ مـا أكثر ما يؤتى به.

وهنا لم يسكت النبي ﷺ عـلى لعـن هـذا المسلم رغـم – مقارفتـه لأم الخبائـث وظهور إصراره عليها وإدمانه لها – وقال للاعنة: {لا تلعنه فإنـه يحـب الله ورسـوله}

وفي رواية: {لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم}[1] فانظر – رحمك الله وإيانا – إلى هذا القلب الكبير الذي وسع هذا الإنسان، وأحسن به الظن–رغم تلطخه بالإثم! –

قبول العذر

أولاً: من خلال الإدراك.. والتذكر أن (الناس) بشر وليسوا ملائكة[2].

ثانياً: أننا أُمرنا أن نحكم على الظاهر، وأن ندع أمر السرائر لمن ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] سبحانه.

ثالثاً: أن كل مؤمن لا يخلو من خيرٍ في أعماقه.

إن (الصديق) في هذا الزمان عملة نادرة وصعبة، ومن وجده فمن الحمق أن يفرط فيه لأتفه سبب أو أدنى عيب..

ثم سلّم أن الناس كلهم عيوب وكلهم أخطاء، أي .. فلست أنت ولا غيرك مبرئين من العيوب .

(١) أخرجه البخاري في نحوه ٦٣٩٩.

(٢) كما قال الشاعر:

ومن يبغِ الصديق بغير عيب سيبقى الدهر ليس له صديق

ولذا نرى (محمد بن حميد الطوسي) بطل.. وقائد معركة (عمورية) ينبه بنيه إلى أفضل الأصحاب وأذكاهم منزلة عندما قال: « أفضل الأصحاب من حضّ الصاحب على المكارم، ونهاه عن ارتكاب المآثم، وحسن لصاحبه أن يجازي الإحسان بضعفه، والإساءة بصفح، أما إذا جازينا من أساء إلينا بمثل ما أساء.. فأين يقع موقع الشكر على النعمة، فيما أتيح من الظفر».

ومن الخطأ أن نضع إبهامنا على طرف الكفة عند حسابنا أخطاء الآخرين؛ وأن نطيل ونفصّل عند حساب صوابنا!!

وفي الأثر: « يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عينه [1]».

قال ابن مفلح:

عجبت لمن يبكي على موت غيره دموعاً.. ولا يبكي على موته دماً

وأعجب من ذا أن يرى عيب غيره عظيماً وفي عينيه عن عيبه عمى

واعلم أن نقيض ذلك.. وهو خلاف الفطرة البشرية وهذا إشكالٌ لدى بعض (المثاليين) البحث عن الكمال في كل شيء حتى في استخلاص القرناء، وهذا ما يجعلهم يُصدمون – حين مُحاكاة الحياة – مع واقع سُنّة الله في خلقه، ثم من المادة (الطين) التي خُلقوا منها مما يُصيّرهم (أولئك المثاليين) فُرادى.. بلا أخلاّء!

يقول (جبران خليل جبران) عن الصداقة والصديق:

(١) انظر السلسلة الصحيحة (٣٣)، وتبييض الصحيفة لمحمد عمرو عبد اللطيف (١/ ١٤٥) (٥٠).

(.. هو مائدتك وموقدك. إن صديقك هو كفاية حاجتك.. هو حقلك الذي تزرعه بالمحبة وتحصده بالشكر.

لأنك تأتي إليه جائعاً، وتسعى وراءه مستدفئاً، هذا هو الصديق وهذه هي الصداقة).

العـــلاج:

حاول معالجة أخطائك، أو سوء طباعك مع الغير لتكسبهم وتنال حظوتهم

وتسعد بهم..، وذاك بالتالي[1]:

١- تجنب اللوم وكثرة العتاب، وذاك أن (اللوم) يحطم كبرياء النفس.

وكما يقول أنس بن مالك ﷺ، أنه (خدم رسول الله ﷺ عشر سنوات ما لامه على شيء قط).

٢- المخطئ أحياناً لا يشعر أنه مُخطئ.. لذا لا بد أن نزيل الغشاوة عن عينيه ليبصر الخطأ ثم نعالج الخطأ نفسه.

تأنّ ولا تعجل بلومك صاحباً لعل له عذراً وأنت تلوم

قالت الكاتبة (سلطانة السديري): « الإنسان الحق هو من يضع نفسه مكان الآخرين، ويقدر ظروفهم ويعاملهم بمثل ما يود أن يعاملوه به لو كان مكانهم ».

(١) .. باختصار للأديب (عبد العزيز الرويشد).

٣- استخدام العبارات اللطيفة في إصلاح الخطأ: فمثلاً حينما نقول للمخطئ « لو فعلت كذا لكان خير لك »، والنبي ﷺ كان يستخدم مثل هذا ، فقد روى مسلم حديثاً مرفوعاً : (لو أعطيتها أخوالك كان أجرك أعظم) .

٤- تجنب الجدال في معالجة الأخطاء فهو أكثر وأعمق أثراً من الجدال نفسه.

ذكر عن أحمد أنه قيل له: « يا أبا عبد الله الرجل يكون عالماً بالسنة أيجادل عنها؟ قال: لا، ولكن يخبر بالسنة فإن قبلت وإلا سكت ».

٥- الاعتناء بالرفق في معالجة الخطأ. عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: { إن الله رفيق

يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه}.

٦- حاول أن تضع نفسك موضع المخطئ وفكر من وجهة نظره هو.

٧- حتى يتقبل الآخرون تصحيحك الخطأ ونقدك.. أشعرهم بالإنصاف، بأن تذكر قبل نقدك جوانب الصواب عندهم.. ففي البخاري أن النبي ﷺ قال: { نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل }. وهذا من منهج الإسلام في العدل والإنصاف.

٨- عندما يبلغك خطأ عن إنسان فتثبت منه واستفسر عنه مع إظهار إحسان الظن به فيشعر بالخجل، وإن هنا الخطأ لا يليق بمثله، فيمكن أن تقول له: زعموا أنك فعلت كذا، ولا أظنه يصدر من مثلك.. كما قال عمر رضي الله عنه: « يا أبا إسحاق زعموا أنك لا تمشي تصلي ».

٩- حاول تصحيح الأخطاء الظاهرة ولا تفتّش عن الأخطاء الخفيـة لتـصلحها، وقـد نهى الإسلام عن تتبـع العـورات فعـن معاويـة ﷺ مرفوعـاً: { إنـك إن تتبعـت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم } .

الابتسامـــة والبشاشـــة

قال أحدهم:

علمتني الحياة أن الابتسامة مفتاح القلوب وعن طريقها نرضي علام الغيوب.

وهي لا تكلف الإنسان شيئاً ولكنها تفعل العجائب:

إذا كـــان الكـــريم عبـــوس وجـــه فمـــا أحلـــى البـــشاشة في البخيـــل

فـــالبعض للأســـف (بخيـــل) – كـــما قـــال مـــروان بـــن أبي حفـــصة حتى في الضحك.. أو الابتسام[1]!

مكـــــشّر لم يبتـــــسم مـــــرة .. قـــد بـــزّ في التكـــشير أقرانـــه

لـــــه فـــــم لكنـــــه موصـــــد لا تنـــــسف النكتـــــة أركانـــــه

يحـــــاذر الـــــضحك وأســـــبابه خـــــشية أن يفقـــــد أســـــنانه

حقاً.. (شحيحة) هي (البسمة) في حياتنا اليوم، حتى ترى الغالبية يرون العالم – على سعته – بنظرة سوداوية، فظهر جيل بل أجيال لا ترى السعادة إلا إذا عبوا من المال عباً، وحازوا الجاه والجمال معاً.. ونعموا بموفور الصحة واستلذوا بنعيم الحب وصاحبتهم الشهرة طوال العمر ولم يفقدوا صفياً أو حبيباً بل وقد أنعم الله عليهم بالأنباء وألبسهم لباس الشهرة والمجد، وبعد.. يا ليتهم قنعوا ورضوا، ولكن تظل

(١) وانظر - إفاضة - كتاب (ابتسم) للدكتور عائض القرني.

سماؤهم كئيبة.. كما قال (أبو ماضي) في رائعته:

قـــال: الـــسماء كئيبـــة وتجهمـــا — قلت: ابتـسم يكفـي الـتجهم في الـسما

قـال الـصبا ولّـى فقلـت لـه: ابتـسم — لـن يرجـع الأسـف الـصبا المنـصرما!

.. قلـت ابتـسم، يكفيـك أنـك لم تـزل — حيـاً ولـست مـن الأحبـة معـدما

فلنبتسم..

أضغاث أحـــلام[1]:

الحيـــاة لا تقـــوم عـــلى الخيـــالات وأحـــلام اليقظـــة التـــي تـــصطدم بقوةٍ مع الواقع!!

وهو مشابه لتذكر (محمود خيتي) – مخاطباً نخلة أفنى لـديها.. مـن جمـال عهـده عمره.. ثم التقاها بعد ضنى البين –:

يـا نخلـة البيـد..لا كـان الهـوى بـدلاً .. لقـد تركـت علـى أحـداقك القُـبلا

جبينـــك البكـــر غَـــشّاني برفعتـــه وحـــضنك الـــسمح ردّ الحـــبّ والأمـــلا

وتربـــك الأسمـــر (النجـــدي) أعرفـــه لقـــد قـــرأت عليـــه الأعـــصر الأولا

شممـت عنـدك مجـداً غـير منـصرف المجـد روحـكِ بـاق فيـكِ مـا انـتقلا

(١) أضغاث الأحلام: هي أحلام الرؤيا التي لا يصح تأويلها لاختلاطها.

كتب (د.. فهد المغلوث):

« من المؤكد أن الحياة ليست كلها "شهر عسل" وأحلام وردية، بل ليست كما نتمنى ونحلم، وهذا واقع لا يمكن إنكاره أو تجاهله، ولكن هذا لا يعني أيضاً أن نزيد من تعاسة الواقع الذي من حولنا ومرارته، ونفاقم من قتامة الصورة التي أمامنا لمجرد أننا نمر بتجربة قاسية أو نعيش ظروفاً صعبة ومؤلمة أو لمجرد أننا فقدنا أو بصدد فقد شيء غالٍ على نفوسنا » .

وأما البشاشة.. فهي في المظهر -المعنوي- النظيف اللطيف المعطر، فإنه ينعش

نفس صاحبه، ويذكّره بنعمة الله ويوحي له بجمال الحياة، ويبعث فيه التفاؤل والانشراح، ويساعده على النجاح والثقة بالنفس.

و.. من ذاك إدخال السرور على الغير..، مثلاً:

ذهب ابن عباس مع صديق له إلى صديق لهما، فقدّم لهما طعاماً فلم يمد صديقه يده إلى الطعام، ولما سأله ابن عباس عما أحجمه، قال: نحن يوم الإثنين وأنا صائم، فقال له ابن عباس: أكلك من الطعام يدخل السرور على قلب أخيك المسلم فرض، وصيامك هذا تطوّع، فتقديم الفرض أولى.

وذاك داعية أن البعض لديه زهد عجيب، قال يزيد بن معاوية لأحد أقاربه مستنكراً: (بلغني أنك اشتريت عمامة بألف درهم؟ فقال هذا: نعم، اشتريتها لأشرفِ أعضائي.. أما أنت فاشتريت جارية بمائة ألف درهم لأخس أعضائك).

اللطف مع الغير:

وأول ما يُرى (اللطف) في الشكر، وإن كان لفظاً، أو (قولاً) باللسان، لكنه له أثرٌ ساحر يدخل إلى القلب فيغطيه حتى لا يدع به مكاناً قاحلاً، وقد مدح الله أهله على لسان رسول الله ﷺ ب: (لا شكر الله من لا يشكر الناس) كما روى الترمذي.

قال (ج. ماسبو): الاعتراف بالجميل هو ذاكرة القلب .

جدّد حياتك:

هل تعلم أن معظم الأشياء تفقد رونقها وألقها فيك، باعتيادك إياها، وجرّب لو

مرة تذهب إلى عملك على الدراجة، أو ما شياً.. أو حتى على الأقل بسلوك طريق آخر غير الذي اعتدت الذهاب منه، فإنك تجد بذلك متعة، وتشتاق بالغد إلى الطريق الأول.. وهكذا..

حتى عبادتك الروحانية ، هي الأخرى أخذت نمطيتها في حياتنا، فـ (الصوم) مثلاً لا يتجاوز عند الغالبية.. مرحلة (تأجيل الأكل والشرب، ساعات قليلة فحسب)!

ودون التحسس به، وإلى الهدف الأسمى منه، والمعنى الكبير لأثره فينا، فكم فينا من رحم مقطوعة، وكم بيننا من كلمة (نصح) ممنوعة وكم لدينا من تجاوزات مرئية ومسموعة.. فإن لم يكن صيامنا كفيلاً بصلتنا.. وهكذا، وإلا فلن يتعدى أن يكون كما تقدم، أو على أحسن الأحوال (مرحلة.. بستره للأكل والشرب.. فحسب.

يا صائماً عافت جوارحه الخنا أبشر برضوان من الديان

عفـــو ومغفـــرة ومـــسكن جنـــة تـــأوي بهـــا مـــن مـــدخل الريـــان

ولك أن تقيس على هذين المثالين.. كل شيء.. لتجدده، وتخرجه عن نمطيته.

(السفـــر):

.. وبعض الناس لا يصلحه إلا الترحال، ولا يكشف عن جواهره إلا التنقل بين البلدان.. فيعم نفعه ويكثر عطاؤه. وفي مثله يصدق قول الشاعر:

وطـول مقـام المـرء في الحـي مخلـق[1] لديباجتيـــه، فـــاغترب تتجـــدد

فـإني رأيـت الـشمس زيـدت محبَّـة إلى النـاس أن ليـست علـيهم بـسرمد

.. ومن شعر الإمام الشافعي –رحمه الله– قوله:

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه ... وانصب فإن لذيذ العيش في النصب[2]

إني رأيت وقوف الماء يفسده ... إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب

والشمس لو وقفت في الفلك دائمة ... لملّها الناس من عجم ومن عرب

ثم إن الحياة ليست بكاملة.. ولا متكاملة – بل الأقدار لها (.. فعلها):

فهون عليك فإن الأمور ... بكف الإله مقاديرها

فليس بآتيك منهيها ... ولا قاصر عنك مأمورها

---

(١) أي: يُبلي غضارته، ويمحو بهجته.

(٢) النصب: أي الكدّ والتعب .. وانظر ما يأتي ص ٢٣١ (٥/ ١)

فـ.. يا فارس الميدان، ليكن عملك خالـصاً لوجـه الله – أولاً.. ولا تبتغـي فيـه محمدة الناس أو حب الانتصار للذات، وإنما جدد النيـة عـلى مـدار الـساعة ف: (إنـما الأعمال بالنيات) ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، جعلني الله وإياك من المخلصين الذين لا يريدون إلا وجهه – جل وعلا –.

ولو ذهبت لسرد حـسان الخـير وشـواهده لطـال المقـام وكثـر الكـلام. وفـيما ذكرت.. تمام والله أحكم وأعلم.

حب الخير.. للغير:

أحـسن إلى النـاس تـستبعد قلـوبهم فطالمـا اسـتعبد الإنـسان إحـسان

وهو مبدأ جليل دعا إليه ديننا الحنيف، وأسدل على صاحبه – بالإضافة للمناقب – الخير الكثير.

يقول الرسول ﷺ: {أحبُ الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على المسلم }[1].

.. وقد أثبت علم النفس الحديث أن إسعاد الآخرين من وسائل قهر الكآبة وإبهاج النفس، وأن الإنسان – حتى لو لم يكن مسروراً ولا سعيداً – يستطيع فعلاً أن يُدخل السرور والسعادة إلى قلوب الآخرين فينعكس ذلك على قلبه سروراً وسعادة،

---

(١) رواه الأصبهاني وابن أبي الدنيا- ملحظ : هذه من الأحاديث التي تؤخذ (على ضعفها).. للخير الذي تدعو إليه، ولتوافقها مع عموم نصوص أخرى، كذا أصّل أهل الحديث-

قد يكون الغني بائساً مكتئباً، ولكنه حين يُساعد أسرة فقيرة ويرى سرورهم[1] ويسمع دعواتهم له، يبتهج بشكل يفوق الوصف.

وقد يكون الإنسان محبطاً، ولكنه حين يغتبط بمواهب الآخرين وكأنها موهبته، ويثني على العاملين المخلصين من أعماق قلبه، ويسمعهم ثناءه.. فإنه يشرق بالمودة والحب وترتاح روحه ويتبخر إحباطه ويحس بجمال الوجود[2].

وكذلك نقل الكلام الطيب الذي قاله فلان في فلان، فإنه مما يسر النفوس، وينشر العطر الاجتماعي، ويقوي العلاقات، ويُصلح ذات البين، ويرسم لناقله صورة محبوبة لدى الناس، - تماماً بعكس النمّام والمغتاب -.

وما سبق هو مؤشر إلى أن النفس تقسو ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة:

٧٤]، وأن النفس تمرض.. بمرض ﴿طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ [الأنبياء: ٤٤]، وتصل إلى الموت بانقطاع الصيرورة.

فالحياة تدفق لا يتوقف! ولكن قد يتعفن الإنسان فيموت – قبل أجله – ويجب أن نفهم الضلال والشقاء كحالة نفسية من موت النفس في الحياة، بتعطيل منافذ الفهم كمصادر تغذية للروح، والإيمان تلك النشوة من الأمل المشرق والنشوة العارمة من معايشة الحياة والناس والتاريخ.

ثم يقول ﷺ : {تهادوا تحابوا } أي : أن الهدية أعظم دافع لكسب الآخرين.

---

(١) وهل أجمل من هذا الاستمتاع.. أن ترى البسمة في تلك الوجوه المعدمة !!.

(٢) .. ونقيض هذا (الحسد) فإنه ينهش القلب.. ويأكله.

وللهدية أو الصدقة وقع عظيم عند الخلق والخالق، وبهما يطفـئ غـضب الـرب وتدفع ميتة السوء، وسأذكر نموذجين على ذلك:

سأل رجل الإمام عبد الله بن المبارك فقال له: يا أبا عبد الرحمن (قرحةٌ) خرجت في ركبتي منذ سبع سنين، وسألت الأطباء، وقد عالجت بأنواع العلاج فلم أنتفع به ؟!

فقال له ابن المبارك: اذهب فانظر موضعاً يحتاج الناس فيه إلى الماء فـاحفر هنـاك بئراً فإني أرجو أن تنبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ.

والثاني .. كما أورده الأديب (أحمد بادويلان): « في غرفة بها ثلاثة أسرة بيـضاء، كان يرقد على السرير الأوسط رجل في غيبوبة تامـة، لا يعـي مـا حولـه حيـث تعلـوه أجهزة

مراقبة التنفس وجس النبض وأنابيب المحاليل الطبية.

وفي كل يوم منذ أكثر من عام ودون انقطاع كانت تزور ذلك الرجل امرأة[1] ومعها صبي في الرابعة عشرة من عمره ينظران إليه بحنان وشفقة ويغيران ملابسه ويتفقدان أحواله ويسألان الطاقم الطبي عنه ولا جديد في الأمر. الحالة كما هي لا تقدم ولا تأخر في صحته. غيبوبة تامة بما يسمى (الموت السريري) وقبل أن تغادر المرأة والصبي يرفعان أكف الضراعة إلى الله ثم يغادرن المستشفى ويعودان مرة أخرى للزيارة الثانية في اليوم نفسه وهكذا دواليك.

---

(١) .. وهي وسيرتها (هنا) نموذج للمرأة الصالحة .. التي تفقه في دينها الصابرة المحتسبة، والواثقة.. في صدق توكل وعظيم اطمئنان إلى قدرة المولى فيما ترجوه.

المرضى وهيئة التمريض في استغراب تام من زيارة المرأة والصبي رغم أنه لا جديد في حياة المريض، ما هذا الإصرار العجيب على تكرار الزيارة مرتين في اليوم رغم أنه لا يعي أي شيء حوله، لكونه في غيبوبة تامة.. كلموها بعدم جدوى زيارتها له ودعوها للزيارة مرة في الأسبوع. وذات يوم، وقبل موعد زيارة المرأة والصبي بوقت قصير تحرك الرجل في سريره وتقلب من جنب إلى جنب آخر ثم فتح عينيه وأبعد جهاز الأكسجين واعتدل في جلسته ثم نادى الممرضة وسط ذهول الحضور وطلب منها أبعاد الأجهزة الطبية المساعدة، فرفضت واستدعت الطبيب الذي كان في حالة ذهول تام، وأجرى فحوصات سريعة له، فوجد الرجل في منتهى الصحة والعافية وطلب إبعاد الأجهزة وتنظيف آثارها في جسده.

وكان موعد الزيارة قد بدأ. ودخلت المرأة والصبي وما أن رأياه حتى اختلطت

الدموع بالابتسامات والبكاء بالدعاء والحمد والثناء لله الـذي أتـم نعمـة العافيـة عـلى زوجها. وهنا قال الطبيب للمرأة: هل توقعت أن تجديه يوماً بهذه الحالة ؟ فقالت: نعم، والله كنت أتوقع أن أدخل عليه يوماً وأجده جالساً بانتظارنا.. فقال لها: إن هناك شـيئاً ما حصل، ليس للمستشفى أو الأطباء دور فيه. فبالله عليك أخبريني لماذا تـأتين يوميـاً مرتين وماذا تفعلين ؟ قالت: بما أن سألتني بالله فأقول لك: كنت أزور زوجـي الزيـارة الأولى للاطمئنان عليه والدعاء له، ثم أذهب أنا وابني إلى الفقراء والمساكين في الأحياء الشعبية ونقـدم لهـم الـصدقات بغيـة التقـرب إلى الله لـشفائه. فلـم يخيـب الله دعائنـا ورجاءنا، فخرجت في آخر زيارة وزوجها معها إلى البيت الـذي طـال انتظـاره لعـودة صاحبه إليه، لتعود البسمة والحبور والفرحة له وإلى أفراد أسرته.

وأنا بدوري أكرر لكم ما أقوله: لا تيئسوا ولكن تلمّسوا الأسباب واجتهدوا في الدعاء والصبر والصلاة وحسبنا حديث أبي أمامة: قوله ﷺ: { داووا مرضاكم بالصدقة } انتهى .

فـ (الصدقة) بابٌ عظيم من أبواب سعة الصدر وانشراح الخاطر:

فإن بذل المعروف يكافئ الله صاحبه في الدنيا بانشراح صدره، وسروره وحُبوره، ونوره وسعة خاطره، ورخاء حاله، فتصدّق ولو بالقليل، ولا تحتقر شيئاً تتصدق به، ولو بشق تمرةً أو.. لقمةً أو جرعة ماء أو مذقة لبن، أهدي للمسكين، وأعط البائس، أطعم الجائع، وزر المرضى، وحينها تجد أن الله سبحانه وتعالى خفف عنك من الهموم والغموم، ومن الأحزان، فـ (الصدقة) دواء لا يوجد إلا في صيدلية الإسلام.

حتى.. أصبحنا ، وكأننا في زمن لا ترتبط ثوانيه بدقائقه ولا دقائقه بساعاته،

وأوشكت أجمل الأشياء على فقد الجمال بعد أن سيطرت المادة على العالم كله.. حتى آل حالنا إلى أن يكون الرصيد (المادي) هو الذي يجعل الإنسان له ثقل ووزن!

كما قال الشاعر:

مـن كـان يملـك درهمـين تعلمـت شـفتاه أنـواع الكـلام فقـالا

إلا ما رحم ربك.. (وقليل ما هم)..، من الذين هم/

أهل النفع: (النفع المتعدي).. لأنهم يرفضون الأنانية والأثرة للنفس.. على الناس، رائدهم.. وشعارهم قول النبي ﷺ {لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب

لنفسه} [1].

أولئك الناجحون.. الناجون بإذن الله من البلاء والعقاب.. ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾، [الأعراف: ١٦٥].

وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول « لا إله إلا الله ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها فقلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: « نعم إذا كثر الخبث» -متفق عليه-.

وختام هذا..، نفرق بين النفع الشخصي من الأعمال الصالحة والنفع المتعدي - إسداء الخير للغير - فإنه من يبقى ذكره بعد موته، ويحيا اسمه بعد ذهابه.. بـ مثل: { صدقة جارية، أو علم ينتفع به } صدق رسول الله ﷺ.

فاعلم - حينها - أنك حين تعمل (الخير).. تؤجل - بإذن الله - زمن (كثرة

الخبث) أسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه. إنه سميع مجيب.

(١) تقدم تخريجه.

الصمـــت

اعلم بدءاً أنه فن[1] – لا يحسنه إلا القلة –

ثانيا: مريح للنفس والروح والقلب – من حمل هم (القيل والقال.. الخ) المذمومة شرعاً.

ثالثاً: قال أحد الحكماء الصالحين (ندمت كثيراً على قولي.. ولم أندم قط على صمتي).

وقال حكيم: (لم يخلق الله أذنين وفماً واحد.. إلا ليتكلم نصف ما يسمع!).

وقيل: (من علامات العاقل حسن سمعه وطول صمته).

قال بعض الحكماء: أول العلم الصمت والثاني حسن الاستماع والعمل به والثالث نشره.

وإليك هذه الأبيات الرائعة:

إن كان يعجبك السكوت فإنه ... قد كان يُعجب قبلك الأخيارا

ولئن ندمت على سكوت مرة ... فلقد ندمت على الكلام مراراً[٢]

إن السكوت سلامة... ، ولربما ... زرع الكلام عداوة وضرارا

(١) قال (ديكنز): (بعض الناس يتكلمون لأنهم أصحاب خبرة وتجربة، وبعضهم لا يتكلمون لكثرة ما لديهم من خبرة وتجربة).

(٢) وانظر كتاب (شعراء قتلهم شعرهم) كأنموذج.

ومن الأدب في هذا .. أيضاً (الستر)، بل قد نهى الإسلام عن تتبع العورات، فعن معاوية رضي الله عنه مرفوعاً «إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم».

بل وأعظمه وقحاً ذاك الذي يخوض في أسراره الخاصة.. مع زوجته.

وقد نهى الرسول ﷺ نهياً جازماً عن نشر أسرار العلاقة ما بين الزوجين، روى

أحمد بن حنبل عن أسماء بنت يزيد: أنها كانت عند الرسول ﷺ والرجال والنساء قعود، فقال: « لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها، فأرم القوم[1] ، فقلت أي والله يا رسول الله، إنهن ليفعلن أو أنهم ليفعلون!، فقال: لا تفعلوا: إنما ذلك شيطان لقي شيطانة في الطريق فغشيها والناس ينظرون » ![2]

وقد فسر بعض المفسرين قوله تعالى: ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء: ٣٤]، على أن المقصود بالحافظات: (هن اللاتي يحفظن ما يجري بينهن وبين أزواجهن مما يجب كتمه ويتحتم ستره من أسرار اللقاء الزوجي).

(١) أي: – صمتوا ولم يجيبوا –

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٣٩.

النسيان أو التغافـــل

وقد مر معنا – بوجه آخر – وهو التغافل عن الغير، أو ترك الفضول في معرفة حالهم أو أحوالهم وقد نهينا عن (قيل وقال) ، وكذلك عن مُتع الدنيا و(الفضول) منها تحديداً فإنه (إشغالٌ..) فحسب.

لكنه هنا بوجه: غض الطرف عن أخطاء الحبيب.. وعدم عتابه.. على كل أوصابه.

وقليلٌ من يجيد فعله، وإلباسه عقله (النابه).

وقال معاوية رضي الله عنه: (العقل مكيال، ثلثه الفطنة، وثلثاه التغافل).

وقال الشاعر - قديماً -:

ليس الغبيّ بسيدٍ في قومه ... لكنّ سيّد القومِ المتغابي

وقال الآخر:

سامح أخاك إذا غلط ... من الإصابة بالغلط

وتجافى عن تعنيفه إن ... زل يوماً أو سقط

وأذكر صنيعك عنده ... .. شكر الصنيعة أو غمط

واعلم بأنك إن أردت ... معاتباً رمت الشطط

من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحُسنى فقط!!

وهذا أدب رفيع التفت إليه أهل السير.. في ذكر محاسن علمائهم.. ومعلميهم في هذا (الخلق) الرفيع.. وصدق قائلهم (عظِّموا أنفسكم بالتغافل)وإن لم يحظ مُحبك بتغافلك، فلا أقل من قبول عذره.

ومن البذل قبول العذر في غير مذلة ولا هوان، لأن العذر عند كرام الناس.. (مقبول).. والمعتذر كريم بتقدمه للاعتذار، والعاذر في قبوله العذر شارب من ذات المعين، وقد منحت الرغوة اللبن الصريح، وبعض القول يذهب في الرياح، وحسبك

أن يقول لك صاحبك: (ملكت فأسجح)[1].

إذ إن بعض الظواهر – لدى القلة – هي (نتوءات) خروجاً عن القاعدة .. والشاذ لا حكم له[2]! –

.. لأن البشر – وهذا سمطهم – يحبون كل ذي خلق كريم، وأي كرم مثل هذا الذي يغفو ويتغافل – ولا يغفل – عن إساءة مسيئتهم.. إن لم تكن متعمَّدة.

ثم إن الاشتغال بتذكر المصائب السابقة ضياع للحاضر، ونسف للساعة الراهنة وتمزيق للنفس والجهد، يقول أحدهم:

(.. حين كنت في العشرين والثلاثين كنت أعدو وأسخط وأتذمر، رغم أنني أستمتع؛ لأنني كنت أجهل سعادتي، أجهل أنني أعيش السعادة فعلاً..

والآن وأنا أجتاز الستين أعلم علم اليقين كم كنت سعيداً جداً وأنا في العشرين

(١) أسجح: أحسن العفو.

(٢) قال العقاد رحمه الله : وجود الشاذ.. دليلٌ على صحة القاعدة.

أو الثلاثين، ولكنه علم جاء بعد فوات الأوان، مجرد ذكريات وذكريات حسرى، لو أدركت ذلك وقتها لعشت غبطة كبرى، ولما وجدت للتذمر والسخط مكاناً في ربيع شبابي الزاهر، ولم أحجب وردة سعادتي المتفتحة فلا أراها إلا الآن.. وأنا ذابل وهي ذابلة، ولك يا قارئي العزيز أقول: إما أن تعيش سعادتك بغبطة وإحساس، وتمتع ناظريك وشمك وجميع حواسك بورودها المتفتحة أمامك، أو تتناساها وتنظر ناحية أخرى نحو ما ينقصك، وتصبح فريسة للضجر والسخط، وعندها انتظر حتى يصبح

هذا الحاضر ماضياً وسوف تبكيه بدمع العين، وسوف ترى كم كنت سعيداً فيه، ولكنك وقتها لم تكن تعرف ولم تكن ترى ولم يبق بين يديك إلا فجيعةٌ بقاياها ذابلة!)[1].

و.. قال الفقيد (حسن آل الشيخ) رحمه الله:

(صوتان لا توطن نفسك لسماعهما: صوت المديح الكاذب، وصوت النقد المغرض الهادم).

لكن هذا قد يصح في الأفراد، أما المجتمع فإن له حالاً آخر قد يفضي التغافل في معظمه إلى إفساده، أو كساد حاله على الأقل

بل هو نوع من الاستسلام الدائم لتبرير الواقع، مما يجعل (الكل) بطلاً في التجاهل واللامبالاة، ولهذا فقد قام بهذه المهمة المخلصون من (الناصحين) والحكماء- لثقل المهمة وتباعاتها المدلهمة.. في الذات المصلحة خاصة – قال المتنبي:

(١) من كتاب (أسعد امرأة في العالم). د. عائض القرني.

وإذا كانـــت النفـــوس كبـــاراً تعبـــت في مرادهـــا الأجـــسام

وقال أبو تمام – مخاطباً بطل عمورية (المعتصم) –:

بـصرت بالراحـة الكـبرى فلـم ترهـا تُنـال.. إلا علـى جـسرٍ مـن التعـب

و.. يقول الشيخ عبد الله العلايلي:

(إن المصلح) قد يخسر نفسه في عصره ولكن ليملك العصور التالية).

فهو.. إضافة لذلك لا بد له من دفع (الثمن) وهو:

اضطرار العالم والمثقف والمصلح أن يجامل -أو يساير- الحاكم، لكي تصل رسالته العلمية أو الثقافية أو الإصلاحية، ولا يُحرم المتلقي جهده في هذا، فهو يدفع ثمن إيصال رسالته.. ولو بكرامته، أو بتر رسالته مما يخالف مصلحة الحاكم، فليس أمامه سوى حالين: إما رسالة ناقصة.. أو تحمل توريةً عن الحاكم - وقد لا يجيد فك رموز توريتها المتلقي العادي -، أو ينكفئ على نفسه كي لا يقدّم تنازلات تمس كرامته أو تُضعف مكنون رسالته، -وأخيراً- توريةً.. تحمل رموزاً قليل من يُحسن من المتلقين.. فهم ما بين سطورها.. وهكذا فهو بين خيارين أحلاهما: مرٌّ.

ويشير لهذا (د. إبراهيم العواجي) بقوله:

(.. من عمري بدأ يوم أعلنت استنكاري للضجيج من حولي، ولم أفلح في تنظيمه وربما يمتد بعد مماتي إن أنا أفلحت في إبداعاتي).

فكثيرون ضحوا من أجل مبادئهم، أو برامجهم الإصلاحية، ولهذا ثمن أفكارهم

وما ودّوا أن يقدموه لصلاح البشر. وآخر مثال (سيد قطب) حين قال: (كلماتنا تظل جثث هامدة حتى إذا متنا في سبيلها.. حييت في القلوب) فالمصلح يخرج من الدنيا ليدخل التاريخ ..، قال أبو تمام :

إني رأيت الكريم الحر ليس له عمر!

(السعادة) .. في الزواج[1]

و.. نأتي (للحبيب) – من القلب قريب – ونقصد به حب القلب (الهوى).

وهذا وإن كان منحاه عريضاً، وجماله في القلب أريضاً، وجلالـه في الـذات أبـداً وميضاً..، فإن له إن كان عفيفاً.. موصلاً إلى طريقه الصحيح: (الزواج) ومرادنا.. وهو السعادة المنشودة.. فيه.

وهذا معنى قوله ﷺ: {خير ما يكتنز الرجل في بيته: امرأة صالحة، إذا نظر إليهـا سرّته، وإن غاب عنها حفظته} (٢).

من هذا.. قال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله : « البنت مهما بلغت من المنزلة والغنى

---

(١) أجل .. لا غنى للفتاة، مهما بلغت عقلاً وشهادة وثقافة، عن الزواج والأطفال.

تقول نجمة السينما (مارلين مونرو): (أحذري المجد!.. أحذري كل من يخدعك بالأضواء.. إنني أتعس امـرأة على هذه الأرض، لم أستطع أن أكون أماً.. إني امرأة أفضل البيت والحياة العائلية على كل شيء.. - حتى قالـت -: إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة.. بل إن هذه الحياة هي رمـز سـعادة المـرأة.. بـل والإنسانية) – وقد أنهت حياتها منتحرة رغم كل أضواء الشهرة والمال والجمال.. عياذاً بالله (اللهم أحـسن لنـا الختام) -.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٦٧.

والشهرة والجاه، لا تجد أملها الأكبر وسعادتها إلا في (الزواج)، أي: في أن تكون زوجة صالحة وأماً موقّرة وربّة بيت، سواء في ذلك الملكـات والأمـيرات، وممـثلات هوليـود ذوات الشهرة والبريق.. » إلخ، والحديث: {امرأة بلا زوج مسكينة}،كافٍ ووافٍ

ثم إن هناك أربع أسس للحياة الزوجية (المودة والرحمة والمعروف والإحسان)

وعلى هذا نذكر النقيض..، أو أهـم مـا يعكّـر صـفو هـذه العلاقـة (الحميمـة)، وأهمها (الخلاف) بل: هو رأس مشاكل (الزوجين)..، ولهذا نعرضه.. أو نعرّض له..، علنا نجد السبيل في تبديد سُحبه:

أولاً- لكي يكون الخلاف صحياً: يجب اتباع هذه الخطوات - على الطرفين -:

١- الموضوعية، وهو سلاح علمي.. أي: العدل.

- بمعنى: اذكر الحسنات مع المساوئ التي على الطرف الآخر، ثم يحبذ.. تقديم المحاسن كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد أتت محاسنه بألف شفيع

٢- ضبط مؤشر النية.. - أي: عدم السوء في مقصد الآخر، وفي الأثر: (التمس لأخيك سبعين عذراً)[1].

٣- التعرف على الأسباب.

٤- النظرة الكلية.. (إن كرهت منها خُلقاً رضيت منها خُلقاً آخر) -كما ورد-.

---

(١) هذا القول (لجعفر بن محمد) كما في شُعب الإيمان للبيهقي ٦/ ٣٢٣.

٥- الرفق بالمخالف.

٦- الاختلاف بشرف.

وله نقاط كما يبسطها (د. ميسرة بن راشد)، بقوله مثلاً:

إذا اختلفنا بالرأي.

أ- عدم افتراض أن الصواب فقط عندي – والخطأ لدى الغير -.

ب- عدم الكِبر .. أي ازدراء الآخر -.

ج- الابتسامة عند النقاش .. وحسن الإنصات -.

د- عدم القفز من موضوع لآخر.

ه- لا تكن إما معي أو ضدي.

و- عدم التعصب للرأي.

ز- تحديد الموضوع.

ح- إياك والمراء.

٧- الدعاء للآخر ، وهو أمر مهم لتمحيص القلب، ومعرفة مواطن الخير فيه الخ.

ومن هذا.. أي (الحب) بين الزوجين عدم طلب المستحيل من الآخر، قالت الأديبة (روان العمار) – تعليقا على أزواج اليوم.. ربما عنت سبب إخفاقها الغير مباشرة -:

« .. عندما تقبل فتياتنا على مرحلة الزواج.. يداهمون الفرح.. ويغتالون عناصر

النجاح.. ويقدمون النصائح على حافة السكين.. كوني كما يريد أن تكوني..

إذا كان يحب الشعر القصير.. أعدمي خصلاتك الناعمة التي صادقت الليل الطويل.. تخفين فيها أحلامك إذا كان يحب الهدوء.. اخفضي صوتك وتحولي إلى نملة، وإذا انفعل.. امتصي لحظات غضبه.. قابلي ثورته العاصفة بهدوء بالغ كشجرة تطأطئ رأسها – لا تملك إلا رعب الريح – وإذا ضحك.. شاركيه الضحك حتى تتقيأ معدتك!

أما إذا حلقت حول أنفه الخرافي ذبابة.. فتحولي إلى طائرة ورقية تطاردها حتى الراية البيضاء.. بهذا تنجح حياتك الزوجية! » .

ختاماً/ جاء في دراسة تمت على (٥٠٠) أسرة، أن السعادة بين الزوجين تتحقق بوجود ثلاث عناصر:

١) تحمل المسؤولية.

٢) التعبير العاطفي.

٣) الاحترام المتبادل.

الابتسامـــــة

هي طريقة ساحرة في كسب القلوب، وإمالتها لصاحبها.

بل هي أقرب وسيلة[١] لكسب العدو -والحاقد والحاسد أيضاً- ولها فعلها القوي على النفوس فـ {لا تحقرن من المعروف.. ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق[٢]} صدق رسول الله ﷺ.. والقائل {ابتسامك في وجه أخيك صدقة}[٣].. بل إن جل باعثها (أي: الابتسامة) هو: الحب الطبيعي[٤]..

و لا خير في الإنسان إذا لم يُحب إخوانه في الله، فقد قال رسول الله ﷺ: { لا تدخلوا

الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم } [٥].

ولقد قال النبي ﷺ: {ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام

---

(١) قال (ريد): الجمال قوّة طاغية سلاحها الفتاك ابتسامة.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٢٦.

(٣) أخرجه ابن حيان ٤٧٤.

(٤) نقصد بالحب (الطبيعي) أي التلقائي، فامرؤ من الناس لا تعرفه ولا يعرفك.. فقط تُحبّه لله أولاً، وثانياً لأنك لم تجد منه سوء، ثالثاً لأنه من بني أبيك آدم – انظر ما تقدم قول سيدنا علي ﷺ .. في هامش (٦) ص ٢٩٨

.. ويقول ديل كارنيجي –مصوراً مجتمعه-: (إن الناس يحبون الكلب أكثر من البقرة التي تقدم لهم اللبن والزبدة، والكلب لا يقدم لهم أي نفع كل ما يقدمه لهم هو الحب، إنه يحرك ذيله سروراً وحباً حين يرى صاحبه قادماً)!.

(٥) أخرجه مسلم ٥٤.

والتأمين}[١].

وبيقين، فاليهود لا يحسدوننا على مجرد تبادل التحية بيننا، لكنهم يحسدوننا على ما هو أبعد من مجرد اللفظ؛ يحسدوننا على السلام النفسي، والهدوء الاجتماعي، ومتانة العلاقة بين المسلمين.

وروى قتادة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾[النور: ٦١]، قال: إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك، وإذا دخلت بيتاً لا أحد فيه فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنه كان يؤمر بذلك، وحدثنا أن الملائكة عليهم السلام تردّ

عليه.

ثم إن لهذه التحية معان ففيها معنى السلام: أنت تسلم مني، من لساني، ومن قلبي، ومن يدي، فلا أعتدي عليك بقول، ولا بفعل، وفيها الدعاء له بالسلامة، وفيها الدعاء له بالرحمة، وفيها الدعاء بالبركة.

هذه المعاني الراقية التي نقولها بألسنتنا علينا أن نحولها إلى منهج في حياتنا، وعلاقاتنا مع الآخرين ، فعن عند الله بن عمر ﵁ أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » أخرجه البخاري ومسلم.

وعن عمار ﵁ قال: « ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان، الإنصاف من نفسك،

---

(١) أخرجه أبو داوود ٤٩١٩.

وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار ».

فعليـك أن تنظـر إلى نفـسك، وتتريـث وتـضعها في مواضـعها قبـل أن تؤاخـذ الآخرين، وتتذكر أن تحية الإسلام هي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته!

الإصـــــلاح

من أجلِّ الأعمال: إصلاح (ذات البين) فـإن مـن أقـرب المـداخل إلى القلـب.. وكسبها، فائتلاف (ذات البين) والذي يعتبر من أعظم الأسباب لتطهير القلوب، وقـد جعلها الله من أعظم الأعمال أجراً ومثوبة، فقد جاء في الحديث: (ألا أخـبركم بأفـضل

من درجة الصيام والصلاة والصدقة، قالوا: بلى، فقال: إصلاح ذات البين)[1]، كما إن إصلاح ذات البين[2] من لوازم التقوى يقول تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

وكان من مواقف فقيد عصرنا الشيخ (عبد العزيز بن باز) – رحمه الله – في حوار مع الشيخ السدحان – أحد تلاميذ الشيخ – يقول: سألت الشيخ عن سبب محبة الناس له، فكأنه لم يرد الإجابة، ولما كررت السؤال، قال: لا أعلم في نفسي غلاً على مسلم، ولم أعلم –وهذا بيت القصيد (هنا) – بين اثنين شحناء إلا سارعت للإصلاح بينهما.

ويقول الرسول ﷺ – وقد تكرر – { إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن بأخلاقكم }.

قضاء حوائج الخلق:

وهو داعم (كبير) لائتلاف القلوب وكسبها، ونيل أوفر الحظ والنصيب منها.

بل هذا حال معظم من يملك قلوب البشر قاطبة، لأن من المحال بلوغ هـذا.. إلا بهـذا

(١) أخرجه ابن ماجه ٨٥٦.

(٢) ومن قبل إصلاح (النفس) أولاً.. فـ(أصلح ذاتك تجد السعادة أمامك) كما قال (جان جاك روسو).

في -الأصل- كما قال الإمام الشافعي:

أفـضل النـاس مـا بـين الـورى رجـل ... تقـضى علـى يـده.. للنـاس حاجـات

لا تمـنعن يـد المعـروف عـن أحـد ... مـا دمـت مقتـدراً.. والعـيش جنـا

قـد مـات قـوم.. ومـا ماتـت مكـارمهم ... وعـاش قـوم..وهـم في النـاس أمـوات

سلامة (الصدر):

.. من الأحقاد والأضغان والشوائب التي تعلق (الإنسان) من الدنيا[1] – ب: بيع أو شراء أو تعامل.. أو.. أو.. – من أن تدخل بينك وبين أخ لك، فإن هذا من أجلِّ ما يسفر عن القلب، لصدق الحب!.

وتعد هذه السمة إحدى سمات أهل الجنة نسأل الله أن نكون من أهلها.. فعن الزهري قال: أخبرني أنس بن مالك قال: كنّا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: {يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة} فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً: فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال للنبي ﷺ مثل مقالته أيضاً؛ فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى..، فلما قام تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص: فقال: إنّي لاحيتُ أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثً فإن رأيت أن تُؤويني إليك حتى تمضي

(١) وصف أحدهم صديقٌ له كان كثيراً ما يدب الخلاف .. بينهما بـ: « لقد كان يرحمه الله لـوذعي اللسان أبيض الطوية سريع البديهة، ساخر بارع، وكان في لسانه قلم ومحاية، بحيث يتحول عن خلافه معك بسرعة عجيبة وقد يعود بحيث تستمر العلاقة متحولة بين القلم الذي ينتقدك والمحاية التي تمسح ما كان قاله بالأمس.. ».

فعلت!! قال: نعم، قال أنس وكان عبد الله يحدّث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبّر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليالٍ وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجرٌ ثَمَّ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: {يطلع عليكم الآن رجل من

أهل الجنة} فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ ما قال رسول الله ﷺ ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت: فلما وليت دعاني فقال: ماهو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا حسداً أحداً وفي رواية أخرى ضغناً ولا سوءاً على خير أعطاه الله، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق.

إذاً..فـ (سلامة الصدر)[1] ونقاوته خصلة عظيمة.. وعند كثير من المسلمين عزيزة المنال، بعيدة التحصيل، إلا من استلهم العون من الله -عز وجل- وصدق في طلبه وبحثه، وبخاصة في تطبيق: (أحب للناس ما تحب لنفسك).

وتنال غالباً.. في امتلاك مزية العفو، أو السماحة، ونقاوة الصدر من.. الحقد أو الغل والضغينة والكراهية للخلق.. وبخاصة إذا ما كانت دون أدنى مبرر .

---

(١) ومن أهمها صرف ما يحدث إلى دعابة، كذا فعل الشيخ (عبد العزيز البشري) حين كان مدعواً مع أصدقائه من

الوجهاء والوزراء عند أحدهم ، ولما حان وقت الصلاة خلع الشيخ جبته السوداء وذهب ليتوضأ ، وأثناء ذلك أحب أحد الوجهاء أن يمازح الشيخ البشري فرسم على جبته وجه حمار بالطباشير، ولما عاد الشيخ ورأى الرسم التفت إلى الحضور وقال: من الذي نشف وجهه.

وتسوق الأخت (سراب عبد الرحمن) الأمثلة التالية[1]:

١) ومن مواقفه – ﷺ مع أعدائه – كانوا إذا أذوه قال: {اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون}.

و.. هذه الكلمات الأربع فيها أربع مقامات من الإحسان:

أ- عفوه عنهم.

ب- استغفاره لهم.

ج- اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون.

د- استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال: اغفر لقومي، كمن يقول: (هذا ولدي..)

٢) ويوسف -عليه السلام- مثال آخر، و/ كلنا يعلم ماذا فعل إخوته به، إذ حُرم بسببهم حنان أبيه، وأُلقي في البئر، وتعرّض للرق، وعندما جمعه الله معهم في مكان يستطيع أن ينتصر منهم، رغم ما حصل له منهم فإذا به سليم الصدر، والقلب، وبكلمات رقيقة يقول لهم: {لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٩٢].

٣) وتعامل علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما دخل عمران بن طلحة عليه بعد موقعة (الجمل) ، وهي بين علي وطلحة (مع عائشة) رضي الله عنهم فنجده يرحب بطلحة ويدنيه ويقول له: إني لأرجو أن يجعلني الله وإياك من الذين قال الله تعالى

(١) الجزيرة – عدد ١٠٢٤٥ –.

فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] ثم أخذ يسأله عن أهل بيت طلحة فرداً فرداً، وهو يقول: يا ابن أخي كيف فلان؟.

٤) وكذا موقف الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله –، فقد ذكر (المقدسي) –رحمه الله – بسنده إلى أبي علي، وقد رأى أحمد بن حنبل يبكي في ليلة فيقول: بت مع أحمد بن

حنبل ليلة فلم أره ينام إلا يبكي فلما أصبحت قلت: يا أبا عبد الله كثر بكاؤك الليلة فما السبب؟ قال أحمد: ذكرت ضرب المعتصم إياي، ومر بي بالدرس قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠] فسجدت وأحللته من ضربي في السجود.

هكذا هي القلوب الصافية.. المتدبّرة في القرآن والآيات المؤثرة الآخرة على الأولى، فمن منا يريد أن يعفو الله عنه ويصفو.. لا أحد يجادل أن كلنا نريد ذلك.

أما طرق العلاج فهي عديدة، منها: الإخلاص، وصدق اللجوء إلى الله، والاستعانة به على طرد الخواطر، والهواجس، ومكائد الشيطان، والنفس، والهوى.. أي: تنظيف القلوب أولاً بأول وتكرار الآية: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

فذاك - تدبر القرآن - سبب.. وسبب آخر: أن تعامل الناس بما تحب أن

يعاملوك به.

العلـــم:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال عليه الصلاة والسلام: « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة[١] ».

لأن طلب العلم ليس له حدٌّ، أو سن يقف عندها، وهو ممتد على طول بقاء الإنسان في الحياة لا يفتر ولا يفتأ عن تحصيله.. كما في الأثر: (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد)..، وقال الإمام أحمد رحمه الله: من المحبرة إلى المقبرة أي: حتى الممات.

رأيـــت العلـــم صـــاحبه كـــريم ولـــو ولدتـــه آبـــاء لئـــام

ولـــيس يـــزال يرفعـــه إلى أن يعظـــم أمـــره القـــوم الكـــرام

وقال الله تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩].. بالتأكيد .. لا .

وقد فضل آدم عليه السلام على الملائكة بالعلم، وأيضاً ذو القـرنين ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً ﴾ [الكهف : ٨٤] قيل : إن هذا السبب هو العلم،وتأمل سـورة (يوسـف) وكم ركزت على العلم ومقام أهله .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {الدنيا ملعونـة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالماً ومتعلماً} .

(١) رواه الطبراني في الأوسط: ٤/ ٢٤٥ .

ولا يتم العلم، إلا بالفهم النزيه المستقيم الجاد الموجّه لما يفيد.

قال أرسطو: (الجاهل لا يحلو له طعم العلم بل يجد له ثقلاً، كما تثقل الأدوية النافعة على المريض).

قال أحدهم: كنت في بعض مطارح الغربة مجتازاً، فإذا أنا برجل يقول لآخر: بِم أدركت العلم وهو يجيبه في مقامه، قال: «طلبته فوجدته بعيد المرام، لا يُصطاد بالسهام، ولا يُقسمُ بالأزلام، ولا يُرى في المنام، ولا يضبط باللجام، ولا يورث عن الأعمام، ولا يستعار من الكرام، فتوسلت إليه بافتراش المدر، واستناد الحجر، ورد

الضجر، وركوب الخطر، وإدمان السهر، واصطحاب السفر، وكثرة النظر، وإعمال الفكر، فوجدته شيئاً لا يصلحُ إلا للغرس، ولا يُغرس إلا في النفس، وصيداً لا يقع إلا في الندر، ولا ينشب إلا في الصدر، وطائراً لا يخدعُه إلا قنص اللفظ، ولا يعلقه إلا شَرَك الحفظ، فحملته على الروح وحبسته على العين».

والقراءة تزيد في ثقافة الدارس، وتساعده على فهم كثير من محتويات الكتاب التي تزخر بالعلم النافع المفيد[1]. ومن الصعب جداً أن يلم القارئ أو الدارس بكل محتويات العلم لأن العلم بحر كما يقولون وقد قال الشاعر القديم:

ما حوى العلم جميعاً أحد ... لا ولو مارسه ألف سنة

إنما العلم كبحر زاخر ... فاتخذ من كل شيء أحسنه

---

(١) .. إذ/ أجل مشاربه القراءة الجادة .

الرفـــق :

بكل شيء إذ إن البعض يأمّ طريق المجد، لكنه يسحق خلال سيره كل من يقف أمامه[١]، بأخذ مال هذا والعنف مع ذاك. ومشاططة الآخر..، حتى إذا بلغ مقصده، ووصل وجهته.. بدأ يُثني عطفه ويرقق من جلافته.. لكن بعد أن أغلق وجه أمل الغير فيه، وصبغ فيهم مسحة سيئة عنه..! فأنّى له بعدها بلوغ ربوة الإحسان وقد يصم فيهم عنه.. ما لا يستطيع برفده[٢] دفعه.

فمن الرفق قول الشاعر:

والـنفس إن دُعيـت بـالعنف آبيـة ... وهـي مـا أُمـرت بـالرفق تـأتمر

وقد أمرنا به، كما في قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ويكفينا قوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام في خطاب.. دعوتهما لفرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[طه:٤٤]. نعم والله .. قال الشاعر:

أبُني إن الصبر شيء هين ... وجه طليق وكلام لين

---

(١)قال حكيم: (استعن على العدل بـ نحلتين خصلتين : قلة الطمع وكثرة الورع).

(٢) أي: عطائه، وسخائه.

المـــــال(*):

قال أحمد شوقي:

بـالعلم والمـال يـبني النـاس ملكهـم لم يـبن ملـك علـى جهـلٍ وإقـلال

وهذا وجه يمكن به تأويل قول الأول:

دعـــيني للغنـــى أســـعى فـــإني رأيـــت النـــاس شـــرهم الفقـــير

قال علي ﷺ (كاد الفقر أن يكون كفراً).

حتى يعلل أحدهم بـ:

وإذا رأيـــت صـــعوبة في مطلـــب فاحمـــل صـــعوبته علـــى الـــدينار

وابعثـــه فيمـــا تـــشتهيه ، فإنـــه حجـــر يلـــيّن قـــوة الأحجـــار

فالمال أعظم عون للآمال، ولا يحتاج هذا إلى شرح أوطول مقال! لكنـه يطلـب بتوازن.

إنما عصرنا شطح بهذا العنصر حتى غدا مقياسـا.. حـين تبـدّلت المفـاهيم عنـد البعض!، واختلاف الموازين، فأصبح الغني دون سواه محل تقدير الرجـال وإجلالهـم، وكأنهم يطبقون قول الشاعر:

إن الغـــني مـــن الرجـــال مكـــرّم وتـــراه يُرجـــى مـــا لديـــه ويرهـــب

(*) أقصد حوز منه ما يحفظ ماء الوجه، ويكفي الحاجة.

ويُـــبش بالترحيـــب عنـــد قدومـــه ويقـــام عنـــد ســـلامه ويقـــرّب

..والفقـــر شـــين للرجـــال فإنـــه يـــزري بـــه الـــشهم الأديـــب الأنـــسب

وليس من الصواب أن يكون المال سيد الموقف في كل موقف، كما قال الشاعر أبو العيناء:

إن الـــدراهم في المواقـــف كلـــها تكـــسو الرجـــال مهابـــة وجـــلالاً

فهـــي اللـــسان لمـــن أراد فـــصاحة وهـــي الـــسلاح لمـــن أراد قتـــالاً

وتـــرى الغـــني إذا تحـــدث كاذبـــاً قـــالوا صـــدقت ومـــا نطقـــت محـــالاً

وتـــرى الفقـــير إذا تحـــدث صـــادقاً قـــالوا كـــذبت وأبطلـــوا مـــا قـــالا

صـون النفـس

وفيه الاحتفاظ بماء الوجه، كما في إرشاده ﷺ: { .. لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه } متفق عليه.

للترفّع عن السؤال.. وهو الإذلال ولو (بمدح) الرجال[1]..!

قال (البارودي):

خلقت عيوفاً لا أرى لابن حرة ... لدي يداً أغضي لها حين يغضب

أو كما قال (الشاعر) صفي الدين الحلّي:

«وكنت عاهدت نفسي أن لا أمدح كريماً وإن جل، ولا أهجو لئيماً وإن ذل، وذلك للتنزّه عن التشبه بذوي السؤال، والترفع عن التتبع بمثالب الرجال».

و هذا المعنى يزيدنا به وضوحاً.. (عليٌّ) رضي الله عنه في قوله:

(احتجْ إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره).

فأنت غني يا أخي بقدر استغنائك عما في يد غيرك[٢]، وزهدك فيما عند الناس، ومن قبلها.. بقناعتك بما قسم لك ربك، كذا قال معلمك وحبيبك ﷺ {ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس..} الحديث.

---

(١) .. كما يصنع (الشعراء) – إلا ما رحم ربي–

(٢) فإن (المسألة آخر كسب الرجل) كما قال قيس بن عاصم، انظر كتابي : ديوان البيان هامش ص ١١٢.

العمل

قال تعالى :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥]

قبـــس..

(كل سعادة لا تبلغ إليها اليد.. ليست سوى حلم) حكمة فرنسية.

بهذا نبدأ، إن العمل - كـبر أو صـغر.. حـسب الطمـوح والقـدرات - مرتكـزٌ

للذات، ومنهل للملذات..، يبدأ صغيراً.. ثم يكبر مع العمر حتى يكون جزء منه، وشجرةً بُذرت في عهدك الأول فتسامت.. مع تعاقب السنين - حتى أصبحت هي أنت.. وأنت هي -

« .. الفوارق البشرية كثيرة، فإذا تأملت هذه الأجناس البشرية رأيت أسود، وأبيض، وأحمر، وأصفر.. ورأيت ذكراً وأنثى، وكبيراً وصغيراً.. ورأيت مسلماً، ونصرانياً، ويهودياً وبوذياً وشيوعياً.. ورأيت عربياً وهندياً، وإنجليزياً، وأمريكياً.. الخ.. ورأيت شرقياً، وغربياً وعاقلاً ومجنوناً.. ورأيت متعلماً وأمياً.. الخ من الفوارق والمميزات.. وإذا استثنينا المجانين، والمغفلين من هذه الأجناس: رأينا أن الأجناس البشرية مشتركة في مواهب ثلاث هي: العقل، والقلب، والذاكرة التاريخية)[1].

وربما جاز لنا أن نسترجع معها نظرية(ديكارت) التي ترى أن(العقل)موزع بالتساوي بين (الناس)وأن (الفوارق) الموجودة ترد إلى إسلوب (توظيفه) أو

(استخدامه)!.

.. وهذا يأتي بالخطوات التالية[٢]:

---

(١) للعلامة (أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري).

(٢) بتصرف – مقال الشيخ (د. سلمان العوده).

الثقة بالنفس:

فلا نجاح من دون ثقة الإنسان بذاته - فضعف الثقة بالنفس هو إصدار حكم بإلغاء قدرات الإنسان ومواهبه، وبالتالي الفشل المحتم!.-

قال هيمنجواي: (إن الصخور تسد الطريق أمام الضعفاء، بينما يرتكز عليها الأقوياء!).

الإرادة القوية:

فالإنسان يعيشُ صراعاً من أجل البقاء، ولن ينتصر في هذا الصراع إلا من تسلح بإرادة قوية.

وصدق القائل: (ومن استسهل الصعاب أدرك المنى) بل إن الفشل (في الغالب) يولد الإصرار على النجاح.

كذا قال أحمد شوقي:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تُؤخذ الدنيا غِلابا

الطموح الدائم:

حيث يزرع في الإنسان المثابرة والجد والاجتهاد، كما يحفزه على التفكير الجاد،

والتخطيط الدقيق.

الحيوية والنشاط المتواصل:

وهو عبارة عن الجهد المستمر الذي يبذله الشخص لإنجاز أعماله وتحقيق أهدافه في الحياة..

التوكل على الله.. وحسن الظن به قبل ذلك وبعده: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وذاك في بذل الأسباب (الشرعية) كالأوراد، فأين أنت من أذكرا الصباح

والمساء؟ وهي حروز حقيقية وحصون منيعة بإذن الله .

أين أنت يا أخي من هذه الجنود المجندة من الملائكة الكرام، الذين سخّرهم الله لحفظك: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ﴾ [الرعد: ١١] وكلما حافظت على شعائر إسلامك كان الحفظ لك أعظم.

إنك حينما تصلي الفجر في جماعة تكون في ذمة الله وحفظة ورعايته حتى تمسي، فهل تحتاج إلى أحد بعد الله تعالى؟

إنك حينما تخرج من منزلك فتقول:

(باسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم إني أعوذ بك من أن أضل أو أُضل ، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يجهل عليّ، يقال لك: كفيت ووقيت ويتنحى عنك الشيطان ويبتعد قائلاً لأصحابه: كيف لكم برجل كفي وهدي

ووقي؟).

ثم.. قد بين علماء الإسلام المفهوم الشرعي للتوكل: قال شيخ الإسلام في (التحفة العراقية) ما ملخصه:

التوكل المأمور به هو ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع.

- فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد.
- ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل.
- والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

لابد في التوكل من أمرين:

الأول: أن يكون الاعتماد على الله اعتماداً صادقاً حقيقياً؟

الثاني: فعل الأسباب المأذون فيها.

فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب نقص توكل على الله، فكأنه جعل السبب وحده هو العمدة فيما يصبو إليه، ومن جعل اعتماده على الله ملغياً للأسباب فقد طعن في حكمة الله، لأن الله جعل لكل شيئ سبباً، فمن اعتمد على الله اعتماداً مجرداً كان قادحاً في حكمة الله ، لأن الله حكيم يربط الأسباب بمسبباتها، كمن يعتمد على الله في حصول الولد وهو لا يتزوج.

التوكل لا التواكل:

مع أن النبي ﷺ هو أعظم المتوكلين إلا أننا نجده يأخذ بالأسباب الظاهرة، فكان

يتزود لسفره ويلبس ما يقيه في الحرب من درع ومغفر ونحوهما، وتعجب من بعض المسلمين حين يترك الأسباب ويقول: توكلنا على الله ، وهذا سوء فهم للتوكل.

وقد حج أقوام بلا زاد فنزلت: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة : ١٩٧]

ولما حج بعض أهل اليمن بغير زاد، وقالوا: نحن متوكلون، بلغ ذلك عمر فقال: كذبتم إنما المتوكل رجل ألقى حبه في التراب وتوكل على رب الأرباب.

فمن الخطأ أن نجعل المفهوم الخاطئ للتوكل شماعة نعلق عليها كسلنا وابتعادنا عن المسؤولية تجاه بيئتنا ، لأن الذي أمرنا بالتوكل.. أمر بفعل الأسباب.

أسأل الله أن ينفع بالجهود المخلصة لإصلاح الأمة والحمد لله رب العالمين.

وقال الشيخ علي الطنطاوي – رحمه الله –:

(نعم.. لقد جربت الإرهاق والبطالة فوجدت أصعب شيء على الإنسان في هذه الحياة هو البطالة.. فهي للأسف فراغ كبير جداً.. يؤدي إلى الملل والضجر).

وقيل: (القلق حبيب القراغ، والعلماء والباحثون لا يثابون بانهيارات عصبية .. فهو لا فراغ لدينهم..) .

وهنا.. طرح علمي عن الشباب والفراغ لعله يتم فراغ هذا العرض :

(يعدّ .. الفراغ في الإجازات أوقاتاً ومواسم حرجة، قد تؤدي إلى حصول انحرافات خطيرة لبعض الشباب المندفع!

بل تجعل بعض شبابنا المتزن يصبح سلبياً مهزوماً في هذه الأوقات نتيجة

اختلاطه بأصدقاء السوء أو وجوده في تجمعات ينتج عنها ما لا تحمد عقباه في ظل نقص أو انعدام الاستثمار أوقات الفراغ. لا سيما أن مجموع الإجازات التي يحصل عليها الطلاب سنوياً (١٦٣) يوماً، شاملة الإجازات الصيفية وإجازات الأعياد، هذا بالإضافة إلى أوقات الفراغ اليومية التي يقضيها الطالب أو تقضي عليه أثناء اليوم

الدراسي، فالطالب يمضي ٦ ساعات في المدرسة، وساعتين تقريباً لحل واجباته المدرسية ومذاكرة دروسه، وساعة لواجباته الدينية، وساعتين للطعام و٨ ساعات للنوم، لتبقى ٥ ساعات يومياً يمكن احتسابها كأوقات فراغ، ويعني ذلك ما يقارب ١٠٠٠ ساعة فراغ أثناء أيام السنة الدراسية فقط!).

وأجاد الأديب (عبد الكريم الجهيمان) بقوله – محفزاً –:

المجـــــد لـــــيس بنـــــاء بالـــــصخر في كـــــل واد

المجـــــد لـــــيس نقـــــوداً مـــــصيرها للنفـــــاد

المجـــــد علـــــم وعقـــــل ومنطـــــق بـــــسداد

والحلـــــم في غـــــير ضـــــعف والـــــضرب لا عـــــن عنـــــاد

مع هذا.. فالأمل.. هو: أفقٍ يسعى المرء للصعود إليه بـ (العمـل)، ليتـسنم بـه مرتبة في هذه الدنيا توافق نتيجة جهده فمن جد وجد .

بل هو كما.. قال المفكر الروسي (تولـستوي): « إن سـعادة الإنـسان في حياتـه، وتمام حياته في العمل ».

.. ثم إنه أي: العمل :

أن تكون (به) أنت أنت، لا أحد له عليك - غير الله - فضل ولا منة.. في ما أنت فيه - أو ما وصلت إليه - وما بلغته بجدك وجهدك وعرقك، ومعاناتك..!

فلا شيء أجمل من عرق الجهد، ونتاج الكد.. وبلوغ الهدف، إن قيمة حياتنا في

هذه الدنيا في الأهداف التي نسعى إليها التي نحققها، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] ، وقال الحسن البصري عن عمر بن عبد العزيز :

(ما ظننت أن عمر خطا خطوة إلا وله فيها نية) يعني: هدفاً وغاية.

وقال سلمان رضي الله عنه : إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي) أي: أنالإنسان أضع بين يدك عدداً من الأفكار التي تساعد على تحديد أهدجافك في هذه وتحقيقها:

- يجب أن تكون الأهداف التي تسعى لتحقيقها أهدافاً واجبة وجائزة شرعاً.
- يجب أن تكون الأهداف التي تسعى لتحقيقها أهدافاً محددة وواضحة لا لبس فيها والغموض.
- يجب أن تكون الأهداف التي تسببها مناسبة للزمن الذي قدرته لإنجازها.
- عندما تحدد أهدافك يجب أن تراعي قدراتك والإمكانيات المتاحة لك والمتوقع أن تجدها.
- عليك أن تضع خطة وبرنامجاً عملياً للوصول إلى تحقيق أهدافك.

- نفذ أهدافك بجد وعزم وبلا أدنى تردد.

- لا تعود نفسك القيام بأعمال ومهام لا أهداف لها.

وقد حث الإسلام على الاكتساب والتعفف عن السؤال كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] وقال الله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزّمّل: ٢٠] وقال ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من عمل يده، وإن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده» رواه البخاري.

وقال ﷺ : {لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فكيف الله بها وجهه خيراً له من يسأل الناس أعطوه أو منعوه} رواه البخاري.

وسئل أحد العلماء:

إنه من تحقيق التكامل الاجتماعي .. إخراج الزكاة وهناك من يرد من بعض خصوم الإسلام أنها تشجيع على عدم العمل والإنتاجية، فهل هذا صحيح ؟؟

فقال: الزكاة لا تُعطي لمن يقدر على الكسب إذا توفرت فرص العمل ، لقول النبي ﷺ { لا حظ فيها لغني، ولا لذوي مرة سوي} أي: ذي قوة على الكسب المتاح .

وذاك أن قدرات البشر تتباين وكذا هممهم وأمانيهم..، لكن كما حفز (أبو الطيب) بـ:

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

و.. يروى عن عمر بن عبد العزيز[1] رحمه الله، إنه حدث جلساءه يوماً فقال:

(١) الذي قيل عنه: صاحب (النفس التواقة).

(ما تاقت نفسي إلى شيء، إلا وقد حققه الله، فقد تاقت نفسي وأنا حَدث إلى فاخر الثياب، وحسن اللباس والزينة، فحصل لي ذلك، ثم تاقت إلى إمرةُ المدينة، فحصلت لي، ثم تطلعت إلى الزواج من فاطمة بنت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، فتزوجتها، وتقت للخلافة.. و لما وصلت إليها كنت قد رغبت عنها، وتحملتها، وأنا الآن أرى نفسي تائقة إلى الجنة، فأرجو أن أنالها برحمة ربي).

وسيبويه (أحد أعلام اللغة العربية) فارسي كان يتعلم القرآن الكريم، فكان يلحن كثيراً، فنصحه معلمه بتعلم اللغة العربية حتى لا يلحن، فانقلب لحلقات اللغة.. ومنها إلى الاستاذية التي جعلته خلفاً للخليل رحمهما الله .

ثم إن الحياة بلا (عمل) ولا هدف[1] وفي الغالب تؤدي بالمرء إلا ما تحمد عقباه، كالانتحار وفي التلحليل النفسي الأخير ونتائج التربية السلوكية والتعليم وجد أن ٨٠ ٪ من الشباب والفتيات هم سبب الويلات على أنفسهم وعائلاتهم ومستقبلهم ، وذلك أن الرفاهية والحياة كيفما اتفق وأداء العبادات دون خشوع وتقوى وورع ووعي لمراد الأمر والنهي جر دماراً نفسياً شديداً وليس أدل على هذا من العيادات النفسية أكثر من يزورها هم ما بين (١٥- ٤٠) سمو حتى إذا بدأنا بدراسة الحال وشرحنا النفسيات إلى فئات أ/ ب/ د/ ه/ ووجدنا ما يلي:

---

(١) أو حتى (هواية) :

فالهواية تمنع جفاف الحياة، وتجعل الينابيع تتفجر في صحرائها، وتأخذنا من التحديق في دائر الضجر إلى الاستغراق في خمائل السعادة، والقراءة هي أعذب الينابيع التي يجدها الإنسان في صحراء الحياة، وأحلى قطرات السعادة العذبة في الفراغ والهدوء.. وأغلى هواية .

- الحيـــاة الطيبـــة..

١- التبرم من الحياة .

٢- القلق وعدم وضوح الرؤية.

٣- ضبابية في الدين.

٤- سوء الوعي لآداب وقيم نص الشريعة.

٥- التظاهر بالثقة والمعرفة.

٦- الإسقاط (على الوالد) خاصة.

٧- عدم الصدق مع النفس.

٨- الإصرار على عدم التوبة الصحيحة.

٩- الإساءة للآخر بصورة ما.

١٠- تكرار الخطأ + عدم المبالاة .

١١- أكل المال المشبوه.

على الرغم من أن الطلاق يكون في كثير من الأحيان بمثابة الحل الوحيد لمشكلات مستعصية ، أو للوقاية من أزمات مستقبلية ، إلا أنه لم يزل يترك آثاراً بشعة على نفسية المرأة، التي قد تفرح يوماً أو يومين بعد وقوعه، ولا سيما إذا كانت معرضة لأذى نفسي أو جسدي شديد من قبل الزوج، ولكن معاييرنا الاجتماعية وتقاليدنا ونظرة المجتمع ما زالت تمارس ضغوطها وتوجه سهامها على المطلقة، مما يجعلها أكثر

عرضة للإصابة بانتكاسات واضطرابات نفسية بعد الطلاق.

فـالقلق والتـوتر والـشعور بالاكتئـاب والميـل للعزلـة، والانطـواء، والـشعور بالاضطهاد والقهر وما يترتب عليهما عنهما وما قد يقرزانه مـن عدواينـة وتـدني الثقـة بالنفس وفقدان الثقـة بـالآخرين ..، بعـض مـا قـد تتعـرض لـه النـساء المطلقـات في مجتمعاتنا.

وعلى الرغم من أن معظـم المطلعـين عـلى وضـعها يعرفـون أن ماصـلتها لحيـاة زوجية مع ذلك الرجل كانت مستحيلة، إلا أهم وصموهما ب(المطلقة) وما يقترن بهذا

الوصم من تبعات، فحتى المواساة بالنسبة لها لم تكن كما ذكرت أقل أذى مما تعرضت له في حياتها الزوجية القصيرة.

وصفة (النجاح):

المقادير: خذ مقداراً من العلم ومقداراً من التواضع، ومقداراً من الالتزام، ومقداراً من الإخلاص في العمل، ثم تمزج هذه المقادير جيداً بملعقة الإدارة الناجحة، وتتوج بتعاون جميع العاملين.. ثم تُعرض على الناس.

نُذكّر بـ (قواعد النجاح) السبع، وهي:

١- تحديد الهدف في الحياة.

٢- تعرف الإنسان على شخصيته.

٣- عدم التفريط في الوقت.

٤- الاستفادة من تجارب الآخرين.

٥- مقاومة التعب.

٦- وأخيراً التأكيد على أن يكون الإنسان.. متفائلاً.

القـدرات:

ومدخل هذا (الباب).. لبلوغ تلك المرتبة: معرفة المرء نفسه (قـدراتها رغباتها أحلامها، وهكذا..) ثم بذل الممكن للوصول.

فهل رأيـت مفتاحـاً بـلا أسـنان..! كـذلك مفتـاح -الجنـة- ونعنـي بالأسـنان

(العمل).. الصالح.

والقدرات تأتي من خلال ما تتحسسه بنفسك، ومعرفة إمكانياتها.

وهنا ملحظ – وهو أولى.. بالامتثال، والأخذ من مثله – في الأمر والنهي الرباني، فإنه / في حالة الأمر يأتي مذيلاً بـ (.. ما استطعتم) كما في قوله ﷺ {إذا أمرتكم بأمر فأتو منه ما استطعتم}.

.. أما في حالة النهي.. ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] أي: القطع في النهي عن الفعل حالاً، وذلك للقدرة على فعل هذا .. وفي الحال

من هذا المنطق تبدأ في تشخيص قدراتك.. ومعرفة مدى إمكانياتك، ولا تقف عند (هذا) أي: على قدراتك الممكنة، بل يحبذ فعل ما فوق ذلك.

حتى ولو.. أن تُجهد الذات، وتجاهد النفس، وتحثها على العزيمة.. لبلوغ الهدف وتحصيل قيمتها في (المجتمع) قال ابن الوردي:

قيمـــة الإنـــسان مـــا يحـــسنه أكثـــر الإنـــسان منـــه أو أقـــل

- وهذا.. من قول علي ﷺ : (قيمة كل امرئٍ ما يُحسن) -

حتى ولو تركب لذلك (الصعاب).. وتلاقي الأهوال..!

الرغبات (الأماني.. والأحلام):

الأماني.. ليست بالتمني -فحسب-، لكنها بالإنتاج.. ثم انتظار النتاج!.

قال ابن عثيمين (رحمه الله):

دع عنـــك تـــسويف الأمـــاني فإنهـــا خـــوادع لا يـــصغي إلـــيهنّ حـــازم

بل إن سيدنا عمر ﷺ لم يكن أبغض إليه ممن يتوانى ليقال إنه متوكل على الله[1]، أو يتراءى بالضعف ليقال إنه ناسك، أو يُفرط في العبادة ليقال إنه زاهد في الدنيا.. وكان يقول: « إن المتوكل هو الذي يُلقي حبَّة في الأرض ويتوكل على الله ».

وهو القائل « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني.. وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وأن الله تعالى يرزق الناس بعضهم من بعض » .

فلله در من يحسن هذا الفهم.

فدع الكسل والتكاسل، وأخرج عن (قمقم) نمطيتك، ورتابة ذاتك إلى.. أُفق الهمّة المبدعة في الحياة..

قال "غوته" : الحياة العقيمة- أي : عن الإنتاج- موتٌ مُسبق!

---

(١) كما يذكر العقاد.. في كتابه: (عبقرية عمر).

ولعلي أوجز لك بكلمة – جامعة – قال بها (د. مصطفى محمود):

"قيمة الإنسان –في بالحياة – هي ما يضيفه إلى الحياة بين ميلاده وموته".

فهل بلغك المراد .. ووعيت المقصد؟

الختام

السعادة ليست أمنية، بـل هـي مكانـة - معنويـة - لا يتبوؤهـا إلا مـن عمـل الأسباب لبلوغها، فالسعيد:

هو المستفيد من ماضيه، (صندوق تجارب) ..

المتحمس لحاضره (ميدان التحدي) ..

المتشوق لمستقبله (ممر طروحاته) .

ثم.. مختصراً (كلمتي).. بـ:

إن (السعادة) التي أود أن أدركها مع القارئ.. هنا: هي (نسبية) بـالمعنى العـام، وتقديرية بالمعنى الخاص.

وبناءً.. من تجربتي القليلة واطلاعي المحدود.. والذي لا ريـب فيـه، إن معرفـة الإنسان بإمكانياته (النفسية والعقلية والفكريـة) طريـق سـهل للموازنـة بـين الـسعي وتحقيق الهدف، بـ (نيةٍ) صالحة، وعدل وسعي للحق الجاد.

ولا يمكن فعل هذا ما لم يرتكز أمر الإنـسان عـلى الإيـمان ومعرفـة الله سـبحانه وتعالى، والحكمة مـن الخلـق، والفـرق بـين النـاس.. حتـى لا يـصاب هـذا الإنـسان

بالإحباط، أو خوفاً أن يكون هدفه (الحياة) – فحسب – مع التظاهر بحب الخير، ومن هنا يقع الظلم للنفس..

أيضاً : هل تعلم – أو تشعر – أنك سعيد ولا تدرك، أو تكون نقيض ذلك وأنت لا تدري مثلاً تستطيع أن تدرك حين تسأل:

هل أنت راضٍ عن نفسك ؟

هل أنت راضٍ عن علاقتك مع ربك ؟

هل أنت راضٍ عن علاقتك مع الآخرين.

كيف رضاك عن ما بلغت؟ أو بمعنى : هل يمكن أن تكون أفضل من هذا؟

أي: ما هو إنجازك ؟ أو ماذا تريد أن تترك وراءك ؟

بمعنى : ماذا حققت للغير - في الخروج عن الذاتية والأنانية.. إلى الطموح الأسمى والدرجات العلا.. كي تكون الشخص المشار إليه.. بإنتاجه..

وهل الفترة العمرية التي أنت بها الآن.. توازي ما كنت تحلم به من قبل؟ - أي (القياس) بين الأمل.. وما قد حصل –

ولا يكون جواب المعتاد: مثلاً أني الآن موظف، أنا الآن طالب، كافٍ للجواب على التساؤل! فإن هذا لا يفي فكل امرئ يخطو خطوات معتادة.. فيبلغها دون أن تكون هي أحلامه.

إذاً إن السؤال – هنا – أين الطموح..؟ أين الأمل..؟ الأماني..؟

فإن الإجابة الصادقة والصريحة مع النفس هي تشخيص للذات.

وإن كان جوابك (أنا) سعيد لكن يمكن أن كون أسعد!، فاسأل نفسك: كيف تكون أسعد »[1].

(١) بتصرف (د. طارق سويدان).

.. وبعدها:

يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ ﴾ [الانشقاق:٦]، وليعلم بعد أن السعادة نسبية ولا بد من لحظات أمل وحزن أو تعاسة، ولتكن بهارات للحياة، لأن الأمر في غير هذا.. قد يتلبس الرتابة أو ملل التعوّد - ولنأخذ على سبيل

المثال بعض الدول التي تنعم بحياة الرفاهية.. ولديها أكثر نسب الانتحار، هنا: فإن المسلم يحيا حياة داخلية سعيدة لا يماثلها شيء، حتى قال أحد الصالحين: (إننا في سعادة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها)، ونسب لابن القيم رحمه الله قوله (أنه تمر بي لحظات أقول فيها: إن كان أهل الجنة بهذا النعيم فإنه سعد ونعيم).

باختصار.. عن ما أحسبه قاموس السعادة:

إن (الوقت) العصا التي تلاحقنا، والسيل الذي يداهمنا، فمن لم يجد الوقت الذي يتمكن فيه من الاطلاع التفصيلي بالقراءة المتأنية لكل هذا الزخم أو يرجئ بعضه لوقت يتسع، ولفكر يستوعب، وإن ألقى إليها – على عجل – النّظر، أو قلّب فيها شيئاً من الفكر، في عبورٍ يمنحُ فكرةً عن مضامينها.. حتى يحين وقت قراءتها بقدرٍ، يُماثل حضوراً يوازيها لديه.. وتقديراً.. يوافيها، فلا أقل من هذه الوريقات المعنونة بـ (الموجز):

أولاً: هذا الموجز قُصد به أشياء، وله أسباب كي نرفل بأثواب السعادة.. أبـداً – بـإذن الله ..

فمن أول المقاصد/ تقدير الوقت لأهل من الوقت لديهم (ذهب).

ثانيها: يكون الشيء المكرر لدى غالبية أهل القراءة الدائبة فلا تملك إلا أن توجز لهم ما تود إثراءه لمن.. يحب التوسع.

ثالثها: سهولة إيصال المعنى – العام – عن الطرح (الذي نفعه باقٍ).. بإذن الله وزبده يذهب جُفاء!

إذاً نخلص إلى أنها السعادة ذات ملمسٍ أو ممسك انزلاقي، أي كلما قبضنا يدينا عليها، انفلتت أو أفلتناها بمِلكنا.. كي نسعى لإدراكها لاحقاً، وإلا لأصبح باقي عمرنا ملل وسأم وجدول مكرر!

ويتبين لنا.. بعدها، أن السعادة غالباً ما تكون في (النقص) لأن النقص يحث على الدافع للحياة في البحث عن الكمال .. وعلى العمل بها، أي عدم الملل ويثري الذات من الأماني والآمال.. ويملأ فراغ (العمر) انظر في قولي (ابن حزم) و(إبراهيم اللهيبي) كما تقدم وتكمن في النسبية كما تقرر لنا في قول (الطنطاوي) ، في "التوسط في كل شيء لا أن تملك كل شيء .. بل تقنع بكل شيء".

أما الباقي فإنه كما أسلفت إبحارٌ بشواهد، وعرضٌ لنقاط.. قد توضّح أو تتوسع في بعض مجملات مررتُ عليها، فكان لي معها وقفة.. أو مُلحة.. أو ما استحسنت إيراده للربط والضبط .. وهكذا

وإن من يقرأ هذه الصفحة – تكفيه مؤنة الكتاب.. بإذن الله تعالى – إذ غالب ما تقدم إفاضات وتفصيل لمن يحب الإبحار.

وأخذا بقول العرب (خير الكلام ما قل ودل)..

.. وكذا ما جاء في معناها أهل البلاغة هي (الإيجاز غير المخل)، حتى عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: (الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع، وإن أكثرت منه ضر).

وهكذا.. – تارة أخرى.. أعيد – أقول: إذاً.. لنكن كذلك – بإذن الله – وأرتكز بعد (عون الله)[1] على التالي[2]:

أولاً.. [الإيمان].. وبه التصديق بالخالق، والتسليم ب: قدره وقضائه –خيره وشره– ثم العبادة الخالصة له، مع الذكر والتدبّر والتأسي – بخاصة في المصائب – وكبد الدنيا وكدّها.

ثانياً.. [الرضا].. وبه القناعة، والاستسلام التام لما أفاء الله عليك، وإن حرمك من بعض ما تراه يخز ذاتك (الطماعة) وذاك باليقين أن ما حُرمت منه.. وراءه خير لك وإن لم تدركه بعلمك القاصر، أو لم تصل إلى حكمتهفي ذلك.. فهو بالآخرة خير.. كثير.

ثالثاً.. [الحب].. ومنه إشباع (النفس).. بـ الأنس مع الأهل.. الوالدين – بخاصة–، والزوج والولد عامة..، ثم الأقارب بـ الصلة الحميمة الاجتماعية..،

رابعاً.. [العمل].. ومنه تحقيق الذات، ورسم الآمال العراض..، والأماني الغائبة في معمعة الجهد، وملء فراغ الذات، والعمل على تحقيق هدف.. تقطع به

(١)وقال الشاعر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى .. فأول ما يجني عليه اجتهاده

(٢) تذكيراً..، أو كما يقال / (حتى لا يُنسي أخر الكلام أوّله)!

فلوات العمر، وتجهد بذرعه لتأنس وبزرعه – ولو بعد جفاء السنين –.

.. وهناك نقطة: كل امرئ يرى أن السعادة فيما ينقصه، فالمريض يراها بالصحة، والفقير بالغنى واليتيم بفقد والديه.. الخ.

وهنا نصيحة يتداولها (أهل المعارف) – مقدري النعم التي من المولى عليهـا ب:

أن يزور اليائس والعاجز والعاطل والمعدم / المشافي ليتذكروا قيمة الصحة والمعافاة! والمقابر/ ليدركوا نعمة الحياة!. والسجون / ليبصروا فضل الحرية.. الخ.

لكن – بعدها – هل نعقل ما نسمع ببصرٍ وبصيرة ثم..! أم نركنه على (رف) ذاكرتنا و(كنز) معلوماتنا.. فحسب!!

حتى.. قال بعض السلف رحمهم الله: (الله المستعان على ألسنة تصف، وقلوب تعرف ولا تقف، وأعمال تخالف!).

.. آخـــر المطـــاف

أو: إلى أن نلتقـي...

يجب أن نعرف أن السعادة لا تأتي على قدميها، بل يجب الذهاب إليها.

وذاك خلال نبعها من داخل النفس، حين تمتلك مقوماتها كيما تتحـصل الـذات عليها، وإلا فأنك أنت من تؤجل بلوغها (إليكبنفسك..

وكذا.. إشارة الشاعرة نازك الملائكة:

كـــم بحثنـــا عـــن الـــسعادة لكـــن ... مـــا عثرنـــا بكوخهـــا المـــسحور

أبـــداً نـــسأل الليـــالي عنهـــا ... وهـــي ســـرّ الـــدُّنيا ولغـــز الـــدهور

لكن.. أو مع هذا.. (توخياً للحق والعدل.. والموضوعية) أقول:

ولا ننكر أن هناك أسباباً للسعادة، قد.. لا يكون للمرء في (فقدها).. أو إيجادها

حولاً.. ولا طولاً.

كالأمن، والصحة، والبيئة، والأسرة – إن كانت سيئة – والمستوى المعيشي والاجتماعي، وكذا تعطّل أو بتر بعض أطراف الجسد – لا قدر الله – في حادث بالصغر، أو وراثي.. أو خُلقي.. وهكذا.

وهي مدركات في الحاسة، تلسع المرء.. وليس باليد دفعها – إذ جلّها.. يمكن التغلب عليه بقوة الإيمان فحسب.. كما ذكرنا –.

لكن.. هنا على المرء (بكل قدرته) تحسينها.. أو توجيهها..

أو على أقل الأحوال / تطبيع الذات على تقبّلها وحسن التعامل معها! بل هذا أفضل (علاج للذات) كي - إن لم يستطع تغييرها - فلا أقل من تقليل وقعها على النفس ...وذاك - بالتكيّف.. معها - فإن آخر العلاج (الكي..) وهو مكروه بالدين، وضار بالجسد.. معاً - لكن.. على قدرك.. يكون فعلك.

وبعد.. / فهذه (الركائز الأربعة) - وقد جُمعت من أكثر من (ثلاثين) عاملاً للسعادة- وقد.. عملت على جمع (غالبها).. عامداً عليها مختصراً، فأوقفتها على أربع..

محاولاً ضم معظم تلك العناصر فيها، فهي حصيلة ما توصلت إليه في السعادة (لنعيش.. بإذن الله الحياة الطيبة التي أرادها الله لنا).. وذاك بعلمي القاصر، فإن يكن جهدي بلغ الصواب فذاك فضل من الله ومنّته أن بلغني مرادي، وإن لم يكن فمن النفس الغرورة والشيطان المغرِّر بها!!.

ثم.. تم جمع هذه (المادة) بين فترات طالت واستطال مكوثها في أرشيفٍ

خصصته لها[1].

فكان تباعد تاريخ الشواهد.. حتى أنست من نفسي قدرة التأليف والتواليف بين هذا الجمع لإخراجه كما يراه المطالع لهذه الصفحات بهذا (الكتيب).

آملاً.. من بعد رضا الله وتوفيقه أن أكون قد أوصلت شيئاً يحمده القارئ،

---

(١) .. ولا أزعم بعد كل هذا إلا أنني رصدت .. أو أتيت على غيض من فيض ما يوافي مقامه (على الأقل في هذا الإصدار) .. وبل ولا أزعم للقارئ أن لدي من باقي أرشيف المادة ما يوازي هذا الكتاب .. لكن لعلي بإذن الله أنخلها في طبعة تالية، مع تنقية هذا الإصدار وما قد يأتي عليه من ملاحظات.. القراء

ويحمد صنعي.. (له) حين يقطف الثمـرة.. التـي بـذلت جهـداً لإنمائهـا بـروض هـذا (المؤلَّف).

إذاً فالسعادة.. بكل (سهولة) وبإذن الله تتحقق للمرء.. بركائز نحصر إجمالها.. بـ (الإيمان) فـ (الرضا) معه (الحب) ويتبعه (العمل).

والحمد للهِ رب العالمين..، وصلى الله على إمام الأنبياء والمتقين

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وكل من سلك نهجه إلى يوم الدين

تمت

فـــي:

٢٥ / ٤ / ١٤٢٥هـ[1]

جهد المقلّ.. مـــن

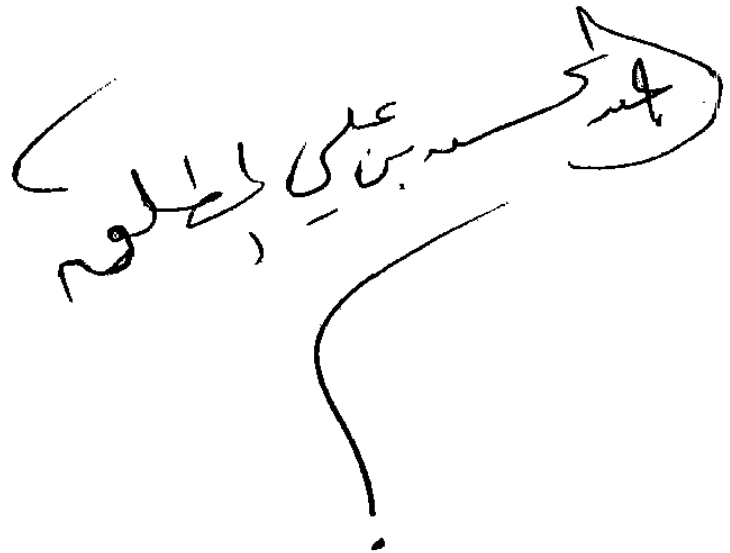

(١) ظل هذا الكتاب - تقديما وتأخيراً - بين يديّ.. حين انتهيت منه حسب التاريخ أعلاه حتى إصداره (خرج من حوزتي): في رمضان ١٤٢٩هـ.

مؤلفات في (السعادة)(*)..

١- الـشيخ عبـد الـرحمن بـن نـاصر الـسعدي -رحمـه الله- (الوسـائل المفيـدة للحيـاة السعيدة).

٢- د. عائض بن عبد الله القرني (حتى تكون أسعد الناس)، و(أسعد امرأة في العالم).

٣- د. إبراهيم القعيد (دليلك الشخصي للسعادة والنجاح).

٤- محمد آل زعير (أبشر.. فالسعادة بين يديك).

٥- د. عبد العلي الجسماني (علاجك النفسي بين يديك).

٦- عبد الله بن محمد الغميجان (الأذكار المفيدة للحياة السعيدة).

٧- عبد الله الجعيثن (تجاربهم مع السعادة).

٨- د. صالح الراشد (السعادة في ثلاث شهور).

٩- (البيت السعيد .. وخلاف الزوجين) للشيخ (د. صالح بن عبد الله بن حميد).

١٠- د. أنس كرزون (دليلك إلى السعادة والنجاح في الحياة).

١٢- وكذا قصة (ألوان من السعادة) لمحمد عبد الحليم عبد الله .

١٣- (محاسبة النفس و مكارم الأخلاق) لابن أبي الدنيا.

١٤- الوقت في حياة المسلم (د. يوسف القرضاوي).

(*) أو بمثابة (مراجع). أو مع إحالات أتت في هوامش الكتاب وهي نماذج فحسب لما اشتققت من جلّها شواهدي، وإلا فإن كُتب بهذا المنحى مليئة بها رفوف المكاتب .. بكثرة.

١٥- موارد الظمآن لدروس / الزمان عبد العزيز السلمان.

١٦- مكاشفة القلوب لأبي حامد الغزالي.

.. وقد أُلِّف بالغرب الكثير.. بحثاً عن هذا الموجود المفقود (السعادة)، كـ :

«دع القلق وابدأ الحياة» لـ(د. كـارنجي)، وكتـاب «التـسامح» لــ ن. والـتش.. وغيرهما.

فهـــرس المحتويـــات

الموضـــوع	الصفحة
- الإهـــداء	٧
مقدمتي	٩
أ ـ لماذا (هذا الكتاب):	١٠
ب - ماهية (السعادة) أهي : وسيلة، أم غاية، أم كلاهما معاً!؟	١١
١/ الإيمان	٣٩
الذكر..(التوحيد)	٤٩
الدعاء	٥٥
(هدايا)	٥٩

العبادة ٦٣
الاستغفار ٦٥
الشكر ٦٩
٢/الرضـــا ٨١
السمو بالذات ٧٧
دع الهم ٨٥
.. من همن (السعداء)؟ ١٠١
لا تحزن ١٠٥
(السلوى) ١١٣

الموضـــوع	الصفحة
الأمل	١١٧
الحياء	١٢١
(العقل)	١٣٥
(أنت)	١٤١
دع الـ (الأنا)	١٤٣
التفاؤل.....	١٤٥
وكذا السلوى	١٤٧
آخره (الزهد)	١٥٤
تقريب	١٦١

٣/ الحـــب ١٥٩
توجيهه ١٦٧
الحب في الله ١٦٩
العطاء ١٧١
الصورة ١٧٥
الصداقة ١٨١
حسن الأخلاق ١٨٥
أخيراً..... ٢٠٤
الاعتذار للآخرين ٢٠٧
قبول العذر..... ٢٠٨

الموضـــوع	الصفحة
أضغاث أحلام	٢١٤
اللطف مع الغير	٢١٦
(السفر):	٢١٧
حب الخير .. للغير.....	٢١٨
الصمت.....	٢٢٥
النسيان أو التغافل	٢٢٧

(السعادة) .. في الزواج ٢٣١
الابتسامة..... ٢٣٥
قضاء حوائج الخلق ٢٣٩
سلامة (الصدر) ٢٤٠
العلم: ٢٤٤
المال..... ٢٤٧
صون النفس ٢٤٩
الرفق ٢٤٦
٤/ العمـــل ٢٥١
قبس ٢٥٣
أ- الثقة بالنفس ٢٥٤

ب- الإرادة القوية..... ٢٥٤

الموضـــوع	الصفحة
ج- الطموح الدائم	٢٥٤
د- الحيوية والنشاط المتواصل	٢٥٤
وصفة (النجاح).....	٢٦٣
القدرات	٢٦٤
الرغبات (الأماني .. والأحلام)	٢٦٥

الختـــــام ٢٦٧
وبعدها ٢٧١
باختصار .. عن قاموس السعادة ٢٧١
وآخر المطاف ٢٧٥
من (المراجع) ٢٧٩